الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة جيلالي ليابس/ سيدي بلعباس

كلية الآداب واللغات والفنون

قسم: اللغة العربية وآدابها

بلاغة الحجاج
في النقد المغاربي المعاصر

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في اللغة العربية وآدابها

تخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

إعداد الطالب:

– غالم عبد الصمد

إشراف الدكتور:

أ.د بوجمعة عمارة

لجنة المناقشة

أ.د سعيد عكاشة	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	رئيسا
أ.د. عمارة بوجمعة	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	مشرفا ومقررا
أ.د.رفاس سميرة	أستاذة التعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	عضوا مناقشا
أ.د. بلي عبد القادر	أستاذ التعليم العالي	جامعة عين تموشنت	عضوا مناقشا
أ.د. هامل الشيخ	أستاذ التعليم العالي	جامعة عين تموشنت	عضوا مناقشا
أ.د.خثير عيسى	أستاذ التعليم العالي	جامعة عين تموشنت	عضوا مناقشا

السنة الجامعية 2020–2021

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر

أحمد الله وأشكره وأثني عليه كما ينبغي، لجلال وجهه وعظيم سلطانه

على إعانتي وتوفيقي لإنجاز هذا البحث.

أتوجه بالشكر:

أولا إلى أستاذي المشرف: الأستاذ الدكتور "**عمارة بوجمعة**"

الذي حرص على إنجاز هذا البحث بهذه الحلّة .

لك أستاذي أسمى آيات الشكر والتقدير والثناء.

وأتقدم بعظيم امتناني وجزيل شكري "**للجنة الموقرة**"

التي تجشمت عناء قراءة هذا البحث وإثرائه.

كمّا أشكر الأساتذة الذين تشرفت بأخذ العلم منهم في كل مراحل الدراسة.

إهـــداء

إلى والديّ الكريمين أطال الله في عمرهما.

إلى زوجتي التي تحملت معي عناء البحث.

إلى ابنتيّ العزيزتين: هناء وإيمان.

مقدمة

مقدمة

ارتبطت البلاغة منذ القدم بالبعد الحجاجي للخطاب، فقد كان لهذا المكون الخطابي حضورا في الفكر اليوناني خاصة في تنظيرات أرسطو للإقناع في الجنس الخطابي، وكان هذا البعد حاضرا أيضا في البلاغة العربية القديمة خاصة في نظرية البيان عند الجاحظ، ولكن هذا الوضع لم يدم طويلا حيث تراجع الاهتمام ببلاغة الخطاب الإقناعي مع هيمنة البلاغة المعيارية .

عاد الاهتمام في البلاغة المعاصرة ببلاغة الإقناع، وكان للمؤلف الذي أصدره كل من بيرلمان Perelmanl وتيتيكا Tyteka تحت عنوان: مصنف في الحجاج، البلاغة الجديدة أواخر الخمسينات من القرن الماضي الفضل في تبلور الاتجاه الحجاجي الذي يهتم بالتقنيات البلاغيّة والمنطقيّة التي تروم التأثير في المتلقي.

وكان للبحوث التداولية أيضا أهمية بالغة في تطوير النظرية الحجاجية، فظهر ما يطلق عليه الحجاج اللغوي الذي ينطلق من مبدأ أن الإقناع كامن في البنية الداخلية للغة الطبيعية، لذلك تمّ التركيز على الروابط والعوامل الحجاجية التي يعتمد عليها السلم الحجاجي، وتعالت الأصوات المنادية بدراسة الجانب التأثيري للأفعال الكلامية على متلقي الخطاب.

سعت بلاغة الحجاج اليوم لاقتحام حقل تحليل الخطاب، فظهرت إسهامات هامة في مجال التحليل البلاغي الحجاجي للنصوص، نذكر منها محاولات كبيدي فارغا Aron kibédi Varga وتحليلات ديكلرك Gilles Declercq ودراسات أوليفي ريبول Olivier Reboul والممارسات التطبيقية لروث أموسي Ruth Amossy.

لم يكن النقد المغاربي المعاصر بمعزل عن المنجز الغربي في مجال الحجاج، بل ظهر التأثير واضحا في دراسات وأبحاث البلاغيين المغاربة تنظيرا وممارسة، ولذلك ستنطلق هذه الدراسة من هذا الوضع للوقوف على ملامح حضور بلاغة الإقناع في المغرب العربي .

1- اختيار موضوع الرسالة:

عرف الدرس البلاغي المعاصر في المغرب العربي محاولات هامة لتجديده، واتضح ذلك من خلال الانفتاح على المنجز الغربي والسعي الجادّ لاستثمار مبادئ البلاغة الجديدة، ونالت بلاغة الحجاج في ذلك أهمية بالغة، حيث حاول النقاد المغاربيون تفعيل مقولاتها في تحليل الخطابات الإقناعية .

وللوقوف على ذلك، اخترت البحث في هذا الموضوع، فوسمت رسالتي بـ "بلاغة الحجاج في النقد المغاربي المعاصر".

وما حفزني على اختيار هذا الموضوع هو ميلي المبكر للاهتمام بالنظرية الحجاجية، وقد اشتغلنا عليها من خلال إنجازنا لرسالتنا الجامعية لنيل شهادة الماجستير، الموسومة بـ (استراتيجيات الخطاب الإقناعي في بخلاء الجاحظ) واخترنا هذه المدونة لاعتمادها على بلاغة مخصوصة يتظافر فيها المكون التخييلي بالمكون الحجاجي.

2- إشكالية البحث:

يقارب هذا البحث راهن بلاغة الخطاب الإقناعي في المغرب العربي، ويحاول ملامسة ذلك من خلال أسئلة جوهرية أهمها :

- ما هي بلاغة الحجاج ؟ وما أصولها؟ وما امتداداتها؟
- ما مدى حضور التنظير والتطبيق لنظرية الحجاج في الوطن العربي؟

- من أهم النقاد المغاربيين الذين اشتغلوا على هذه النظرية ؟
- ما هي المبادئ والآليات التي اعتمدوا عليها في قراءتهم للأنواع خطابية التي يتقاطع فيها التخييل مع التداول ؟
- هل استطاعت بلاغة الحجاج أن تساهم في تحليل الخطاب الإقناعية ؟
- هل وفق الباحثون المغاربة في وضع مشروع واضح المعالم لبلاغة الحجاج ؟

3- خطة البحث:

وللإجابة عن القضايا التي طرحتها قسمت البحث إلى أربعة فصول تسبقها مقدمة وتعقبها خاتمة.

خصصت الفصل الأول للحديث عن نظرية الحجاج أصولها وامتداداتها، فوقفت على ماهية الحجاج وركزّت على علاقته بالمفاهيم القريبة منه: كالجدل، والبرهان، والإقناع، والتداول، ثم انتقلت إلى الوقوف على خصائص الخطاب الحجاجي ومبادئه، ورصدت أنواع الحجاج الثلاث (بلاغي لغوي منطقي)، ثم تتبعت أصول وامتدادات النظرية الحجاجية في السياق الغربي، فانطلقت من المشروع الأرسطي الذي ارتكز على الاستراتيجيات الإقناعية الثلاث: اللوجوس والإيتوس والباطوس، ثمّ عرجت على التقنيات الحجاجية التي اعتمدت عليها البلاغة الجديدة عند برلمان، ثم انتقلت للحديث عن الحجاج اللغوي عند ديكرو وأشرت إلى أهم آلياته: كالسلم الحجاجي، الروابط والعوامل الحجاجية، وعرجت على موضوع الحجاج في البلاغة المعاصرة عند أهم أعلامه: وهم مكاييل ليف، جيل ديكلرك وأوليفي روبول وروث أموسي، ثم ختمت الفصل بالحديث عن موضوع الحجاج في الفكر العربي.

في حين وسمت الفصل الثاني بعنوان: الحجاج في المغرب، فقدمت فيه خلفيات المقاربة البلاغية الحجاجية في المغرب، ثم عرضت ملامح البلاغة العامة في المشروع البلاغي المغربي، وتطرقت لعلاقة بلاغة الإقناع بالإطار النوعي، ثم رصدت في مخرج هذا الفصل مرتكزات الحجاج في المشروع البلاغي عند محمد مشبال .

وأمّا الفصل الثالث فجاء موسوما بـ "بلاغة الحجاج في تونس"، افتتحته بالحديث عن الإرهاصات الأولية لنظرية الحجاج في تونس، ثم انتقلت للوقوف على إشكالية المصطلح الحجاجي في النقد البلاغي التونسي، وتطرقت بعدها لدور الحجاج في تحليل الخطاب الإقناعي، ثم ختمت الفصل بالتطرق لنظرية الحجاج وتطبيقاتها عند عبد الله صولة، وركزت فيه على دراسته الموسومة بـ: "الحجاج في القرآن من خلال أهم مظاهره الأسلوبية ".

في حين خصصت الفصل الرابع لبلاغة الحجاج في الجزائر، فتطرقت لواقع الدرس البلاغي المعاصر في الجزائر ، ثمّ انتقلت للحديث عن النظرية الحجاجية في النقد الجزائري المعاصر فوقفت عند بلاغة الحجاج وآفاق تحليل الخطاب في الجامعة الجزائرية، لأنتقل بعدها لموضوع حجاجية الخطاب التراثي في النقد الجزائري المعاصر: حجاجية الشروح البلاغية عند فضيلة قوتال أنموذجا، ثم ختمت الفصل بمبحث "حجاجية الأجناس الخطابية الحديثة في النقد الجزائري المعاصر: حجاجية المقال عند هاجر مدقّن أنموذجا".

في الأخير خلصت إلى خاتمة توجز أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث.

4- الدراسات السابقة:

اعتمدت في إنجاز هذا البحث على مجموعة من الكتب الهامة، ونذكر منها ما اهتمّ بعرض مفاهيم النظرية الحجاجية كالمؤلف القيم الذي أشرف عليه حمّادي صمّود: أهم نظريات الحجاج في

التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، والمؤلف المترجم فيليب بروتون وجيل جوتييه، تاريخ نظرية الحجاج، تر محمد صالح ناجي الغامدي.

ومنها تلك الكتب التي حاولت أن تقدم بلاغة الحجاجة كمقاربة ناجحة لتحليل الخطابات الإقناعية ونذكر منها: "في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية الخطابة في القرن الأول نموذجا "لمحمد العمري، و"في بلاغة الحجاج نحو مقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات "لمحمد مشبال"، فضلا عن مؤلف سامية الدريدي "الحجاج في الشعر العربي القديم (من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة"، ومؤلف فضيلة قوتال الموسوم بـ "حجاجية الشروح البلاغية وأبعادها التداولية".

5- المنهج:

يروم هذا البحث الكشف عن راهن بلاغة الحجاج في النقد المغاربي المعاصر، لذلك تبنيت في هذه الرسالة منهجا تاريخيا وصفيا لاستعراض المفاهيم ومقولات البلاغة الحجاجية، واستعنا بالتحليل للوقوف على ملامح التحليل الحجاجي للخطاب عند النقاد والدارسين المغاربة.

6- صعوبات البحث:

واجهت طريق البحث بعض الصعوبات ككثرة الكتابات والأبحاث الأكاديمية التي اهتمت بحجاجية الخطاب في الساحة المغاربية، مما جعل عملية متابعتها بالرصد والتحليل مضنية في معظم الأوقات، بالإضافة إلى حداثة بعض المباحث الحجاجية التي لا تزال في طور النضج والتطور مما يجعل الحديث عنها صعبا. لكن هذه الصعوبات لم تثننا عن إتمام رحلتنا البحثية بل زادتنا إصرار على مواصلة الدرب.

7- أهداف البحث:

أسعى في هذا البحث للكشف عن حضور بلاغة الحجاج في الدراسات النقدية المغاربية مركزا على حضور المقولات البلاغية للنقاد الغربيين في المنجز النقدي المغاربي، فضلا عن الوقوف على مدى استفادة الدرس البلاغي المعاصر من المفاهيم الحجاجية التراثية .

كما حاولت رصد مفاهيم الحجاج التداولي وآلياته، ووقفت على مساهمتها في منح محلل الخطاب إمكانات رحبة لتحليل الخطاب الإقناعي واستجلاء مقصديته وفهم بنيته الحجاجية، وفك إستراتجيته الخطابية.

وسيسعى البحث أيضا لعرض المقاربات البلاغية التي حاولت قراءة الخطابات التواصلية وفق أفق حجاجي، وسيحاول الوقوف على مدى ربط البحث البلاغي المعاصر في الوطن العربي بين التحليل الحجاجي ومبدأ نوع الخطاب، لأنّ هذا الربط يظهر مرونة البنية الحجاجية وخضوعها للإطار النوعي للنصوص.

يمكن حصر أهم الرهانات التي سعى البحث لبلوغها في ما يلي:

- كشف أهم المبادئ والآليات التي يقوم عليها الخطاب الإقناعي من أرسطو إلى اليوم.
- رصد راهن النظرية الحجاجية عند الغرب والعرب .
- معرفة واقع البلاغة الحجاجية في المغرب العربي خاصة في المغرب والجزائر وتونس .
- محاولة الوقوف على أسئلة الفكر البلاغي في النقد المغاربي المعاصر.
- معرفة المؤتلف والمختلف في المحاولات الجادة التي قام بها الباحثون المغاربة في تحليلهم للخطاب الحجاجي .

- الوقوف على مدى استثمار بلاغة الحجاج في تحليل الخطابات الإقناعية.

لم يكن هذا العمل لينجز على الهيئة التي هو عليها لولا ما لقيته من الأستاذ المشرف الدكتور عمارة بوجمعة، من تشجيع وتوجيه ورعاية، فقد أعانني على تجاوز ما اعترضني من صعوبات، ومنحني كلّ ما يحتاجه الطالب لانجاز بحثه، فله أوجه فائق الشكر والاحترام والتقدير الصادق وأسمى آيات الثناء والعرفان.

ولا أنسى أن أتقدم بعظيم امتناني وجزيل شكري للجنة الموقرة التي تجشمت عناء قراءة هذا البحث وإثرائه .

الطالب غالم عبد الصمد

مستغانم 2020/09/15

الفصل الأول: نظرية الحجاج أصولها وامتداداتها.

- أولا: الحجاج: ماهيته وأنواعه.

- ثانيا: خصائص الخطاب الحجاجيّ ومبادؤه.

- ثالثا: النظرية الحجاجية في السياق الغربي.

- رابعا: نظرية الحجاج في الفكر العربي.

يحتل الحجاج في عصرنا الراهن مكانة هامة في مختلف الخطابات التي يهمن عليها البعد التداوليّ، فلم يعد الاهتمام منصبّا على مكونات النص الداخلية بمعزل عن العناصر الخارجية، بل صارت الدراسات البلاغية المعاصرة تسعى جاهدة لربط هذه المكونات بأغراض الخطاب ومقاصده المعلنة أو المضمرة .

إنّ الاهتمام بالحجاج مرتبط بسعي خطابات العصر الراهن للتأثير على المتلقيّ، ويرجع أيضا لاهتمام الإنسان بالرأي الذي "يعد حقا مادة حياتنا اليومية، وعماد انخراطنا في الحياة وأساس اختياراتنا الأكثر جوهرية"[1] فالواقع إذن يظهر أنّ النشاط الحجاجيّ حاضر في مختلف الخطابات التواصلية كالخطاب الاجتماعي والخطاب الإعلامي والخطاب السياسي والخطاب الإشهاري، ويؤكد هذا التواشج الحاصل بين الخطاب الإنساني والإستراتيجية الإقناعية أهمية الدراسات الحجاجية التي تروم الكشف عن الآليات والتقنيات التي يسعى المتلفظ لتوظيفها في ممارساته اللغوية للتأثير في المتلقي ودفعه لتغيير أفكاره ومعتقداته.

وعلى الرغم من التطورات التي عرفتها نظرية الحجاج "إلاّ أنّها تظلّ نسقا نظريا موحدا قد تختلف مسمياتها الجارية اليوم: «البلاغة الحجاجية» أو «البلاغة الجديدة» أو «الحجاج في الخطاب» أو «فن الحجاج» أو «النقد البلاغي»، وغيرها من التسميات، بيد أنها تظلّ في جوهرها ذلك الحقل الذي يهتم ببنية الإقناع"[2] فعلى الرغم من اختلاف المسميات التي تطلق على تلك النظرية التي تهتم بالحجاج، إلّا أنها تشترك في موضوع اشتغالها، فهي إذن تسعى لكشف آليات وتقنيات الإقناع التي يسعى منتج الخطاب التأثيري لتوظيفها، ولا يقتصر الأمر على الاستراتيجيات اللغوية فقط، بل يمتد أيضا إلى العناصر غير اللغوية التي تحدث فعل الإقناع.

[1] – فيليب بروطون، الحجاج في التواصل، تر: محمد مشبال وعبد الواحد التهامي العلمي، الهيئة العامة المصرية للكتاب، 2012، ص23.

[2] – محمد مشبال، في بلاغة الحجاج نحو مقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات، دار كنوز المعرفة، ط1، 2017، ص 23.

أولا– الحجاج: مفاهيمه وأنواعه:

1– تعريف الحجاج:

– لغة:

ورد في القرآن الكريم الكثير من الآيات التي تومئ إلى فعل الحجاج وما اشتق منه، من ذلك ما جاء على صيغة الفعل في قوله تعالى:﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[1].

وقوله تعالى أيضا:﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾[2].

فالحجاج في الموضعين السابقين مرتبط بالجدل المذموم والعناد المفرط، فقد تمّ نسبته للكفار والمشركين ولم يسند فعل المحاجة للأنبياء والمؤمنين، ولذلك لمّا كان القصد عرض حجج الله تعالى على العباد جاءت الآيات القرآنيّة على صيغة الاسم من ذلك قوله تعالى:﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ)﴾[3].

ويمكن القول إنّ المحاجة في القرآن الكريم أسندت في أغلب المواضع للمشركين، وأمّا الحجاج "فهو في القرآن الكريم مفهوم معبر عنه بأشكال من العبارات والأساليب، التي تروم الحوار وتهدف إلى الإقناع بالبراهين والأدلة العقلية والكونية والفطرية، وقد جمع القرآن الكريم كلّ تلك الدلالات في ضميمة جامعة هي الحجة البالغة "[4] ويؤكد ذلك على حضور الحجاج في القرآن الكريم.

---

[1]– سورة البقرة، الآية: 258.

[2]– سورة أل عمران، الآية: 20.

[3]– سورة الأنعام، الآية: 149.

[4]– لمهابة محفوظ ميارة، مفهوم الحجاج في القرآن الكريم دراسة مصطلحية، ج3، مجلة مجمع اللغة العربية دمشق، المجلد81، ص532.

وبالعودة لمعجم "لسان العرب" نجد أنّ ابن منظور يعرف الحجاج انطلاقا من قوله حَاجَجتُه أحاجُّه حِجَاجًا ومُحَاجَّةً حتى حَجَجتُه: أَي غَلَبتُه بالحُجّج التي أَدلَيتُ بِها... والحجّة البرهان "[1].

وفي الحديث "فحجّ آدم موسى" أي غلبه بالحجة، واحتجّ بالشيء اتخذه حجّة، والحجة ما دوفع به الخصم "[2].

يظهر من هذا أنّ الحجاج مرتبط بالتخاصم والتنازع والجدل، وجميعها عمليات تتحقق بالتفاعل مع السامع بشكل صريح أو ضمنيّ، فالخطاب الإقناعيّ يتضمن علاقة تخاطبيّة بين طرفين يختلفان في وجهة نظرهما حول موضوع ما "فلا حجاج بدون تشارك وتعدد الذوات والأصوات والآراء"[3] فالخطاب الحجاجيّ إذن قائم في جوهره على استحضار المتلقي ومراعاة ظروفه وأحواله لأنّ ذلك هو أساس نجاح كلّ عملية تلفظية تتوخى التأثير في السامع.

- **اصطلاحا:**

لم يكن الحجاج مصطلحا خاصا بحقل معرفيّ محدد بل تقاطعت الكثير من الحقول المعرفيّة في الاهتمام به،لذلك اعتبر من المفاهيم التي تثير الالتباس في تحديد ماهيتها،فيمكن القول: إنّه "على الرغم من الأعمال العديدة والمقنعة التي أنجزت حتى يومنا هذا حول الحجاج، يبقى من الضروري إعادة القول على الدوام في الموضوع. إنّ موضوع الحجاج يتطور من دون شك بسرعة أكبر مما تتطور النظرية"[4] ويظهر ذلك الأهمية التي نالتها النظرية الحجاجية في الدراسات الحديثة والمعاصرة لارتباطها بمختلف الخطابات الإنسانية.

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، مج 02، مادة حجج، ص 228.

[2]- ابن سيدة، المحكم والمحيط الأعظم، ج2، تح: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2000، مادة حجج، ص 42.

[3]-عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط1، 2016، ص 10.

[4]- فيليب بروطون، الحجاج في التواصل، ص 34.

إنّ الحجاج من المصطلحات التي يصعب حصر ماهيتها بدقة،وذلك لاستمرار تشكل هذا المصطلح في عصرنا الراهن، فهو يرتبط بنظرية "لم تنغلق بعد ولم تدخل كنظريات كثيرة حيز الماضي – ماضي النشأة والاكتمال لا ماضي الفعل والتأثير"[1] ولهذا فمفاهيم الحجاج لا تزال تخضع للتطوير والمناقشة لتناسب أنواعا خطابية مختلفة.

إنّ الخروج من الدلالة المعجمية للحجاج إلى دلالاته الاصطلاحية، سيظهر ثراء هذا الموضوع وتشعبه و"سيظطرنا إلى الاعتراف بوجود أكثر من سياق لهذا المفهوم، وأكثر من حقل وظيفي له. فهناك – على سبيل المثال– حجاج خطابيّ (بلاغي)، وحجاج قضائيّ (قانوني)، وحجاج فلسفيّ أو رياضي، إلخ"[2] وعليه فعندما نقارب مفهوم الحجاج ، سنجد أنفسنا أمام مقاربات مختلفة .

وتجدر الإشارة إلى أنّ الحجاج علم قديم، ذاع صيته في الفكر اليونانيّ مع أرسطو، إلاّ أنّه تعرض بعد ذلك للتهميش لفترة طويلة مع هيمنة بلاغة المحسنات، فمضت حقبة زمنية طويلة "شهدت تجاهلا واضحا للحجاج تمّ فيها إغفال مختلف الأبحاث والدراسات المتعلقة بهذا المجال الهام خاصة فيما يتصل بمجالي البلاغة والاستدلال"[3] هذا الوضع الذي ارتبط بالبلاغة لمدة قرون طويلة سرعان ما بدأ في الاندثار، مع ظهور البحوث والدراسات التي بعثت بلاغة الحجاج من جديد، فأعيد الاعتبار للمكون الإقناعيّ الذي ينبني عليه كل خطاب يروم التأثير في المتلقي.

عاد الاهتمام بالحجاج في العصر الحديث مع كتابات الفيلسوف البلجيكي بيرلمان Perelman الذي نشر مع أولبريشتس Olbrechts – تيتيك Tyteca -في عام 1958م "الكتاب الذي ترك أكبر الأثر في دراسات الحجاج إلى اليوم، وهو كتاب: «رسالة في الحجاج البلاغة

[1] – سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، ط2، 2011، ص 15.

[2] – الحبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الرياضي، عناصر استقصاء نظري، ج3، ضمن المؤلف الجماعي: الحجاج مفهومه ومجالاته، إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2010، ص33.

[3] – حسن مسكين، مناهج الدراسات الأدبية الحديثة من التاريخ إلى الحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة، لبنان، ط1، 2010، ص156.

الجديدة Traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique» كما لا يمكن تجاهل الدور الذي قام به تولمن (Toulmin) أيضا"[1] وبعبارة أخرى كان لهؤلاء الباحثين الفضل في عودة المنحى الحجاجيّ في مختلف الدراسات البلاغية .

ركّز برلمان في بلاغته الجديدة على السامع، وأكّد أنّ الغاية من العملية الحجاجية التأثير في المتلقيّ وإقناعه، لذلك اعتبر أنّ غاية كلّ حجاج هي "أن يجعل العقول تذعن لما يطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان، فأنجع الحجاج ما وفق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب إنجازه أو الإمساك عنه، أو هو ما وفق على الأقل في جعل السامعين مهيئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة"[2] وعلى هذا الأساس فالخطاب الحجاجيّ يروم التأثير في المتلقيّ،فلا يكون الملفوظ ناجحا إلاّ إذا استطاع أن يجعل السامعين يذعنون لما يعرضه المتلفظ.

يختلف الحجاج عن الخطابة في نظر بيرلمان من زاوية أنّ جمهور الحجاج يمكن أن يكون حاضرا كما يمكن أن يكون غائبا، وقد يتسع ليشمل المتلقيّ الكونيّ، كما يمتد الخطاب الحجاجيّ ليشمل الخطاب المكتوب، وبهذا التصور الجديد صار الحجاج حاضرا في مختلف خطاباتنا التواصلية اليومية سواء أكانت شفوية أو مدوّنة.

ورغم ذلك يظلّ الحجاج أقرب في جوهره إلى الخطابة "لأن الحجاج لا يكون إلاّ في الأمور التي تثير الشك وتتطلب جهدا فكريّا وعقليّا لتدقيقها وكشف لبسها، ولعلّ هذا سر جمع بيرلمان في نظريته بين الخطابة والجدل الأرسطيين"[3] وبهذا استطاع أن يبعث بلاغة الحجاج من جديد ،ويمنحها

[1]- فيليب بروتون وجيل جوتييه ، تاريخ نظرية الحجاج، تر: محمد صالح ناجي الغامدي، مركز النشر العلمي، ط1، 2011، ص09.

[2]- Perelman et Tyicca, traité de l'argumentation : la nouvelle rhétorique, préface de Michel Meyer, Bruxelles, université de Bruxelles, 4éd 1983, 5éd, 1992, p 59.

[3]- مؤيد آل صوينت، الحجاج التصورات والتقنيات، مجلة الأقلام، العراق، العدد الأول، 2011، ص 72.

آفاقا رحبة لمقاربة مختلف الخطابات الإنسانية، وتحديد مقصديتها الإقناعية، وكشف الانزلاقات الخطابية التي يمكن أن تقع فيها.

ارتبط الحجاج حديثا بالبعد التداوليّ للخطاب، لذلك عُرّف بأنّه "فعالية تداولية جدلية، فهو تداوليّ لأن طابعه الفكري مقاميّ واجتماعيّ... وهو أيضا جدليّ لأنّ هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صور استدلالية"[1] وفي هذا الإطار يستفيد الباحث في قضايا الحجاج من مباحث التداولية باعتبارها تركز على اللغة في بعدها الوظيفيّ التأثيريّ.

يعتبر الحجاج فعالية خطابية مرتبطة بالإقناع، لذلك عدّ "كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها"[2] خطابا حجاجيّا ما دام أنّه يستهدف استمالة المتلقيّ وإقناعه.

لا يقتصر الحجاج l'argumentation على المجال البلاغيّ فقط، بل يتجاوز ذلك ليشمل أنواعا أخرى مثل "الحجاج اللغويّ الخالص ذاك الذي ينبع من اللغة باعتباره خاصية كامنة فيها فيتشبع به نسيج النص"[3] وهذا التصور يندرج ضمن نظرية أرسى ديكرو معالمها، وتنطلق هذه النظرية من أولية الإقناع على الإخبار، لذلك اهتمت بالروابط والعوامل الحجاجية .

إنّ نظرية الحجاج اللسانيّ تعلي من شأن البنية الداخلية للملفوظات، لذلك يتمّ الحديث عن المسار الحجاجي عندما "يقدم المتكلم قولا ق1 (أو مجموعة من الأقوال) موجهة إلى جعل المخاطب يقبل قولا آخر ق2 (أو مجموعة أقوال أخرى)"[4] يمثل القول الأول المعطى بينما يمثل القول الثاني النتيجة التي يتوخى المحاجج الوصول إليها، ويعطي هذا المسار الحجاجي أهمية بالغة للبنية الداخلية

[1] – طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط2، 2000، ص 65.

[2] – طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1998، ص 226.

[3] – سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، ص 55.

[4] – شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة، ضمن المؤلف الجماعي: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمّادي صمّود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب منوبة، تونس، ص 360.

للغة الخطاب، باعتبار أنّ المؤشرات اللسانية المبثوثة فيه تساهم في فعل الإقناع عن طريق توجيها الملفوظ نحو وجهة حجاجية.

يتعلق النشاط الحجاجيّ بملابسات الخطاب لأنّه "حاصل نصي عن توليف بين مكونات مختلفة تتعلق بمقام ذي هدف إقناعي"[1] ولذلك اعتبر نشاطا قوليا يسعى لاستدراج السامع، ويرتبط هذا النشاط بفعل المساءلة، فهو قائم على تعديل المسافة الفاصلة بين الذوات المتخاطبة "أي سعي إقناعي إمّا لمحوها بدفع المختلف ليغدو مشتركا أو لتوسيعها بتأجيج التناقض وتعميق الاعتراض"[2] ويظهر هذا التصور أهمية المتلقيّ في بناء أيّ خطاب يروم تحقيق الإقناع .

يرتبط الحجاج بالتواصل لكونه نشاطا بشريّا قائما على التفاعل اللّفظيّ بين منتج الخطاب ومتلقيه ولذلك اعتبر"فيليب بروطون" أن تحديد مفهوم الحجاج مرتبط بخصوصية هذا الفعل الجوهريّ في التواصل الإنساني،وعليه أسند له الخصائص التالية:[3]

- يفيد الحجاج أولا التواصل، فنحن في موقف تواصلي يتضمن مثل أيّ موقف من هذا النمط رسالة ومشاركين أي دينامية حقيقية.

- ليس الحجاج إقناعا مفروضا، وهو ما يفترض قطيعة مع التطويع – أي التأثير القسريّ بالمعنى الذي لا يكون فيه التطويع قائما على وسائل الإقناع.

- الحجاج معناه البرهان: أي اقتراح الرأي على الآخرين وتزويدهم بالأدلة الكفيلة بجعلهم يذعنون له.

[1]- باتريك شارودو، الحجاج بين النظرية والأسلوب، تر: أحمد الودرني، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2009، ص16.

[2]- عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2013، ص 108.

[3]- فيليب بروطون، الحجاج في التواصل، ص 33.

يهتم الحجاج بالعلاقات القائمة بين الحجج، باعتبار أنّ الخطاب الحجاجيّ "شبكة معقدة من العلاقات ومأتى التعقيد فيها أنها علاقات غير عادية، فهي علاقات مخصوصة موجهة تحكمها معطيات كثيرة منها ما يتصل بالباث ومنها ما يعود إلى المتلقي ومنها ما يرجع أيضا إلى وضعيات الخطاب وغاياته ومختلف مقاصده"[1]ومن أهم هذه العلاقات:علاقة التتابع، العلاقة السببية علاقة التناقض، علاقة الاستنتاج، وعلاقة الافتضاء، وتساهم جميعها في توجيه الملفوظات نحو النتيجة التي يروم المحاجج إيصالها للمتلقي.

وتجدر الإشارة أنّ العلاقة الحجاجية تربط بين المعطى الذي ينطلق منه المحاجج والنتيجة التي يسعى لبلوغها، ويمكن توضيح هذه العلاقة الحجاجية المؤسسة للخطاب الإقناعي بالخطاطة التالية :[2]

العلاقة الحجاجية

قول الانطلاق	———	قول العبور	←———	قول الوصول
(معطى)		(اقتضاء)		(خلاصة)
مقدمة		منطقية		حجة
(أ1)		(دليل)		(أ 2)

فالمحاجج إذن ينطلق أثناء بناء خطابه من مقدمات مقبولة لدى المتلقي ثم يؤسس على منوالها واقعا مغايرا وأطروحة جديدة مستثمرا في ذلك فاعلية المقام ومرونة الاستعمال اللغوي ونسبية الاستدلال التداولي، وعلى قدر كفاءة المتكلم في اختيار وانتقاء قول الإنطلاق، تكون نجاعة الخطاب وفعاليته في تحقيق التأثير لدى المتلقي، ويمكن القول: إنّ العلاقة الحجاجية هي التي تعطي مشروعية لانتقال التصديق من المقدمات إلى النتائج.

[1]- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، ص 317.

[2]- باتريك شارودو، الحجاج بين النظرية والأسلوب، ص 25.

ميّز "طه عبد الرحمن" بين أصناف الحجة الثلاثة:[1]

- **أحدهما** الحجة بوصفها بناء استدلالا يستقل بنفسه، فلنصطلح على هذا المعنى باسم الحجة المجردة.

- **الثاني**، الحجة بوصفها فعلا استدلاليا يأتي به المتكلم، فلنسم هذا المعنى الثاني باسم الحجة الموجّهة (بفتح الجيم المشددة).

- **الثالث**، الحجة بوصفها فعلا استدلاليا يأتي به المتكلم بغرض إفادة المستمع وينهض المستمع بتقويمه فلندع هذا المعنى الثالث باسم الحجة المقومة (بفتح الواو المشددة).

يظهر هذا التصنيف أهمية البعد التداولي للخطاب في تقسيم أنواع الحجج، ويتضح جليّا أنّ تصنيف "طه عبد الرحمن" يعتمد على عدم الفصل بين الحجة والطرف الفاعل الذي أنتجها، ففي الحجة المجردة لا يعتدّ بمنجِز الخطاب، وفي الحجة الموجّهة يتمّ الأخذ بعين الاعتبار من أنجز هذه الفعالية التواصلية، وأمّا الحجة المقوّمة فينظر إليها باعتبارها نتاج جامع بين من أصدرها ومن تولّى تقويمها وعلى هذا الأساس يمكن فهم الخطاب الحجاجيّ الناجح .

وانطلاقا من هذا التصور المنهجي اقترح الباحث المغربيّ "طه عبد الرحمن" ثلاثة نماذج للحجة تتمثل في:

- النموذج الوصلي للحجة.
- النموذج الإيصالي للحجة.
- النموذج الاتصالي للحجة.

[1] – طه عبد الرحمن، التواصل والحجاج، سلسلة الدروس الافتتاحية الدرس العاشر،كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب ص 6.

ويظهر هذا التقسيم وعيّا بالأبعاد التداولية للحجاج باعتباره فعالية خطابية مرتبطة بعناصر التواصل وفي ذلك دعوة صريحة لوصل الحجاج بالتواصل.

وأما إذا انتقلنا إلى تصنيف بروطون للحجج، فنجد أنه صنّف الحجج حسب التعريف الذي أعطاه للحجة حيث ميز في عمله بين مستويين:[1]

- مستوى محتوى الحجة: أي الآراء في حد ذاتها.
- مستوى الشكل (القالب)، والقالب الحجاجي الذي سيمنح شكله للأطروحة المقترحة .

وانطلاقا من هذه الخلفية المنهجية، صنف الحجج إلى أربعة أصناف:

- **حجج السلطة:** "تغطي حجج السلطة كل الطرائق التي ترتكز على حشد سلطة إيجابية أو سلبية مقبولة من المتلقي، والتي تدافع عن الرأي الذي نقترحه عليه أو ننتقده"[2] وينطلق هذا النوع من الحجاج من المكانة أو الحضوة التي يتمتع بها مصدر الخطاب، وتجدر الإشارة لاهتمام البلاغة الجديدة بهذه التقنية الحجاجية.

وحتى تكون لهذه الحجة تأثيرا في المتلقي، وضع علماء الحجاج خمسة شروط لهذا النوع من الحجة، وهي :[3]

- أن تدرك الحجة بالسلطة إدراكا سليما.
- أن تكون للسلطة كفاءة حقيقية ومتمكنة في مجالها بحيث لا تسند لمجرد الشهرة أو ما شاكلها.
- أن يعتبر جانب التخصص في كل مجال على حدة.

[1]- فيليب برتون، الحجاج في التواصل، ص 58.

[2]- المرجع نفسه، ص 61.

[3]- عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، أفرقيا الشرق، 2006، ص 165.

- أن يكون الرأي قائما على دليل يمكن تأكيده أو بالأحرى البرهنة عليه.
- أن تكون هناك تقنية وفاق ضرورية للبث في الخلافات بين سلطتين أو أكثر.

ويبدو جليّا أن مراعاة هذه الشروط في الخطاب الحجاجي تجعل منه خطابا ناجحا في التأثير في الآخرين، كما أنّ تفعيل القيود السابقة، تجعل مستعمل حجة السلطة بعيدا عن المغالطة والتضليل والإيهام .

- **حجج الاشتراك:** تستند هذه الحجج "إلى القيم التي يشترك فيها كثير من الناس"[1] ويعتبر هذا النوع من الحجج من أهم التقنيات التي يستعين بها المحاجج لإقناع سامعيه .
- **حجج التأطير:** وهو وصف يوجهه المحاجج لصالح آرائه، ويوظف المتكلم هذا النوع من الحجج لصالحه وذلك عن طريق "تفخيم بعض المظاهر التي تستحق ذلك في الواقع المعروض، وتلطيف مظاهر أخرى"[2] ويؤكد توظيف هذا النوع على القصد الإقناعي للخطاب الحجاجيّ.
- **حجج التماثل:**"ترتكز حجة التماثل على إقامة تماثل بين منطقتين متباعدتين من الواقع يسمح بنقل خصائص إحداهما المعروفة إلى الأخرى"[3].

إن هذا النوع من الحجة لا يتطلب تطابقا بين مجالين من الواقع للحصول على الإذعان، بل يسعى فيه المحاجج لإقامة علاقة تماثل بين طرفين متباعدين مستندا في ذلك على القبول الحاصل في الطرف الأول.ورغم أهمية حجج التماثل إلا أن فيليب بروطون يعتبر أنها لا تستعمل في الخطاب

[1]- فيليب بروطون، الحجاج في التواصل، ص 62.
[2]- المرجع نفسه، ص 100.
[3]- المرجع نفسه، ص 119.

الحجاجي في نطاق واسع لأن التماثل يتطلب من المتلقي جهدا عقليا لفهمه وإجمالا يمكن القول إنّ كل موقف حجاجي حججه المناسبة التي تعتمد على استثمار فاعلية السياق.

ويمكن القول: إنّ تحليل القول الحجاجي يتطلب تحديد طبيعة الحجج وأنواعها الموظفة من طرف منتج الخطاب لأنّ ذلك يساهم في الوقوف على وظيفتها الإقناعية ويساعد محلل الخطاب على الوقوف على استعمالاتها الصحيحة أو التغليطية، وما دام كذلك فإنّ استخراج الحجج وتصنيفها هو أهم مرحلة في مسار تحليل النصّ الحجاجيّ.

2- علاقة الحجاج بالمفاهيم القريبة منه:

يتقاطع الحجاج مع الكثير من المصطلحات، ومن أهمها :

2-1- الحجاج والجدل:

الجدل هو "دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة أو يقصد به تصحيح كلامه وهو الخصومة في الحقيقة"[1] وعليه ينطوي الجدل على موقف تواصليّ يكون فيه القائل في مواجهة مع خصمه، ويستدعي هذا الانجاز اللغويّ تحاورا مع الآخر للوصول إلى الحق، ومن هذا المنطلق اعتبر العلماء أنّ "الحجة والدليل والبرهان هي مقومات علم الجدل"[2] ويعني ذلك أنّ للجدل علاقة بطرق وسبل الاستدلال الكفيلة بالتأثير في المتلقيّ.

والملاحظ أنّ الجدال يتقاطع في ماهيته مع الحجاج، فكلاهما يتضمن نشاطا خطابيّا بين طرفين متنازعين حول رأي أو مسألة ما، ورغم ذلك لا يعني هذا وجود تطابق تام بين المفهومين حيث يظلّ الحجاج بمعناه العام أعمّ من الجدل، فهو لا يتسم بالصرامة المنطقيّة التي تميز الاستدلال الجدليّ لأنّ "قصد الحجاج توجيه المتلقي نحو فعل أو ترك، فغايته عملية، ولذلك يوظّف الإمكانات

[1]- الشريف الجرجاني، التعريفات،تحقيق ودراسة: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، مصر، ص 67.
[2]- مصطفى العطار، لغة التخاطب الحجاجي، دار كنوز المعرفة، ط1، 2017، ص 41.

الهائلة للغة الطبيعية المتسمة بالمرونة والالتباس، فيمزج بين الإقناع والاستمالة والتأثير"[1] مما يجعل الحجاج حاضرا في معظم الخطابات الإنسانية اليومية، فالتواصل البشريّ في مظاهره وأشكاله المختلفة قائم في أكثرها على الإستراتيجية الإقناعية .

صفوة القول، إنّ الحجاج نشاط قوليّ أعمّ من الاستدلال الجدليّ، فهو يرتبط بالجدل من جهة طُرُق الاستدلال الكفيلة بتحقيق الإقناع، ويرتبط بالخطابة من جهة اعتماده على توجيه المتلقيّ والمراهنة على الملابسات المقامية لأداء الوظيفة التواصلية.

2-2- الحجاج والبرهان:

ورد في لسان العرب "برهن يبرهن إذا جاء بحجة قاطعة للدّ الخصم"[2] فالبرهان إذن هو الحجة القاطعة التي يذعن لها الخصم .

لقد تمّ التمييز بين البرهان والحجاج، فإذا كان البرهان لا يفيد الاحتمال ولا يتعلق بمنتجه فإنّ الحجاج مرتبط بالباثّ، وبهذا "فإذا كان لا دخل له البتة في نجاعة البرهنة وصحة الاستدلال المنطقي فإنه يصبح أساسيا متى تعلق الأمر بتقنيات الإقناع في الخطاب الحجاجيّ" [3]وهذا يعني أنّ العملية الحجاجية ليست متعالية عن خصائص التواصل الإنسانيّ .

ولكون الحجاج إستراتيجية "تشتغل على آلية اللغة الطبيعية الموسومة بالتفلت والزئبقية، كان الالتباس خصيصة بؤرية من خصائص الحجاج"[4] ويرتبط هذا الالتباس بالاستعمال المجازيّ للغة، ويظلّ الحجاج فعاليّة خطابيّة مرتبطة بالاستعمال الإنسانيّ للغة، ولذلك لا يمكن فهم النشاط الحجاجيّ بمعزل عن المتغيرات المقامية.

---

[1]- عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع، ص 24.

[2]- ابن منظور، مادة برهن.

[3]- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، ص 34.

[4]- مصطفى العطار، لغة التخاطب الحجاجي، ص 67.

يتميز البرهان démonstration عن الحجاج بكونه عملية استدلالية قطعية ويقينية فطبيعته إذن صوريّة "تنهل من المنطق والرياضيات فتكون نتيجته قطعية تحتمل إما الصواب أو الخطأ بينما الثانية تشتغل على آلية اللغة الطبيعية الموسومة بالتفلت والزئبقية"[1] وعليه فمجال الحجاج أكثر اتساعا ورحابة لأنّه حاضر في مختلف الخطابات الإنسانية التي تستعمل اللغة الطبيعية عكس البرهان المرتبط بالرياضيات والمنطق.

والخلاصة أنّ المحاجج يجنح إلى كل ما هو ممكن، لذلك يستعين بفاعلية السياق في وضع الحجج المناسبة لإقناع المتلقيّ، فما يميز الحجاج عن الاستدلال البرهانيّ هو أنه يتأسس على نسبية معظم الحقائق التي نصادفها في حياتنا اليومية وهذا ما يتعارض مع صرامة البرهان.

2-3- الحجاج والإقناع:

تقوم بنية الحجاج النظرية على عدة أركان هي:[2]

- طرفا الحجاج.
- القضية المتنازع عليها.
- خطاب الحجاج.
- الإقناع .
- جمهور الحجاج: المخاطبون والمتلقون.

ومن هنا يظهر علاقة الحجاج بالإقناع، فالحجاج هو نشاط قولي يستعمله المرسل للتأثير في السامع فالغاية التي يرمي إليها المحاجج"هي تحقيق الاستمالة Adhérence استمالة المتلقي لما يعرض

[1]- مصطفى العطار، لغة التخاطب الحجاجي، ص 67.

[2]- هيثم سرحان، الخطاب الحجاجي في شعر بشار بن برد، مجلة جامعة أم القرى، العدد11، نوفمبر 2013، ص 80.

عليه من رأي أو دعوى thesis، والتأثير العملي في سلوكه، وبالجملة الإقناع"[1] فالإستراتيجية الخطابية في الخطاب الحجاجيّ قائمة على دفع المتلقيّ للقبول بالقضايا المطروحة .

يسعى الخطاب الحجاجيّ لتحقيق الإقناع، ويستعين في ذلك بفاعلية المقام والظروف المحيطة بعملية التخاطب إذ "ينبني فعل الإقناع وتوجيهه دوما على افتراضات سابقة بشأن عناصر السياق خصوصا المرسل إليه، والخطابات السابقة والخطابات المتوقعة."[2] فمنتج القول الحجاجيّ إذن يستثمر مقتضيات المقام لتحقيق فعالية الخطاب ونجاعته.

2-4- الحجاج والتداول:

يرتبط الحجاج بالتداول، فقد "كان للبحوث التداولية دورا كبيرا في تطوير بلاغة الحجاج في الربع الأخير من القرن العشرين عندما انفتحت نظرية الحجاج على المعارف اللسانية والبلاغية والاجتماعية وغيرها"[3] ولهذا الطرح ما يبرره، فالنشاط الحجاجيّ هو نشاط مرهون بالسياق مرتبط بمقصدية الخطاب، ولذلك لا يمكن فك شفرات التواصل الناجح إلاّ بالاستعانة بالبحوث التداولية التي اهتمت بتفعيل مقام الخطاب.

عرفت النظرية الحجاجية في العصر الحديث تطورا كبيرا، وكان للبحث التداوليّ الفضل في بعث مقولات بلاغة الإقناع، والحقّ أنّه لم "يثر الحجاج في الغرب اهتمام اللسانيين إلاّ مع تطور التداولية، على الرغم من أنه يشكل جزءا مهما في حياتنا اليومية "[4] ويؤكد ذلك على فضل البحث التداوليّ في تطوير الكثير من المفاهيم الحجاجية.

[1]- جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2000، ص107.

[2]- عبد الهادي الشهري، استراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد، ط1، 2004، ص444.

[3]- آمال يوسف المغامسي، الحجاج في الحديث النبوي – دراسة تداولية –، الدار المتوسطة للنشر، ط1، 2016، ص129.

[4]- عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، ص 125.

وهذا الطرح تدعمه فكرة ظهور نظرية الحجاج اللسانيّ القائمة على استثمار الجوانب التداولية للغة فالاعتقاد بأنّ "دراسة الحجاج في الخطاب اللفظي هو شأن التداولية له ما يبرره، إذ الفعل يخضع الخطاب الحجاجّي ظاهريا وباطنيا لقواعد وشروط التلقي، أي أن كلّ خطاب حجاجيّ تبرز فيه مكانة القصدية والتأثير والفعالية، وبالتالي قيمة أفعال الذوات المتخاطبة ومكانتها. هكذا ينتمي القول أو النص الحجاجيّ إلى مجال التداوليات"[1] فكل خطاب حجاجيّ يحتاج في قراءته وتحليل إستراتيجيته للمفاهيم التداولية باعتبارها تساعد محلل الخطاب على ضبط مقصدية النصوص.

وإجمالا، يقوم الحجاج على أساس الاعتبارات التداولية للخطاب، فهو يرتكز على مقتضيات المقام، وأدى هذا التواشج الحاصل بينهما لظهور ما يطلق عليه بالتداولية المدمجة التي وُلد من رحمها الحجاج اللغويّ، ونتج عن هذه التغيرات المعرفية عودة قوية لنظرية الحجاج التي استطاعت أن تربط المنجز النظري المحقق في مجال الإقناع بحقل بتحليل الخطاب.

إنّ الأبعاد التداولية للحجاج تظهر من خلال المستويات التالية:

- **مستوى أفعال الكلام:**

كان لهذه النظرية دورا هاما في الاهتمام بالتأثير الناتج عن التلفظ، وكان لأوستن وسيرل الفضل في التأسيس لهذا المبحث التداوليّ، ثم قام ديكرو بتطوير هذه الآراء حيث "اقترح في هذا الإطار إضافة فعلين لغويين هما: فعل الاقتضاء وفعل الحجاج"[2] ويعني ذلك أنّ أفعال الكلام ليست في الأخير سوى شكلا من أشكال التأثير في الغير.

[1]- آمال يوسف المغامسي، الحجاج في الحديث النبوي – دراسة تداولية، ص129.

[2]- ينظر، عبد الله صولة، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، المغرب، ط1، 2006، ص 15.

- **المستوى الحواري أو التحاوري:**

ويعتبر من أهم المستويات التداولية للحجاج "فالتفاعل القائم على الحوار بين المتكلم والمتلقي من شأنه تحقيق تواصل فعال بين الطرفين، وتحقيق مقاصد المتكلم، وإقناع المتلقي والتأثير فيه بما يضمن نجاح الخطاب الحجاجيّ، وهو مقصد التداولية."[1] ويظلّ الحجاج فعالية حوارية ترفض المغالطة والتضليل الكلامي والتلاعب بعواطف الجمهور .

- **مستوى السياق:**

يعتبر هذا المستوى بؤرة الإستراتيجية الإقناعية، فالمحاجج الناجح لا يمكن أن يهمل السياق في بناء خطابه المؤثر، ذلك لأنّ "السياق مؤطر تداوليّ لأي خطاب حجاجيّ وحسن توظيفه، واحترام حدوده من شأنهما أن يضمنا نجاح الخطاب الحجاجيّ، وسلامة المخطط الإقناعيّ"[2] فالمحاجج إذن يبني خططه الإقناعية وفق مقتضيات المقام التواصلي.

فالكفاية التداولية المرتبطة بمعرفة الملابسات السياقية هي من أهم الكفايات التي تضمن نجاعة الخطاب وقدرته على استدراج المتلقيّ، ويمكن القول: إنّ نجاعة الإستراتيجية الحجاجيّة مرهون بحسن استثمار العناصر اللغوية وغير اللغوية المشكلة لعملية التخاطب، فالسياق لا يؤطرّ الخطاب فقط، بل يمارس سلطته في انتقاء الاستدلال المناسب وفي الاختيارات المعجمية والأسلوبية التي يلجأ إليها المتكلم.

[1]- آمال يوسف المغامسي، الحجاج في الحديث النبوي، ص137.

[2]- المرجع نفسه، ص 135.

وتجدر الإشارة لارتباط الحجاج في جميع أشكاله الممكنة بالحوار، وللحوار مظاهر كثيرة أهمها:[1]

- **المقارعة الشخصية:** وهي نمط يسود فيه الاتهام والعنف اللفظي، لذلك اعتبر هذا النوع من الحوار فضاء مناسبا للسفسطة.

- **المنازعة الجدلية:** وهو نمط من الكلام، يستعين فيه المتكلم بالحجج للظفر بالمنازعة وكسب الجمهور السامع.

- **الحوار التفاوضي:** هو حوار يهدف إلى المنفعة الشخصية، لذلك يعتمد على المساومة.

- **الحوار النقدي:** وهو الصورة المثالية المعيارية للخطاب الحجاجي، ويعتمد المحاور مسلك التدليل على الدعوى، يهدف فيه كل طرف إلى إقناع الطرف الآخر.

ويمكن التمثيل على هذا النوع بمختلف خطاباتنا اليومية التي ندلي فيها بوجهات نظرنا انطلاقا من اختلافنا مع الغير في أفكاره وآرائه ومعتقداته، فهذه الملفوظات التي ننتجها قائمة في بنائها على إستراتيجية إقناعية صريحة أو مضمرة.

3- أنواع الحجاج:

يمكن تقسيم الحجاج إلى الأنواع التالية :

3-1-الحجاج البلاغيّ:

مثّلت البلاغة منذ القدم، وحتى عودتها من جديد في عصرنا، الإطار المثالي لنظريات الحجاج "فهي في جوهرها تأمل شامل حول الطريقة التي تبدأ من اكتشاف حجة ما وحتى قبولها، أو رفضها

[1]- ينظر، رشيد الراضي، السفسطات في المنطقيات المعاصرة التوجه التداولي الجدلي، ج3، ضمن المؤلف الجماعي: الحجاج مفهومه ومجالاته، إعداد وتقديم: حافظ إسماعيلي علوي،عالم الكتب الحديث، الأردن، ص ص 224-225.

من متلقيها"[1] فالحديث عن نظرية الحجاج ارتبط من منذ نشأتها بالبلاغة باعتبارها علما عتيقا اهتم برصد وتحليل مكونات الجنس الخطابيّ .

تعود أصول نظرية الحجاج البلاغيّ إلى أرسطو الذي اتسعت معه البلاغة لتشمل خطابات مختلفة: قضائية،استشارية واحتفالية، واعتمدت هذه البلاغة على ثلاثة أنواع من الحجج "تلك التي تعتمد على شخصية الخطيب l'éthos، وتلك المعتمدة على محتوى الخطاب ذاته le logos، وأخيرا تلك المعتمدة على مشاعر المتلقي le pathos"[2] ويظهر هذا التصنيف إحاطة مبكرة بأهم عناصر الخطاب الحجاجيّ .

لقد عاد الحديث في العصر الحديث عن الحجاج في البلاغة الجديدة مع بيرلمان الذي يندرج عمله بالكامل في الإرث الأرسطي "فنقطة انطلاق البلاغة الجديدة، وذلك مثل القديمة، هو التمييز الذي أقامه أرسطو بين الاستدلال التحليلي والاستدلال الديالكتيكي. الأول مرتبط بالصواب والمنطق، أما الثاني فينطلق من المقدمات التي تتشكل من الآراء المقبولة عموما والقابلة للصواب" [3].

ولـمّا كان مجال الحجاج هو المتوقع والمحتمل، فقد استعان بكل ما هو بلاغيّ للتأثير في المتلقيّ لأنّ البلاغة وسيلة من وسائل الإقناع، ولذلك لا يمكن للخطاب الحجاجيّ أن يستغني عنها فهدف النص الحجاجيّ يظلّ يتوخى الإقناع، وهو "هدف يتحقق عبر توسل أدوات وأساليب بلاغية (أي لغوية، تركيبية، بيانية،...)"[4] فالمكون البلاغي إذن يوجه الملفوظ الإقناعي نحو النتيجة المقصودة.

وإجمالا، تركز البلاغة الجديدة على الجانب الحجاجيّ للخطاب، ويظلّ المجال المفضل للحجاج هو البلاغة، فبالرغم من تركيز البحوث الحجاجية على البنية الإقناعية المرتبطة بالمنطق، إلّا أنّها لا تهمل دور أساليب الإمتاع في تحقيق التأثير لدى المتلقين، ونضرب مثالا على ذلك بحجاجية

[1]- فيليب بروتون وجيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، ص 17.

[2]- المرجع نفسه، ص 32.

[3]- المرجع نفسه، ص 42.

[4]- صابر الحباشة، محاولات في تحليل الخطاب، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 2009، ص117.

صور المجاز التي "تتنوع وظائفها داخل القول الحجاجي والعمليات الاستدلالية حسب الأهداف المتوخاة من استعماله، فمنها هو متعلق بالقول الحجاجيّ نفسه كالتكثيف والتزين،ومنها ما هو متعلق بالسامع كتحريك مخيلته،ومنها ما هو متعلق بالمقام أو الواقع الخارجيّ كإبداع صور جديدة لمعالجة بعض القضايا والوقائع"[1] ويعني هذا أنّ مختلف الوجوه البلاغية في الخطاب الحجاجيّ ذات وظيفة إقناعية تأثيرية.

وبالنظر إلى البلاغة بكونها علما يهتم بالخطاب الإقناعيّ، "يصبح لكل تركيب من تراكيب علوم البلاغة المختلفة علم المعاني وعلم البيان، قوة حجاجية تداولية، ومقدرة إقناعية تختلف باختلاف سياق الحديث وما يقتضيه حال المتلقي"[2] ويتضح من ذلك أنّ علم المعاني وعلم البيان يعتمدان على مراعاة ظروف السامع في تحقيق التأثير، وعليه لا مناص من الاستعانة بهما في بناء الخطاب الحجاجيّ.

والأمر ذاته يقال عن المستوى البديعيّ في الخطاب الحجاجيّ، "إذ إنّ لها دورا حجاجيا لا على سبيل زخرفة الخطاب، ولكن بهدف الإقناع والبلوغ بالأثر مبلغه الأبعد، حتى لو تخيل الناس غير ذلك. والبلاغة العربية مليئة بهذه الصور والإمكانات، ومليئة بالشواهد التي تثبت أنّ الحجاج من وظائفها الرئيسية"[3] فألوان البديع المختلفة لا تستعمل في القول الحجاجيّ لتحسين المعنى أو الأسلوب، بل تضطلع – إلى جانب المكونات الحجاجية المبثوثة في النصّ– بوظيفة إقناعية.

وخلاصة الأمر: إنّ الصوّر البلاغيّة من الوسائل اللغويّة التي يستعين بها المتكلم لتحقيق أهداف تواصلية مرتبطة بمقام المتلقي، ونظرا لأهميتها سعت البلاغة الجديدة لدراسة بلاغة الصور وفق منظور حجاجيّ.

[1]– عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، ص 122.

[2]– أحمد فهد صالح شاهين، النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، عالم الكتب الحديث، ط1، 2015، ص ص 65-66.

[3]– عبد الهادي الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص ص497-498.

3-2-الحجاج اللغويّ:

تهدف نظرية الحجاج اللغويّ إلى رصد المظاهر الحجاجية في اللغة، فهي "تسعى إلى اكتشاف منطق اللغة أي القواعد الداخلية للخطاب والمتحكمة في تسلسل الأقوال وتتابعها بشكل متنام وتدريجي. وبعبارة أخرى، يتمثل الحجاج في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب"[1] ويعني هذا أنّ الخطاب الحجاجيّ يحمل في بنيته الداخلية مؤشرات لسانية توجه الملفوظ نحو نتيجة محددة دون أن يكون لذلك علاقة بالسياق الخارجي، وأدى هذا الطرح المنهجيّ الجديد إلى تجاوز ربط الحجاج بالطابع البلاغيّ فقط.

تطوّرت هذه النظرية بفضل جهود أنسكومبرو ديكرو اللذين استفادا من نظرية أفعال الكلام في دراسة الفعل الحجاجيّ للملفوظات. لقد سعى ديكرو لوضع المفاهيم الأساس لنظرية الحجاجية اللسانية "هذا ما تعكسه مفاهيم مثل الحجاج الموجب والحجاج السالب والفرضيات الموجهة والروابط والإرشادات التلفظية، والإرشادات الحجاجية والوسم الحجاجي والسلميات الحجاجية"[2] وتظهر جميع هذه المقولات أهمية البعد اللغويّ في توجيه الملفوظ الحجاجيّ.

يعتبر جاك موشلر Jaques Moeschler من الذين اهتمّوا بالمقاربة اللسانية للحجاج وانطلق في ذلك من أهمية مقولات التداولية المدمجة في وصف بنيات الخطاب الحجاجيّ، فاعتبر أنّ السمة الحجاجية للملفوظات لا تتحقق إلّا بفضل المعطى اللسانيّ الذي يؤسس للعلاقة الحجاجيّة القائمة بين الحجج والنتيجة التي يروم المتلفِظ بالخطاب الوصول إليها.

وضع "موشلر" نظرية الحجاج أمام رهانين هما:[3]

- أن تسمح بتلخيص خصائص نظرية القول.
- أن تحاج من أجل تداوليات مدمجة.

---

[1]- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 08.

[2]- حسن مسكين، مناهج الدراسات الأدبية الحديثة من التاريخ إلى الحجاج، ص 161.

[3]- محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط01، 2005، ص 114.

3-3- الحجاج المنطقي:

ومن أهم آلياته القياس، وهو "آلية أساسية من آليات الذهن البشري، تقوم بالربط بين شيئين على أساس جملة من الخصائص المشتركة بينهما، للوصول إلى استنتاج ما، بألفاظ فيها شيء من الالتباس والاشتراك"[1] فالقياس إذن من أهم الوسائل الحجاجية التي تحقق الإقناع، ولذلك يستعين به المحاجج في إستراتجيته الخطابية للتأثير في المتلقي .

تعتبر مقاربة تولمين TOULIMIN من أهم المقاربات التي نظرت إلى الحجاج من زاوية منطقية انطلاقا من اعتبار المنطق "نظام استعادي تبريري، يهتم بالحجج التي تضفي الشرعية على النتائج وتبرر مقبوليتها، ويتسم بكونه سلوكا عمليا مماثلا لنظرية القانون"[2] ويعني ذلك أنّ تولمين يقرّ بأهمية الحقل المنطقيّ في الحجاج .

اهتمّ تولمين بصيغ الحجاج المختلفة، والمصطلحات المرتبطة بها، فكان "يطرح من ضمن ما يتناوله الاستحالة الرياضية. بهذا يتضح أنّه يعتقد بوجود حجج منطقية، وبالتالي حقل منطقي للحجاج"[3] واستنتج تولمين أنّ الحجج التعليلية هي أهم الحجج التي يقوم عليها الخطاب الإقناعيّ .

وتجدر الإشارة أنّ غرايس Grize تأثّر أيضا بالطرح المنطقيّ للحجاج، ويتضح ذلك من خلال اعتماده على المنطق الطبيعيّ في دراسته للعملية الحجاجية، ففعل الإقناع عنده مرتبط بصياغة الحجج وفق إطار منهجي يجمع بين المنطق الصوريّ و البعد البلاغيّ المميز للغة الإنسانية.

[1]- عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، ص 91 .

[2]- محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، ص 68.

[3]- فيليب بروتون وجيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، تر: محمد صالح ناحي الغامدي، ص 62.

ثانيا– خصائص الخطاب الحجاجي ومبادؤه:

1– خصائص الخطاب الحجاجيّ:

يتميز الخطاب الحجاجيّ عن غيره من الخطابات بمقصده الإقناعيّ، وبإستراتيجيته الخطابية التي تتوخى استمالة المتلقي، ويُتأتى له ذلك بفضل السّمات التي تميزه عن غيره من الملفوظات، ومن أهمّ هذه السمات:[1]

- **القصد المعلن**: أي إحداث أثر ما في المتلقيّ بإقناعه بفكرة معينة.
- **التناغم**: يوظف المحاجِج التسلسل الذي يحكم ما يحدثه الكلام من تأثيرات سواء تعلق الأمر بالفتنة أو الانفعال.
- **الاستدلال**: فالحجاج إذا أعدناه إلى أبسط صوره وجدناه ترتيبا عقليا للعناصر اللغوية.
- **البرهنة**: وإليها ترد كلّ آليات الإقناع.

إنّ فعاليّة الخطاب الحجاجيّ قائمة على توظيف وسائل الإقناع وتقنياته، وعلى استثمار الأبعاد التداولية للخطاب، وعلى استحضار المتلقيّ بصفة صريحة أو ضمنية، فالمحاجِج يسعى جاهدا لاستثمار المقدمات التي يقرّ بها المستمِع لنقل التصديق الحاصل فيها إلى غيرها من القضايا الخلافية وفي الإستراتيجية الحجاجية يركّز المتكلم دائما على وجهات النظر المختلفة لأنه في العملية الإقناعية"نحاجج غالبا الآراء أكثر مما نحاجج الحقائق والأخطاء. فالحقائق والأخطاء متروكة للعلوم التي تمتلك أحسن الوسائل لإثباتها"[2] ولذلك يتمّ الحديث في الحجاج عن الاستدلال الخطابيّ الذي يتسم بالمرونة والتفاعل.

[1]– ينظر، سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، ص ص 26-27.

[2]– فليب بروطون، الحجاج في التواصل، ص 23.

يعتمد التواصل الحجاجي على نجاعة الحجج المرتبطة بسياق استعمالها، ويمكن تمثيل ذلك بالخطاطة التالية ما يلي :[1]

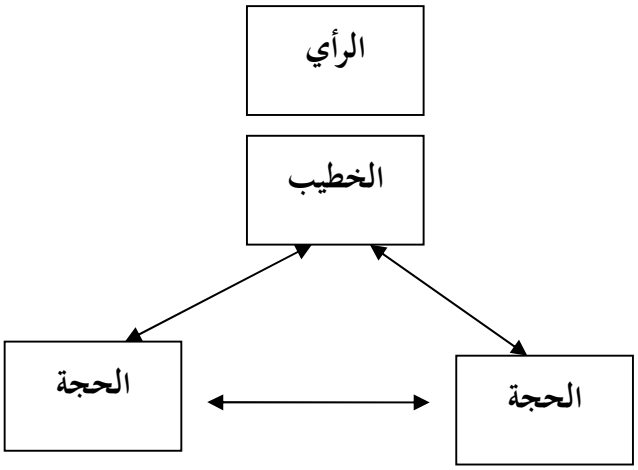

سياق التلقي

وتظهر هذه الخطاطة ضرورة التمييز بين الرأي والحجة، ولكن تظلّ الحجة المعروضة منسجمة مع الرأي، ويبقى الخطاب الحجاجيّ مرتبطا بسياق المستمِع.

يرتبط الحديث عن الحجاج بدائرة الممكن والمحتمل، ومن ثمة لا يمكن ردّه إلى قالب البرهنة المنطقيّة التي تتسم بأربعة خصائص:[2]

أ- **التواطؤ**: ونقصد به أن قواعد البرهان خالية من اللبس الدلالي.

ب-**الصورية**: فالدليل البرهانيّ يمكن ردّه إلى جملة من الصوّر التي تستغني بشكلها وترتيبها عن اعتبار المضمون الدلاليّ للألفاظ والعبارات.

ج- **القطعية**: فنتائجه ترفض الاحتمال.

د- **الاستقلال**: يستقل البرهان عن صاحبه ما إن ينتهي من صياغته.

[1]- فيليب برطون، الحجاج في التواصل، ص36.

[2]- هاجر مدقن، مصطلحات حجاجية، مجلة مقاليد، العدد1، جوان2011، ص34.

إنّ الخطاب الحجاجيّ لا ينشد الدقة والصرامة المميزة للبرهان،بل يتسم بالمرونة واستثمار الخصائص السياقية المؤطرة لعملية التخاطب، فالمسار الإقناعيّ يتغير بتغير وضعيات المتلقي ومنطلقات الحجاج تتحدد بمعرفية هوية المتخاطبين "ذلك أن وضعية كل من طرفي الخطاب ونوع العلاقة بينهما تشكلان نقطتي اختلاف رئيسيتين بين البرهنة الرياضية أو المنطق الصوري من جهة والحجاج من جهة أخرى"[1] فالخطاب الحجاجيّ لا يكون ناجعا إلا إذا استثمر فاعلية السياق لأنّه لا يمكن إقناع المتلقي إلاّ بمعرفة أحواله.

إنّ أهمّ خاصية في الخطاب الحجاجيّ هي سعيه لإقناع المستمع، فالهدف إذن في الحجاج هو إشراك المتلقيّ فيما يعتقده المرسل من أفكار وآراء "ولهذا لا يذهب الظن بالقارئ أنّ المرسِل يرسل خطابه إلى المتلقي جُزافا دون قصد، إذ إنّ من وراء هذا الإرسال هدفا هو التأثير والإقناع والاستمالة"[2] فنجاح الخطاب الإقناعيّ إذن مرتبط دوما بالتكيف مع حاجات المتلقيّ وأفق انتظاراته.

يظلّ الحجاج مشدودا بغاية استدراج المتلقي، فالمحاجِج لا يبني خطابه عبثا، بل يسعى جاهدا للتأثير في المتلقيّ، وانطلاقا من هذه العلاقة التي تربط طرفي الخطاب، يمكن اعتبار الحجاج بحثا تأثيريا "يتجه نحو (مثال من الإقناع)، يتمثل في مقاسمة طرف آخر (الطرف المحاور أو المرسل إليه) نوعا من الكون القوليّ، إلى حد يصبح فيه ذلك الطرف الآخر مستدرجا نحو الأخذ بنفس الأقوال التي كان يتلقاها" [3] ويتم هذا الاستدراج بفضل البناء الحجاجي للخطاب.

وقد تتظافر في هذه الإستراتيجية الخطابية أساليب الإقناع بأساليب الإمتاع للتأثير على المتلقيّ واستدراجه للقبول بالقضية المطروحة.

[1]- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، ص34.

[2]- مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، منشورات الاختلاف، ط1، 2015، ص17.

[3]- باتريك شارودو، الحجاج بين النظرية والأسلوب، ص15.

إنّ فعالية الخطاب الحجاجيّ ترتبط بسمة الاختلاف الكامنة فيه "فالحجاج لا يكون فيما هو يقيني أو إلزامي، فنحن لا نحاجج في أمر مأخوذ على أنّه حقيقة يقينية راسخة ،كالحقائق الرياضية مثلا أو في أمر مأخوذ على أنه أمر صارم واجب النفاذ"[1] وإنّما يكون الحجاج فيما هو محتمل، وهذه السّمة تؤكد أنّ النشاط الحجاجيّ لا يكون إلاّ مع وجود الاختلاف.

ومن الواضح أنّ خصوصية الخطاب الحجاجيّ تكمن في كونه قائما على البناء والدينامية فليس هناك حجاج جاهز "بل هو عملية يتم بناؤها تدريجيا وتتطلب تكيفا مستديما لعناصرها"[2] فالإستراتيجية الحجاجية قائمة على تخطيط المحاجج.

يتحدد الخطاب الحجاجي عند باتريك شارودو في علاقة ثلاثية: فاعل محاجج وخبر عن العالم و فاعل مهتم بالخبر نفسه ويمكن تمثيل ذلك في الخطاطة التالية:[3]

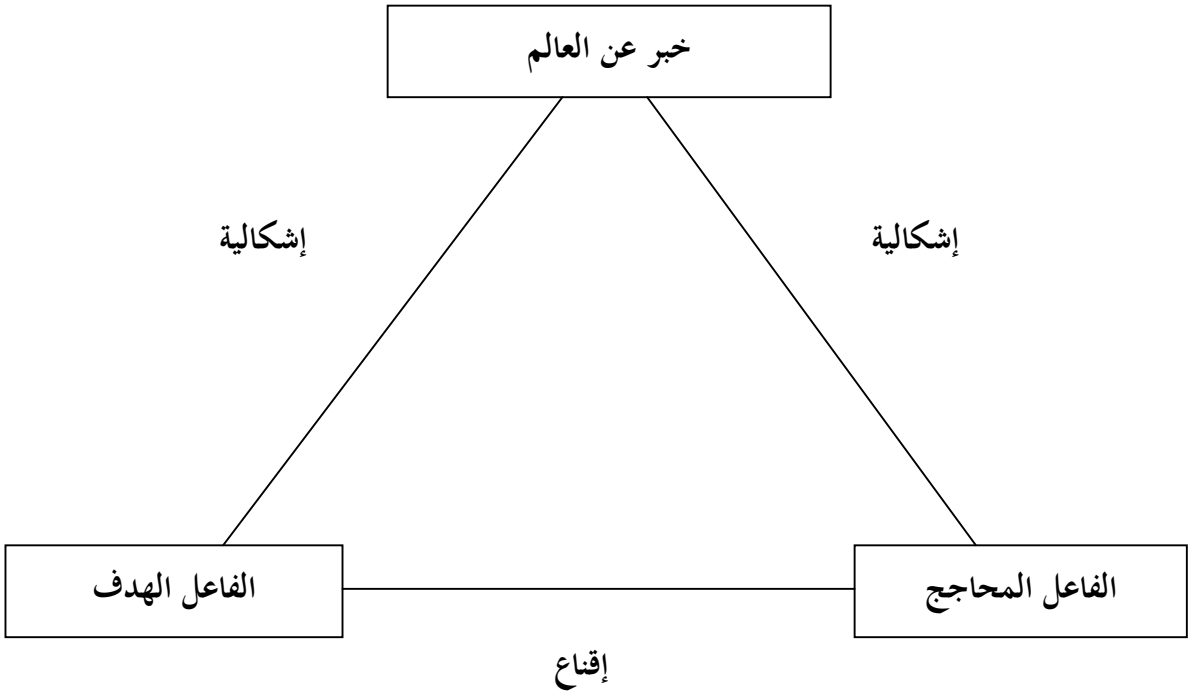

[1]- جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، ص 106.

[2]- عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، ص 129.

[3]- ينظر، باتريك شارودو، الحجاج بين النظرية والأسلوب، ص 14.

2- التواصل الحجاجيّ ومبادئ التخاطب:

يتميز النشاط الحجاجيّ بكونه فعالية خطابيّة قائمة على مجموعة من العناصر، يمكن تمثيلها في الخطاطة التالية:[1]

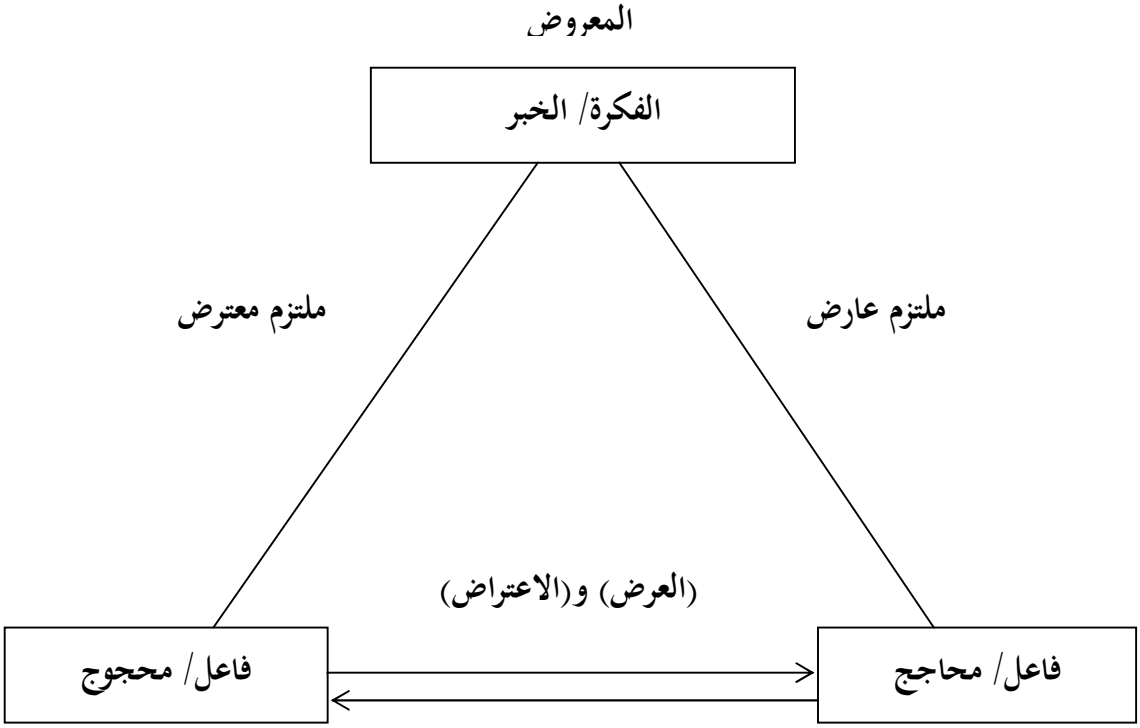

وعلى ضوء هذه العناصر اهتمّ منظري الحجاج بمبادئ التواصل الحجاجيّ التي ينبغي لطرفي الخطاب الالتزام بها، ويمكن القول إنّ البحوث المعاصرة ذات التوجه التداوليّ هي أهم ما أنجز حول هذا الموضوع، ويمكن التمثيل على ذلك بمبادئ التخاطب التالية:

أ-مبدأ التعاون: الذي وضعه الفيلسوف اللّساني غرايس وهو مبدأ تداوليّ ينطلق من "أنّفهم الملفوظات وتأويلها لا يعتمد فقط على معنى الجملة والسياق سواء اللسانيّ وغير اللسانيّ وإنما يرتكز أيضا على ما يبذله المتحاورون من مجهودات لإنجاح التواصل."[2]

[1]- محمد بن سعد الدكان، الدفاع عن الأفكار تكوين ملكة الحجاج والتناظر الفكري، مركز نماء للبحوث والدراسات، السعودية، ط1، 2014، ص101.

[2]- جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، دار كنوز المعرفة، ط1، 2016، ص101.

يرتبط المقام الحجاجي بهذا المبدأ باعتباره قائما على تفاعل طرفي الخطاب الذين يحرصان على احترام هذا القانون الخطابيّ المهم الذي يضمن نجاح التبادل الكلاميّ ، فالغاية إذن من مبدأ التعاون هو تحقيق فعالية الخطاب .

قسّم غرايس القواعد المنظمة لهذا المبدأ إلى أربعة أقسام:[1]

- مبدأ الكم: ويضبطه قانونين هما:
  - لتكن إفادتك للمخاطب على قدر حاجته.
  - لا تجعل إفادتك تتعدى القدر المطلوب.
- قاعدتا كيف الخبر: وهما
  - لا تقل ما تعلم كذبه.
  - لا تقل ما ليس لك عليه بينة.
- قاعدة علاقة الخبر بمقتضى الحال: وهي ليناسب مقالك مقامك.
- قواعد جهة الخبر: وهي
  - احترز من الخفاء في التعريف.
  - تكلم بإيجاز.
  - احترز من الاشتباه في اللفظ.
  - رتب كلامك.

هذه القواعد المتفرعة عن مبدأ التعاون تسعى لضمان التفاعل الحجاجّي بين طرفي الخطاب الناجح، لذلك يؤدي خرق أحدها إلى اختلال التواصل الحواريّ، وفي هذا الصدد تعتبر أوريكيوني أنه "إذا امتنعنا بإصرار عن التعاون، يعلق التبادل التواصليّ لا مناص، على حساب المخاطب، ولكن

[1]- ينظر، طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص ص 238-239

أيضا على حساب المتكلم"[1] ويؤكد هذا القول أهمية التزام منتج الخطاب ومتلقيه بمبدأ التعاون لإنجاح التفاعل اللفظيّ الحاصل بينهما، وحين يتمّ الحديث عن الخطاب الحجاجيّ، يكون الحرص على هذا المبدأ أولى لتحقيق حوار فعّال.

ب – مبدأ التأدب: ويعود الفضل لروبين لاكوف Lakoff في وضع هذا المبدأ التداولي الذي يقتضي "أن يلتزم المتكلم والمخاطب في تعاونهما على تحقيق الغاية التي من أجلها دخلا في الكلام، من ضوابط التهذيب ما لا يقل عما يلتزمان به من ضوابط التبليغ"[2] وقد تفرعت عن هذا المبدأ ثلاثة القواعد تتمثل في:

- **قاعدة التودد:** وتساهم هذه الإستراتيجية الخطابية في كسب رضا المتلقي والتأثير عليه
- **قاعدة التعفف:** وهي تقتضي أن يبتعد المتكلم من عبارات الطلب المباشر ومن فرض نفسه على المرسل إليه، فهو مبدأ يرفض إكراه المتلقي.
- **قاعدة التخيير:** وهي "لتجعل المخاطب يتخذ قراراته بنفسه، ودع خياراته مفتوحة"[3] ويعطي هذا المبدأ دورا للمرسل إليه في الخطاب مما يسهل الحركة الحجاجية.

يتضح جليّا من خلال القواعد المنظمة لمبدأ التأدب أهمية هذا المبدأ الخطابي في تحقيق تبادل خطابيّ مثمر وتجدر الإشارة أنّ التزام المحاجج بمبدأ التأدب يضمن نجاح سعيه لتعديل المسافة التي تفصله عن متلقيه وحينها يتم الحديث عن حجاج اختياري بعيد عن الإكراه أو العنف اللفظيّ.

[1] – كاترين كيربرات – أوركيوني، المضمر، تر: ريتا خاطر، المنظمة العربية للترجمة، ط1، 2008، ص348.
[2] – طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص 240.
[3] – عبد الهادي الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 100.

ج- مبدأ التواجه: وهو من المبادئ الخطابية التي وضعها براون وليفنسون لتنظيم الفعل التداولي "وينبني هذا المبدأ على مفهومين أساسيين: أحدهما مفهوم الوجه، والثاني مفهوم التهديد "[1].

ويقتضي هذا المبدأ من المحاجج أن يقرّ بوجود الآخر المشارك في التفاعل الحجاجي ويعترف له بحقه في الاختلاف، وقد تفطن العلماء العرب منذ القدم لأهمية هذا المبدأ.

وضع الباحثين إيمرين وغروتندوست عشرة قواعد لنجاح النشاط الحجاجي السوّي:[2]

- ينبغي على كل مشارك أن لا يحرم الطرف الآخر من تدعيم أو نقد الدعاوى المعروضة.
- كل طرف ملزم بالمدافعة عن دعواه.
- إن نقد الدعوى ينبغي أن لا يخرج عن الدعوى المعروضة فعلا.
- لا تتحقق الدعوى إلا باعتماد أدلة مناسبة لها.
- يمكن لأي شخص أن يلزم بالمقدمات التي تركها ضمنية.
- ينبغي الإقرار بأن المدافعة عن الدعوى قد كانت مقنعة غدا توسلت بحجج تجد أصلها في مقدمة مشتركة.
- أن تعتمد الحجج على خطاطة حجاجية مقبولة من الطرفين.
- الحجج المعتمدة يجب أن تكون صحيحة أو في حكم الصحيحة.
- تنتهي المدافعة بعدول أحد الطرفين عن دعواه.
- ينبغي أن تكون الأقوال واضحة بعيدة عن الغموض والالتباس.

وهذه هي أهم الشروط التي تضمن حصول تواصل حجاجي ناجح ، فهي إذن تعطي نموذجا مثاليا لتفاعل لفظي تحركه قضايا خلافية تدور حول مواضيع تحتمل وجهات نظر مختلفة، فأساس نجاح الخطاب الإقناعي هو الالتزام بأخلاق ومبادئ التواصل، فضلا عن مراعاة قواعد الاستدلال الصحيح حتى لا يقع طرفا الخطاب في السفسطة والمغالطة والتضليل.

[1]- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص 243.

[2]- ينظر، رشيد الراضي، السفسطات في المنطقيات المعاصرة التوجه التداولي الجدلي، ج3، ص 233-234.

ثالثا – النظرية الحجاجية في السياق الغربي:

ارتبط الحجاج في بدايته بالحياة الديمقراطية في البيئة اليونانية "وذلك حين تحررت جزيرة صقلية من قبضة الاستبداد الذي فتك بالشعب الصقلي الذي ثار وهبّ للدفاع عن حقوقه"[1] ومن أهم هذه الحقوق: استرجاع ملكية الأراضي، وكان ذلك يتطلب من الشخص أن يكون فصيحا حتى يقنع الآخرين بمشروعية مطالبه.

في هذه الفترة التاريخية ظهر السفسطائيون الذي تحكّموا في أساليب الخطاب، ولكنّهم اعتمدوا على التملق لذلك كان أفلاطون يناهض هذا التيار الذي يزيف القول ويعتمد على حجاج "يقوم على التملقFlatterie، والتملق تسلط بالقول ماكر مقنع"[2] فهو إذن يندرج ضمن الاستراتيجيات المغالطية التي تمارس الإيهام والتضليل .

استعانت الاتجاهات السفسطائية في خطاباتها بالجدل التضليليّ القائم على "التدليس والخداع والتمويه، وسائر ضروب الغش، جدال يتلبس أشكال المنطق. ليست الجدلية السفسطائية بعلم إنما هي مهارة وحرفة وبراعة، تهدف إلى التجادل والتنافس والتبارز، والتبرير من أجل التغلب على الخصم ومضايقته أو الاستهزاء به"[3] أي إنها تتبع طرقا استدلالية تمويهية لاستدراج المتلقي والتأثير عليه.

تصدّى أفلاطون لهذه الممارسة الحجاجية السفسطائية، وخصّص لذلك محاورتين اثنين هما "جورجياس" و"فيدر"؛ نقد فيهما القول الخطبيّ السفطائيّ" وعبّر عن ازدرائه الشديد لها بسبب علاقاتها الحميمية مع الحشود التي لا تستسيغ إلاّ المعرفة العامية غير القابلة للفحص ونفورها من الفلسفة، بل من التفكير والتأمل النقديّ الهادئ. ولكونها تتعارض مع العدل والتحامها بكل ما هو

[1] – محمد بن سعد الدكان، الدفاع عن الأفكار، ص47.

[2] – هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، ضمن المؤلف الجماعي أهم نظريات الحجاج الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص84.

[3] – كلود يونان، التضليل الكلامي وآليات السيطرة على الرأي، دار النهضة العربية، ص27.

نزويّ"[1] وحتى يخرج أفلاطون الخطابة من هذا المأزق، حاول ترويضها بالفلسفة، فجعلها قائمة على الجدل.

1- بلاغة الخطابة عند أرسطو:

إذا كان أفلاطون قد اقترح تذويب الخطابة في الجدل، فإن أرسطو خالفه في ذلك "واعتبر أنّ الإنسان في حاجة إلى القول الخطبيّ حاجته إلى القول الجدليّ، فكلّ منهما ضروري ولكلّ منهما-في إطار تصوره لتوزيع الأقاويل- مجالات استعمال خاصة به"[2] وهذا هو المنعرج المعرفيّ الهام الذي ساهم في مسار تطور نمطين حجاجيين جامعين هما الجدل والخطابة.

يعتمد الحجاج في مشروع أرسطو على أركان ثلاثة: القائل والسامع والقول، ولذلك قسّم الحجج إلى الأنواع التالية:

- **أخلاق الخطيب (الايتوس)**: يقوم النشاط الحجاجيّ على دور المتلفظ باعتباره الفاعل المحاجج، ولذلك اشترط أرسطو على المتكلم أن يتحلى بثلاث خصال هي: اللب والفضيلة والبر.
- **إنفعالات المتلقي (الباتوس)**: يقوم الخطاب الحجاجيّ على استمالة المتلقيّ وتغيير معتقداته ودفعه إلى العمل، وذلك يقتضي معرفة الذات التي يتوخى المتكلم التأثير فيها،فالخطيب الناجح هو الذي يجعل المتلقيّ ينفعل انفعالا يخدم النتيجة التي يتوخى الخطاب الوصول إليها.
- **اللوغوس**: وهي حجج ترتبط بالمنطق، وتظهر الكفاءة الخطابية للمتكلم على الاستدلال وتتضح هذه الحركة الحجاجية من خلال "القياس المضمر ويقابله في المنطق الصوري

[1]- محمد الولي، تأملات في محاورتي أفلاطون جورجيا سوفيدر، ضمن المؤلف الجماعيّ: البلاغة والخطاب، ص81.

[2]- هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، ضمن المؤلف الجماعي: أهم نظرية الحجاج الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص116.

الاستنباط، والمثل ويقابله في المنطق الصوري الاستقراء"[1] ويعتمد هذين الإجراءين على سبل عقلية تضفي الإقناع على الخطاب.

ويؤكد أرسطو أنّ الخطابة فن إقناعيّ خالص، يحصل الإقناع فيه بتظافر الأركان السابقة: اللوغوس والباتوس والإيتوس .

جعل أرسطو للقول الخطبي ثلاثة أنواع :[2]

- خطابة متعلقة بالخطاب السياسيّ وبالمداولات الجماعية وهي الخطابة المشورية.
- خطابة متعلقة بمجال المرافعات القضائية ومقامات الاتهام والدفاع وهي الخطابة المشاجرية.
- خطابة متعلقة بالمحافل الجماهرية وتكون مدحا أو ذما وهي الخطابة التثبيتية .

ويظهر هذا التصنيف وعيا مبكرا بأنواع الخطاب وخصوصية الإستراتيجية الإقناعية الموظّفَة فالمشروع الحجاجيّ لأرسطو مبني على مراعاة موضوع الخطاب ونوع الجمهور المستهدف، وهكذا اتسعت خطابة أرسطو للمجالات الإنسانية الرحبة التي يغلب عليها طابع الظن والاحتمال فموضوع الحجاج مرتبط بما هو ممكن، ولا يعني هذا أنّ النشاط الحجاجيّ يشتغل في أطر لا حدود لها، بل هو يرفض المراوغة واستدراج السفسطائيين وخططهم الكلامية القائمة على الإيهام.

اهتمّ أرسطو بالبعد الإقناعيّ للقول الخطبيّ، لذلك ركّز على نظام الخطاب الذي يميز الخطابة فاعتبر أنّها قائمة على أقسام ثلاثة :[3]

[1]- عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع، ص89.

[2]- المرجع نفسه، ص65.

[3]- ينظر، حمادي صمود، في الخلفية النظرية للمصطلح، ضمن المؤلف الجماعيّ: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص ص14-16.

- **البصر بالحجة:** والمراد به حسن التدبير في انتقاء الحجج المناسبة لسياق الاحتجاج.
- **ترتيب الأقسام:** والمقصود به ترتيب الحجج ووضعها في المكان المناسب لها.
- **العبارة:** وفي هذه المرحلة يتمّ اختيار اللفظ المناسب للحجج بعد أن تم الظفر بها وترتيبها.

سعى أرسطو للاهتمام بالحجج التي يستعين بها المتكلم في بناء خطابه الإقناعيّ، واعتبر أنّ الخطيب يلجأ إلى نوعين من الحجج:

- **الحجج والأدلة الصناعية:** وهي تصديقات يعتمد في بنائها على مفهوم الموضع (Topos) الذي "يدلّ على قضية عامة جدا منها يولد عدد غير متناه من المقدمات، ويدل على شكل القياس الذي نستعمله في كل قصية من تلك القضايا العامة جدا"[1] فالمواضع إذن هي المستودع الذي تشتغل ضمنه حجج المتكلم ولأهميتها في الخطاب الاقناعيّ خصّص لها أرسطو مؤلفا وسمه بالمواضع.
- **الحجج والأدلة غير الصناعية:** وهي "عناصر جاهزة تستمد من القول الاجتماعيّ"[2] ولهذه الممارسات الخطابية دورا هاما في بناء الإستراتيجية الإقناعية، وتحقيق نفعية الخطاب.

ربط أرسطو القول الخطابيّ بالقيم، فجعله فعلا أخلاقيا بالدرجة الأولى، واعتبر أنّ القيم هي مجال الإقناع، لذلك تعتمد الخطابة على القيم باعتبار الخطابة عنده "قوة تتكلف الإقناع الممكن"[3] وإجمالا، أرجع أرسطو للقول الخطبي وظيفته في المجتمع الإنساني، ورفض أن يذيب

[1] – هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، ضمن المؤلف الجماعي أهم نظريات الحجاج الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص196.
[2] – عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع، ص66.
[3] – أرسطو، الخطابة، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات الكويت ودار القلم لبنان، 1979، ص09.

الخطابة في الفلسفة كما فعل أستاذه أفلاطون، ورفض أيضا أن تكون خاضعة لتملق السفسطائيين.

2- البلاغة الجديدة عند برلمان:

إنّ بلاغة الحجاج التي أسّسها أرسطو تعرضت للأفول بعد هيمنة الدراسات الأسلوبية على البحث البلاغيّ، لكن هذا الوضع لم يعد قائما مع ظهور " كتاب مصنف الحجاج : البلاغة الجديدة لشاييمبيرلمان C.Perelman ولوسي أولبرخت تيتيكا L.Olbrechts – Tyteca وكتاب استخدامات الحجاج لتولمين S.E.Toulmin دون أن نغفل الدور الذي اضطلعت به التداوليات La pragmatique في تغذية الدراسات البلاغية الحجاجية"[1] وفي ظِلّ هذه التطورات المعرفيّة انبعثت بلاغة الحجاج من جديد.

لا يمكن فهم نظرية برلمان المؤسسة للبلاغة الجديدة إلاّ بالإحاطة بالواقع المميز للثقافة الغربية المعاصرة وهو واقع الديمقراطية وقبول التعدد والاختلاف في مختلف مجالات الحياة "حيث أدى هذا الواقع إلى تكون تيارات وأحزاب ومدارس متباينة ومتضادة. تسعى كل واحدة منها إلى نشر ما لديها من فكرة أو معتقد أو بضاعة في سياق من الحرية"[2] وفي ظلّ هذا التعدد الثقافي ،ازدهرت الدراسات الحجاجية.

سعى برلمان لتأسيس مفهوم جديد للبلاغة "يتجاوز به قصور البلاغة الغربية التقليدية، التي ارتبطت أكثر ما ارتبطت بالخطابة"[3] فبلاغة الحجاج عند برلمان تختلف عن الخطابة من زاويتين:

[1]- فيليب بروطون، الحجاج في التواصل، ص12.

[2]- جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، ص115.

[3]- بشير دردار، استلهام التراث البلاغي الغربي في التأصيل المعرفي لنظرية البلاغة الجديدة، مجلة التعليمية، المجلد 6، العدد1، ص112.

الأولى: من حيث الجمهور فإذا كانت الخطابة تستدعي جمهورا حاضرا يتلقى الخطاب مباشرة، فإن الحجاج لا يتطلب ذلك، بل قد يكون الجمهور حاضرا أو غائبا، وقد يكون فردا أو أكثر.

الثانية: نوع الخطاب، فالخطابة تقتضي خطابا شفويا، بينما الحجاج يهتم الخطاب المكتوب أيضا،وهكذا فالبلاغة عند برلمان تتجاوز البلاغة التقليدية، إنّها بلاغة "لكنّها ليست بلاغة الخطابة حصرا.

وهو "جمهور"، لكنه ليس الجمهور الذي يحتشد في الساحة لزاما"[1]وهذا ما وسّع من دائرة الحجاج.

يرتكز الحجاج عند برلمان على منطلقات تلقى قبولا واسعا لدى المتلقيّ، يعوّل عليها المحاجج في تحقيق التأثير، ويمكن حصر هذه المقدمات في الخطاطة التالية:

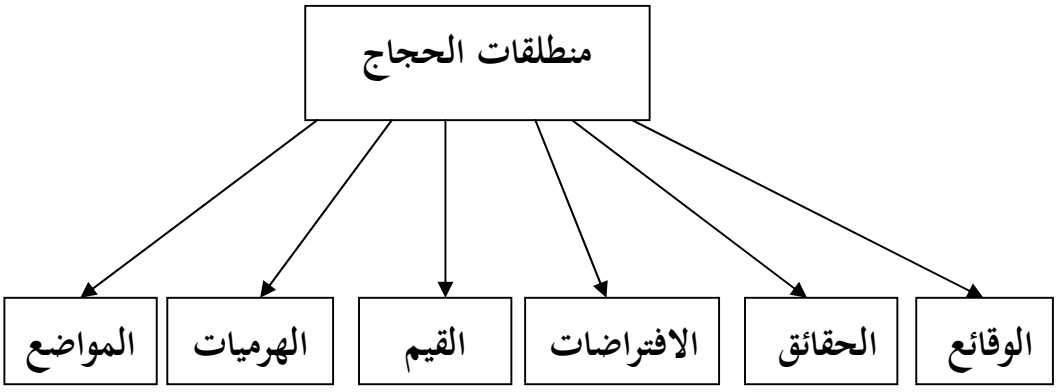

أ– الوقائع: إنّ صفة الاشتراك في قبولها لدى الجمهور هي ما يضمن الحركة الحجاجية التي تعتمد على هذا النوع من المقدمات، "فهي لا تكون عرضة للدحض أو الشك " [2].

[1]– بشير دردار، استلهام التراث البلاغي الغربي في التأصيل المعرفي لنظرية البلاغة الجديدة، ص113.

[2]– عبد الله صولة، الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج – الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتيكاه، ضمن المؤلف الجماعي أهم نظريات الحجاج الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص308.

ب– الحقائق:"ومدارها على النظريات العلمية والتصورات الفلسفية والدينية المتعالية على التجربة"[1].

ج– الافتراضات: وهي مهمة في كل مسار حجاجي، وتمتاز بأنها ليست ثابتة "بل هي متغيرة تبعا للوسط والمقام والمتكلم والسامعين"[2].

د– القيم: يعتمد الخطاب الحجاجيّ على هذا النوع من المقدمات لدفع السامع للقيام بأفعال معينة.

هـ– الهرميات: وترتبط بهرمية القيم التي تتفاوت ولا تكون في المراتب نفسها.

و– المواضع: وهي "المصنفات المجعولة للاستدلال"[3] وهي أنواع:

- مواضع الكم.
- مواضع الكيف.
- مواضع الترتيب السابق أفضل من اللاحق.
- مواضع الموجود أفضل من الممكن والمستحيل.
- مواضع الجوهر.

والملاحظ أن عملية اختيار مقدمات الحجاج تتداخل مع الأسلوب المستعمل في عرضها وعلى هذا الأساس جعل برلمان من "ثنائية بلاغة الحجة وبلاغة أسلوبها معا كضربين متلازمين لتحقيق

[1]– عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع، ص162.

[2]– محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2008، ص 112.

[3]– عبد الله صولة، الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج – الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتيكاه، ضمن المؤلف الجماعي أهم نظريات الحجاج الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص311.

الخطاب ونفاذه"[1] ويعني هذا أنّ مضمون الحجة وأسلوب يعرضها يتظافران معا لتحقيق التصديق لدى المتلقيّ .

اهتمّ برلمان بتقنيات الحجج و أنواعها فحصرها في :

- **الحجج القائمة على الفصل** Procédés de dissociation: وهي قائمة على فصل عناصر من الواقع لتأسيس تنظيم جديد.
- **الحجج القائمة على الوصل** Procédés de liaison: وهي بدورها تتفرع إلى الأنواع التالية:
- **الحجج شبه المنطقية** Arguments quasi logique: وسميت بذلك لأنها تشبه الحجج القائمة على الطرائق المنطقية والرياضية "تشبهها فحسب، وليست هي إياها، إذ في هذه الحجج شبه المنطقية ما يثير الإعتراض فوجب من أجل ذلك تدقيقها بأن يبذل في بناء استدلالها جهد غير شكلي محض" [2].

ويمكن تمثيل هذا النوع من الحجج بالخطاطة التالية :

الحجج شبه المنطقية

الحجج شبه المنطقية القائمة على البنى المنطقية	الحجج شبه المنطقية ق على العلاقات الرياضية
التناقض وعدم الاتفاق	إدماج الجزء في الكل
التماثل والحد	تقسيم الكل إلى أجزائه المكونة له
العلاقات التبادلية وقاعدة العدل	الحجج القائمة على الاحتمال

[1] – محمد سالم الأمين الطلبة، الحجاج والبلاغة المعاصرة، ص 106.

[2] – عبد الله صولة، الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج – الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتيكاه، ضمن المؤلف الجماعي أهم نظريات الحجاج الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص325.

- **الحجج المؤسسة على بنية الواقع** Arguments basés sur la structure du réel:

وهي حجج مرتبطة بالتجربة الواقعية، فالخطاب الحجاجيّ يستعين بالوقائع المادية ليضمن التأثير في المتلقي، ويمكن تمثيل أهم أصناف هذا النوع من الحجج في الخطاطة التالية :[1]

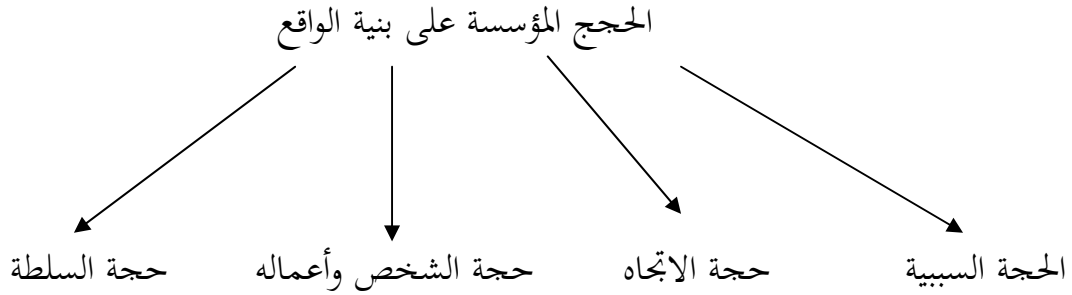

- **الحجج المؤسسة لبنية الواقع** Arguments qui fondent la structure du réel

تنطلق هذه الحجج من الحالات الخاصة لتؤسس واقعا يسهم في إقناع المتلقي، و"يفرق بيرلمان بين نوعين من الروابط التي تؤسس الواقع: فمن جهة هناك استدعاء الحالة الخاصة كالمثل والتبيين والنموذج، ومن جهة أخرى هناك الاستدلال بالمماثلة"[2] وانطلاقا من هذين الضربين، يمكن للمحاجج بناء واقع جديد وترسيخه لدى الجمهور، ويمكن القول: إنّ هذا النوع من الحجج من أهم التقنيات التي يستعين بها المتكلم للتأثير في المتلقين.

والملاحظ استيعاب برلمان لصور الأسلوب في مشروع بنائه للبلاغة الجديدة، حيث أدرج بلاغة الصور ضمن الحجاج، "فالاستعارة والأليجوريا القائمتان على آلية التماثل تندرجان ضمن صنف الحجج التي تؤسس بنية الواقع، وتندرج السخرية القائمة على آلية عدم الاتفاق... ضمن صنف الحجج شبه المنطقية. وتندرج صور المبالغة المبنية على آلية التجاوز وبلوغ الحد الأقصى الذي

[1]- ينظر، عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع، ص ص 171-172.

[2]- فيليب بروتون وجيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، ص52.

يضفي على الشيء قيمة، ضمن صنف الحجج القائمة على بنية الواقع"[1] ويظهر هذا التصنيف اتساع الأفق المنهجيّ لبرلمان ورحابة البلاغة التي كان يدافع عنها.

يرى برلمان أن معظم المهتمين بدراسة الوجوه الأسلوبية اهتموا بالبعد الجماليّ وأهملوا البعد الحجاجيّ لذلك دعا إلى ربط صور الأسلوب بسياقها التواصلي للوقوف على دورها الحجاجيّ ومساهمتها في تحقيق فعالية الخطاب.

وتجدر الإشارة أنّ برلمان عند حديثه عن تنظيم الحجج داخل الخطاب،رفض الاعتقاد الذي يعتبر " أنّ نجاعة الخطاب مرتبطة بعدد الحجج "[2] فالأهم ليس إيراد الكثير من الحجج، بل اختيار ما يؤثر في المستمع.

لم يهمل برلمان طريقة ترتيب الحجج في الخطاب الإقناعيّ "وهو يؤكد بأنه على عكس البرهنة الصورية التي لا أهمية فيها للترتيب، فإنّه في الحجاج مهم لأنّ نظام عرض الحجج يغير شروط تقبلها"[3] ولذلك على المحاجج الناجح أن يخضع حججه لنظام ترتيب يتكيف مع طبيعة مستمعيه، وانطلاقا من هذا الاهتمام الواضح بالتقنيات الحجاجيّة وطريقة عرضها، يمكن القول إنّ جهود برلمان ساهمت إلى حد كبير في إحياء وتطوير النظرية الحجاجية .

3- الحجاج اللغويّ عند ديكرو:

لقد اهتمت نظرية الحجاج بتقنيات الحجاج التي "يمثل أحدهما العلامات غير اللغوية... في حين يمثل القسم الآخر ممارسة الخطاب بما يناسب العمل الذهني، وذلك يتجسد باستعمال اللغة الطبيعية بوصفها العلامة الرئيسية"[4] ومع ذلك بدأ الحديث عن حجاجية اللغة الإنسانية، وتزايد الاهتمام بمظاهر الحجاج في الاستعمال اللغويّ.

---

[1]- محمد مشبال، بلاغة صور الأسلوب وآفاق تحليل الخطاب، ضمن المؤلف الجماعي البلاغة والخطاب، ص 110.

[2]- الحسين بنو هاشم، الحجاج عند شاييم برلمان، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2014، ص 101.

[3]- المرجع نفسه، ص 107.

[4]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص ص 454-455.

أسّس ديكرو Ducrot نظرية الحجاج اللسانيّ منطلقا من اعتبار الحجاج فعلا لغويا، فاللغة "تحمل بصفة ذاتية وجوهرية (Intrinsèque) وظيفة حجاجية، وبعبارة أخرى، هناك مؤشرات عديدة لهذه الوظيفة في بنية الأقوال نفسها"[1] ويعني ذلك أن الوظيفة الحجاجية حاضرة في كل قول بالقوة مادام أن فعل الإقناع ثاو في الملفوظات اللسانية.

تقوم نظرية ديكرو على فكرة التوجيه الحجاجي للأقوال، ويعني ذلك أن المتكلم يوجّه قوله نحو نتيجة معينة "وهذا التوجيه هو الذي يشرع للبحث في الترابطات الحجاجية الممكنة بما أن مسوغاتها موجودة في البنية اللغويّة للأقوال وليست رهينة المحتوى الخبري للقول ولا رهينة أي بنية استدلالية صناعية من خارج نظام اللغة"[2] ففكرة التوجيه إذن تعلي من المكونات الداخلية للغة وتعتبرها مؤشرات لسانية تقود الخطاب الخطاب نحو النتائج التي يتوخى المتكلم الوصول إليها.

إنّ عمل المحاجج هو الانتقال من الحجة أو مجموعة من الحجج إلى نتيجة معينة، ويعتمد هذا النشاط القولي على اختيار الحجج وترتيبها وفق طاقتها الحجاجية "وهذا الترتيب هو ما يسمى بالسلم الحجاجي"[3] ويعني هذا أنّ منتج الخطاب الإقناعيّ يسعى جاهدا لترتيب الحجج التي يوظفها في ملفوظه للتأثير في المتلقين .

ويمكن أن نمثل لذلك بما يتلفظ به المتكلم لإثبات المكانة العلمية لشخص ما :

ن: الكفاءة العلمية

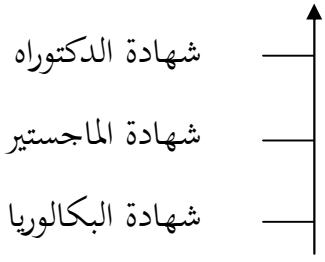

[1]- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، ط1، 2006، ص 14.

[2]-شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة، ضمن أهم نظريات الحجاج من أرسطو إلى اليوم، ص 352.

[3]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 500.

إن مفهوم السلم الحجاجي L'échelle argumentative يركز على سمة التدرج المميزة للأقوال وهذا يؤكد أن "المحاجة ليست مطلقة إذ لا تتحدد بالمحتوى الخبري للقول ومدى مطابقته لحالة الأشياء في الكون وإنما هي رهينة اختيار هذه الحجة أو تلك بالنسبة إلى نتيجة محددة "[1] وتظهر هذه الخاصية بوضوح الطابع التداولي للنشاط الحجاجيّ.

إن للسلم الحجاجي مجموعة من القوانين نحصرها في :[2]

أ- كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته.

ب-كل قول في السلم كان دليلا على نتيجة ما، كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى عليه، وله ثلاثة قوانين:

- **قانون النفي Loi de négation** إذا قبلنا أنّ قولا ما يخدم نتيجة معينة، فإنّنا سنقبل أيضا أن نفي هذا القول يخدم نفي النتيجة السابقة.

- **قانون القلب Loi d'inversion**: ومفاده أنّ السلم الحجاجي للأقول المنفية يكون عكس السلم الحجاجي للأقوال المثبتة. ويمكن توضيح ذلك بالمثال التالي:

ن- الكفاءة العلمية لزيد	- لا ن ضعف الكفاءة العلمية لزيد
ج - شهادة الدكتوراه	- لا يملك شهادة الماجستير
ب - شهادةالماجستير	- لا يملك شهادة الدكتوراه

[1] -شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة، ضمن المؤلف الجماعي: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص 370.

[2] - ينظر، أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص ص 21-24.

- **قانون الخفض Loi d'abaissement**: يوضح هذا القانون "الفكرة التي ترى أن النفي اللغوي الوصفي يكون مساويا للعبارة " moins que" فعندما نستعمل جملا من قبيل :

-الجو ليس باردا.

- لم يحضر كثير من الأصدقاء إلى الحفل.

فنحن نستبعد التأويلات التي ترى أن البرد قارس وشديد (المثال الثاني). أو أن الأصدقاء كلهم حضروا إلى الحفل (المثال الثاني).

وتجدر الإشارة إلى الدور المهم الذي أعطاه ديكرو للمكونات اللغوية التي تحقق الوظيفة الحجاجية، واعتبر أنه يمكن تقسيمها إلى نوعين: النوع الأول هو "ما يربط بين الأقوال من عناصر نحوية مثل أدوات الإستئناف (الواو، الفاء، لكن، إذن...) ويسميه روابط حجاجية وأما النوع الثاني فهو ما يكون داخل القول الواحد من عناصر تدخل على الإسناد مثل الحصر والنفي... ويسميه عوامل حجاجية"[1] ولهذه المكونات سواء أكانت روابط أو عوامل حجاجية دور مهما في توجيه الملفوظ الإقناعي نحو النتيجة التي يروم المتكلم الوصول إليها .

4- في البلاغة الغربية المعاصرة:

بعد تطور البحث اللسانيّ وتنامي النظريات الأدبية، تبلور عند معظم البلاغيين المعاصرين وعي بضرورة استثمار بلاغة الحجاج في تحليل مختلف أنواع الخطابات،ومع هذا التحول لم تعد البلاغة مجرد نظرية بل صارت مقاربة منهجية قادرة على تحليل النصوص وفهم مقصديتها، ولتوضيح ذلك سنحاول أن نعرض لمحاولات أهم الباحثين الغربيين المعاصرين الذين اهتموا بالقراءات البلاغية للخطابات.

[1]- شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة، ضمن المؤلف الجماعي: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أسطو إلى اليوم، إشراف حمّادي صمود، كلية الآداب منوبة، تونس، ص ص 376-377.

4-1- ميكاييل ليف Micheal Leff:

يعتبر ميكاييل ليف من أهم أعلام بلاغة الحجاج في الولايات المتحدة الأمريكية، وتميزت قراءاته البلاغية بالاهتمام الواضح بالخطاب السياسيّ، واضطلعت قراءته بتحليل يركز على المقامات التواصلية ومن هنا "فإن اهتمام ليف بالبنية الداخلية للنص السياسيّ، لم يكن تعبيرا عن افتنانه بصناعة النص، بقدر ما كان سعيا إلى إظهار كيف أن النصوص السياسية تستثمر قوة الكلمة لأداء وظائفها التداولية"[1] ولم تعتمد هذه المقاربة على تطبيق مختزل للمقولات البلاغيّة الجاهزة ،بل كانت قراءة واعية تراعي خصوصية هذا النوع الخطابيّ.

4-2- جيل ديكلرك Gilles Declercq:

في كتاب "فن الحجاج: بنيات بلاغية وأدبية" اقترح جيل ديكلرك مدخلا منهجيا إلى بنيات الحجاج كما تشكلها النظرية البلاغية، "ينقسم كتابه في حقيقة الأمر إلى جزءين كبيرين، الأول عن بلاغة أرسطو والبلاغة الجديدة لبيرلمان، والثاني مخصص للحجاجية (argumentologie) كمنهج لتحليل النصوص الأدبية."[2] ويظهر هذا العمل القيم مدى استفادة ديكلرك من البلاغة القديمة وانفتاحه على مفاهيم البلاغة الجديدة، كما يظهر أيضا الإقتناع بنجاعة التحليل الحجاجيّ للنصوص.

ارتكز استثمار الباحث "جيل ديكلرك" لبلاغة الحجاج في تحليل مختلف الخطابات على قضيتين هامتين هما :[3]

- **أولهما:** طموح الباحث إلى جعل الحجاج منهجا للتحليل النصيّ.

[1]- محمد مشبال، في بلاغة الحجاج نحو مقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات، ص 55.

[2]- فيليب بروتون وجيل جوتييه، تاريخ نظرية الحجاج، ص 108.

[3]- محمد مشبال، بلاغة الحجاج نحو مقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات، ص46.

- **ثانيتهما:** سعيه إلى إثبات أن بين الحجاج والأدب من التداخل والتفاعل ما ينفي أي تقابل حاسم بينهما.

4-3- أوليفي روبول Olivier Reboul :

حاول أوليفي روبول في قراءته البلاغية ردم الهوة بين النصوص الأدبية ذات الوظيفة الجمالية والنصوص التداولية ذات الغرض الحجاجيّ، ففي إطار التأسيس للبلاغة العامة اعتبر أنّ جوهر البلاغة قائم على عدم الفصل بين الأسلوب والحجاج، لذلك سعى للوصل بين الشعرية والخطابية من خلال توسيع المنطقة المشتركة بين التخييل والتداول واعتمد في هذا التوسيع على إجراءين متكاملين " أولهما، النحت من الجوار المنطقي واللساني، كما فعل في مقال بعنوان: هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغي. والثاني، التقريب بين قطبي الاحتمال (الصدق والكذب) من خلال فحص طبيعة الآليات الجوهرية الخاصة بكل منهما أو المعتبرة كذلك وهي الصور (figures) والحجج (arguments)"[1] وفي هذا التصور المنهجي وعي واضح برحابة حقل البلاغة واتساعها لكل الخطابات الإنسانية، سواء أكانت تخييلية أو تداولية.

رغم تأثر "روبول" بنظرية الإقناع عند أرسطو، إلاّ أنّه لم يبق سجين تصوراتها، ويتجلى ذلك من خلال انفتاحه على مستجدات الدرس الحجاجيّ الحديث، حيث سعى لمناقشة القضايا التي طرحتها المقاربة البلاغية الحجاجية، وظهر موقفه هذا من خلال رفض الفصل بين اتجاهي البلاغة الجديدة: الاتجاه الأول ذو التوجه المنطقي كما هو موجود عند برلمان، والاتجاه الثاني ذو التوجه الأسلوبي الأدبي الذي نجده عند رولان بارت وجماعة موMu "فبالنسبة لروبول، ينبغي على البلاغة التأليف والتركيب بين وظائف الخطاب الثلاث: وهي البرهان، والحجاج، والخطابة (الأسلوب)، وفي الوقت ذاته يجمعها في حقلين كبيرين هما العقلاني (البرهان والحجاج) والبلاغي (الحجاج والخطابة)"[2]

[1]- محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، أفريقيا الشرق، 2005، ص 22.

[2]- فيليب بروتون وجيل جوتييه، تاريخ نظرية الحجاج، ص 106.

واستطاع هذا الطرح أن يمنح البلاغة آفاقا رحبة ويمدّها بآليات ومقولات إجرائية تسهم في فهم وتحليل القول الحجاجيّ.

اعتبر روبول أنّ الصورة يمكن أن تكون عنصرا إقناعا لأنها تسهل الحجاج، وما دام كذلك فالقدماء "لم يخطئوا حين وحّدوا في مجموع واحد بين البلاغة والعناصر العقلية للحجاج بمكوناته الوجدانية والجمالية. لا مفر من البلاغة لأي حجاج دون أن يؤدي ذلك حتما إلى التحريض"[1] ويعني ذلك رفض كل فصل بين التخييل والحجاج ما دام أنّ صور الأسلوب في حد ذاتها هي عناصر حجاجية، تتجاوز مجال الأسلوب إلى مجال الإقناع .

تسعى البلاغة عند أوليفي ريبول إلى البحث عن المكونات الخَطابية والحجاجية التي تقوم عليها النصوص، ويتطلب ذلك الإحاطة بمواضع التأويل من خلال الإجابة عن الأسئلة التالية :[2]

- من يتكلم ؟
- متى ؟
- ضد من ؟ وضد ماذا ؟
- كيف يتجلى المؤلف في خطابه ؟
- إلى من يتوجه بالخطاب ؟
- ما أنماط الحجج وما أنواعها ؟
- هل يمتلك النصّ إجراءا بلاغيا مهيمنا ؟

[1] - أوليفي روبول، هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغي؟، ضمن البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص234.

[2] - ينظر، محمد مشبال، في بلاغة الحجاج نحو مقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات، ص ص 50-53.

إنّ هذه الأسئلة ضرورية لكل تحليل حجاجي يسعى لفهم النصوص الإقناعية ويتوخى ضبط بنيتها الخطابية، فمحلل الخطاب الحجاجيّ إذن يسعى جاهدا لتحديد هوية المتخاطبين ومعرفة نوع الخطاب والوقوف على سماته المهيمنة التي تشكل أساس بلاغته الحجاجية.

انطلاقا مما سبق نخلص أنّ القراءة الحجاجية عند أوليفيي ريبول تستوعب كل مكونات الخطاب فهي تهتم بدور المتكلم والسامع في اختيار الإستراتيجية الخطابية، وتولي العناية الخاصة بالبنية الحجاجية للنصّ، وتنطلق من السمات البلاغية المهيمنة في الخطاب للوقوف على مقصديته .

4-4- روث أموسي Ruth Amossy:

تعتبر روث أموسي من أهم البلاغيين المعاصرين الذين اهتموا بالتحليل البلاغي الحجاجي للنصوص، وخاصة النصوص التواصلية المرتبطة بالواقع المعاش، وتأثرت في ذلك بالبلاغة الجديدة عند برلمان حيث أعادت صياغة تعريف الحجاج، فوسعت مجاله المعرفي ليشمل "الوسائل اللفظية التي يشكلها الكلام للتأثير في المخاطَبين، سعيا إلى حملهم على الإذعان لدعوى ما، وتغيير أو دعم التمثلات والآراء التي ينسبها لهم، أو بكل بساطة، يوجه الطرق التي ينظرون بها، أو يثير سؤالا حول مشكل معطى"[1] وهذا التعريف يجعل الحجاج مفهوما رحبا يتسع لكل الخطابات الحوارية التي تعتمد على استدعاء المتلقي في بناء إستراتيجيتها الخطابية .

انطلاقا من هذا التعريف المقترح، لا يروم الحجاج التأثير في المتلقي من خلال الإذعان لدعوى ما فقط، بل قد يحصل الإذعان لنسق تفكيري محدد، وبناء على هذا التصور المنهجي الموسع، فإنه يجب عدم حصر الحجاج في أنواع خطابية معينة مادام هو "سمة تتحقق في كل الخطابات المرتبطة

[1] –Ruth Amossy, L'argumentation dans le discours, Armand Colin, Paris, 2010, p 36.

بسياقات تواصلية؛ سواء أكانت خطابات عمومية أم خطابات خاصة"[1] ويعني ذلك أنّ الحجاج حاضر في مختلف الملفوظات التواصلية.

وتقرّ الباحثة أنه يجب التمييز بين مفهومي الغرض الحجاجي المرتبط بالخطاب الإقناعي الصريح والبعد الحجاجي المرتبط بالخطاب الإقناعي المضمر، وكهذا يحصل التقاطع بين التحليل الحجاجي وتحليل الخطاب من خلال المقاربة السياقية التي تربط بين البنيات النصية الداخلية والمواقف التواصلية، وبهذا تتسع دائرة الحجاج لتشمل كل الخطابات التي تصرح أو تضمر غايتها الإقناعية، ويعلي هذا الطرح المنهجيّ من بلاغة الحجاج.

لقد انصب اهتمام روث أموسي على الحجاج في الخطاب، ويمكن حصر أهم المرتكزات التي اعتمدت عليها في ذلك في :[2]

- تحليل الوسائل اللفظية والوجوه الأسلوبية التي تسهم في بناء حجاجية النص.
- الوقوف على التقنيات الحجاجية المشكلة للخطاب الإقناعي خاصة القياس والقياس المضمر والمثال متأثرة في ذلك بخطاطة أرسطو.
- مراعاة الإطار النوعي المميز للخطاب في معالجة الحجاج.
- تبني المقاربة الحوارية التي تعتبر أن الخطيب ينخرط في حوار بين خطابه والخطابات الأخرى.
- إن حجج اللوجوس والإيتوس والباطوس توجد متلاحمة داخل الخطاب الحجاجي.

تظهر هذه المرتكزات علاقة التحليل الحجاجي البلاغي بمفاهيم تحليل الخطاب، وتعطي مشروعية لردم الهوة السحيقة بين النصوص التداولية التي تروم التأثير والنصوص الأدبية التي تتوخى تحقيق الغاية الجمالية.

[1]- محمد مشبال، في بلاغة الحجاج نحو مقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات، ص 60.

[2]- ينظر، محمد مشبال، في بلاغة الحجاج نحو مقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات، ص ص 65-66

خلاصة القول، تسعى بلاغة الحجاج إلى الوقوف على مقصدية النصوص، فبالاستعانة بالأدوات الإجرائية للنظرية الحجاجية، يمكن لمحلل الخطاب أن يكشف عن مغاليق النصوص، وكان هذا الانفتاح المنهجي ضرورة ملحة دعت إليه متغيرات عصرنا الراهن فثمة "خطابات حجاجية بامتياز توظف الإقناع أو التأثير أو الحوار مباشرة كما نجد ذلك في الإشهار أو السياسة. وفي المقابل، نجد خطابات أخرى توظف الحجاج بطريقة غير مباشرة، بالاعتماد على التخييل والرمزي والجمالي والفني كما في الرواية والقصة والمسرح والسينما..."[1] وهكذا امتدّ التحليل البلاغيّ لمختلف الخطابات.

لا تهدف المقاربة الحجاجية لتحليل النصوص التي تتضمن أبعادا حجاجية مباشرة فقط بل تهتم أيضا بالنصوص التي تحمل أبعادا حجاجية غير مباشرة، وهذا يظهر مدى أهمية هذه المقاربة في تحليل الخطابات.

[1]- جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، أفريقيا الشرق، 2014، ص10.

رابعا– نظرية الحجاج في الفكر العربيّ:

1– الحجاج وفعالية النصّفي التراث البلاغيّ العربيّ:

1-1 حجاجية النظم:

يعتبر الجرجاني من أهمّ البلاغيين العرب القدامى الذين كانت لهم عناية خاصة بالتركيب ويتضح ذلك من خلال ربطه البلاغة بالنظم، فالكلام الذي يؤثر في المتلقيّ، هو الكلام الذي تراعي فيه "الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخلّ بشيء منها"[1].

أطلق الجرجاني على هذه الظاهرة الأسلوبية: النظم، والأمر عنده لا يتعلق بتحقيق الوظيفة الشعرية فقط، بل يرتبط أيضا بالأبعاد التداولية للخطاب، فليس كل انزياح عن المألوف من التراكيب مقبول بلاغيا إلاّ إذا كان "يجمع بين كونه تركيبا لغويا شعريا يتمتع بحق الخروج عن التراكيب اللغوية العادية المألوفة، والغاية منه إمتاع المتلقيّ ومفاجأته وإثارة استغرابه واستمالته نفسيا وانفعاليا، وبين كونه تركيبا لغويا من وظائفه الأولية الجوهرية أن يقول معنى، وأن يكون مفيدا، والغاية منه التواصل والإقناع والإفادة"[2] وعليه يجب ربط الظواهر الأسلوبية بوظيفتها التأثيرية .

إنّ للنظم في الخطاب الحجاجيّ وظيفة إقناعية، فنظم الكلام "ينبني أول ما ينبني ليقول شيئا للآخرين ليقنعهم بدعوى ما، فلا قيمة لتركيب ألفاظه جميلة ساحرة لكنه لا يقول شيئا ولا يحدث أثرا"[3] وهذا يعني أنّ المتكلم عندما يختار تركيبا لغويا محددا، فهو يدرك أنّ لهذا التأليف تأثيرا يحدثه عند السامع فالمكون التركيبيّ في الخطاب الحجاجيّ يساهم أيضا في إقناع المتلقي ودفعه للقبول بالقضية المطروحة .

---

[1]– عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، قرأه وعلّق عليه محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، مصر، ط3، 1992، ص81.

[2]– حسن المودن، بلاغة الخطاب الإقناعي نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب، دار كنوز المعرفة، ط1، 2014، ص 228.

[3]– المرجع نفسه، ص228.

يربط الجرجاني نجاعة الخطاب بمراعاة فاعلية السياق، "فالسياق عند عبد القاهر لا يعد الكلمة نقطة البدء... وإنما العكس هو الصحيح، فالسياق هو نقطة البدء، بحيث لا يمكن وجود كيان للتعبير إلاّ من خلاله، وحينئذ من الواجب رصد السياق ثم البحث عن الألفاظ وعلاقاتها فيه ثانيا"[1] وفي هذا إشارة واضحة لأهمية ظروف التواصل في نجاح الإنجاز اللغويّ.

لقد كان للجرجاني وعي مبكر بأهمية الأبعاد التداولية لأساليب الكلام، ونستطيع تتبع ذلك من خلال مختلف الظواهر الأسلوبية التي تميز لغتنا العربية، ويمكن التمثيل على هذا بحديثه عن ظاهرة التقديم والتأخير، فهو يشير إلى الأثر التداولي الذي تحدثه لدى السامع في قوله: "هو باب كثير الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفترّ لك عن بديعة، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك، أن قدم فيه شيء، وحوّل اللفظ من مكان إلى مكان"[2] فالأثر الذي يحدثه تركيب الكلام وفق منوال ما هو الذي يوّجه المتكلم في اختياراته الأسلوبية .

1-2- حجاجية البيان:

يعتبر الجاحظ من بين البلاغيين العرب القدامى الذي اهتموا بالعلاقة القائمة بين البيان والحجاج ،فبيان الجاحظ "معني أساسا بـ«التبليغ» بما هو كشف للمعنى بغرض الإفهام والإقناع"[3] ويعني ذلك اهتماما مبكرا بالمفاهيم الحجاجية والتداولية للخطاب.

ربط البلاغيون العرب القدامى بين البيان والاستدلال، لوعيهم المبكر بأنّ هذه الظاهرة البلاغية تحقق الإمتاع والإفادة معا، لذلك لا يمكن للخطاب الحجاجيّ أن يستغني عن هذه الأدوات

[1]- محمد المطلب، البلاغة والأسلوبية، الهيأة المصرية العامة للكتاب، 1984، ص ص 241-242.

[2]- الجرجاني، الدلائل، ص 106.

[3]- قالط حجي العنزي، المفاهيم الحجاجية والتداولية في تعريف الصناعة الخطابية في البيان والتبيين للجاحظ، مجلة جذور، العدد 38، أكتوبر 2014، ص15.

الأسلوبية و"من أتقن أصلا واحدا من علم البيان، كأصل التشبيه أو الكناية أو الاستعارة، ووقف على كيفية مساقه لتحصيل المطلوب به، أطلعه ذلك على كيفية نظم الدليل"[1] ويعني ذلك أنّ صور البيان المختلفة تسهم في تحقيق الإقناع.

تفطّن الجرجاني لعلاقة البيان بالاستدلال الخطابيّ، فكشف عن الطاقة الإقناعية التي يحملها هذا النوع من العدول في الأسلوب، وأرجع الوظيفة الحجاجية التي تؤديها هذه الظاهرة البلاغية إلى الإمتاع الموجود فيها والذي يساهم في التأثير في قلوب السامعين، وبهذا صار البيان عند الجرجاني "وثيق الصلة بكفاية المتكلم الحجاجية،وقدرته على أن يصل إلى الغاية في الإفصاح بحجته حتى تكون الدلالة ليس في أقصى ما يمكن أن تدركه من الوضوح فحسب وإنما أيضا في أعلى درجات التأثير العقلي والعاطفي، بما يحقق غاية المتكلم في تكييف عاطفة السامع وتعديل اعتقاده على نحو يستجيب إلى مراميه"[2] فجوهر البيان في الخطاب الإقناعي حجاجيّ لأن طرق تأدية المعنى في هذه الصور الأسلوبية هي ضرب من الاستدلال.

لقد تناول الجرجاني البيان العربي و اهتمّ بأثره لدى السامع، فالقلوب تتعلق بضروب البلاغة لأنّ "أنس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفي إلى جليّ، وتأتيها بصريح بعد مكنيّ، وأن تردّها في الشيء تعلمها إياه إلى شيء آخر هي بشأنه أعلم، وثقتها به في المعرفة أحكم"[3] فالبلاغة العربية منذ القدم ركّزت على الأثر النفسي الذي تحدثه الصور البيانية في الخطاب، ولذلك لا يمكن الحديث عن وظيفتها الجمالية وإهمال وظيفتها الحجاجية، ويمكن القول: إن هذا التصور المهم يعدّ انخراطا مباشرا في بلاغة الحجاج.

[1]- السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، لبنان، ط2، 1987، ص435.

[2]- محمد النويري، علم الكلام والنظرية البلاغية عند العرب، دار محمد علي للنشر، 2010، ص134.

[3]- الجرجاني، أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، السعودية، ص121.

اهتمّ الجرجاني بالبعد التأثيريّ للاستعارة، يقول هي "أمد ميدانا، وأشد افتنانا، وأكثر جريانا، وأعجب حسنا وإحسانا، وأوسع سعة وأبعد غورا، وأذهب نجدا في الصناعة وغورا ... وأملأ بكل ما يملأ صدرا، ويمتع عقلا، ويؤسس نفسا، ويوفر أنسا"[1] فبلاغة الاستعارة إذن تكمن في تأثيرها في العقول والقلوب معا، ولذلك لا يمكن اعتبارها مجرد حلية يرصّع بها الكلام، بل هي تقنية لسانية تروم إقناع المتلقيّ .

حلّل الجرجاني الاستعارة وفق رؤيته للنظم، لذلك اعتبرها تركيب مخصوص يؤثر على المتلقيّ بفضل ما يطلق عليه معنى المعنى، ولذلك تظل "تقنية خطابية تؤدي وظيفة حجاجية إقناعية"[2] وذلك بفضل مسارها الاستدلاليّ .

يرى الباحث المغربيّ "طه عبد الرحمن" أنّ الاستعارة في بلاغة الجرجاني قائمة على الادعاء لا النقل، ولأهمية هذا المنطلق المنهجي في فهم الاستعارة، اعتبر طه عبد الرحمن أنّه "ما لم نتبين هذه البنية الحجاجية للادعاء الاستعاري عند الجرجاني، ولم نقف على وجوه اشتغالها في خطابه، فلا يبعد أن تستغلق علينا أحكامه ونتائجه استغلاقا"[3] وفي ذلك دعوة صريحة للتحليل الحجاجي للاستعارة.

إنّ العلاقة الاستعارية عند الجرجاني قائمة على علاقة الادعاء التي "هي في حقيقتها علاقة ادعاء دلالي يخص المعنى أكثر من أي شيء آخر، اعتمدت عليها البنية الدلالية للصورة الاستعارية من أجل القيام بدورها في التأثير في نفس المتلقي"[4] فالقول الاستعاريّ إذن يتضمن بنية دلالية خاصة تساهم في إثبات المعاني والتدليل على ما يتبناه المتكلم من أفكار ومعتقدات، وكلّ ذلك يؤكد على الطابع الحجاجيّ للاستعارة.

[1]- الجرجاني، أسرار البلاغة، ص 42.

[2]- حسن المودن، بلاغة الخطاب الإقناعي، ص 249.

[3]- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص 309.

[4]- تراث حاكم الزيادي، الدرس الدلالي عند عبد القاهر الجرجاني، دار صفاء عمان، ط1، 2011، ص317.

وإذا انتقلنا إلى الكناية، نجد الجرجاني يعرفها بقوله "أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ به إليه ويجعله دليلا عليه. مثال ذلك قولهم: هو طويل النجاد، يريدون طويل القامة"[1] ففي هذا الضرب من البيان يعطي المتكلم المعنى مصحوبا بالدليل، وهكذا تتحول الكناية إلى قول استدلاليّ يرفع أقدار المعاني عند السامعين، ويزيد في إثباتها في أذهانهم، ومن هذا المنطلق كانت الكناية أبلغ من التصريح ويمكن توضيح ذلك بالمثال التالي:هو جم الرماد (دليل) إثبات دعوى كرم الممدوح (مدلول).وهذا المثال يوضح الطابع الاستدلالي للكناية، إذ ينتقل فيها المتلقيّ من المعنى إلى معنى المعنى.

وإجمالا، إن حجاجية الكناية قائمة على إثبات المعاني عن طريق الاستدلال على الدعوى التي يعرضها المتكلم، فبفضلها لا يكتفي المتلفظ بإيراد المعاني فقط، بل يستعين بالدليل للتدليل على مقصوده، وبهذا يضمن التأثير في المخاطب .

اهتمّ عبد القاهر الجرجاني أيضا بالتمثيل، واعتبره أسلوبا "قائما على عنصري التشخيص والإبداع الذي يستتبع إثارة انفعال الدهشة والاستغراب في نفس المتلقيّ".[2] ويتضّح من ذلك أنّ التمثيل هو من الوسائل الحجاجية التي تساهم في إثارة المتلقيّ واستدراجه واستمالة قلبه، لذلك يسعى الخطاب الحجاجيّ لتوظيف هذا النوع من الحجج لأثرها البالغ في تحصيل الإقناع، وحتى يُظهر الجرجاني تأثير التمثيل في النفوس أورد مجموعة من الأمثلة التي يؤدي فيها هذا الضرب من البيان وظيفة حجاجية ولولاه لكان الكلام محتاجا لدليل.

يسعى التمثيل لنقل المعاني المجردة إلى معاني محسوسة، لتهتز القلوب لها، ويؤكد الجرجاني على ذلك في قوله "لو أن رجلا أراد أن يضرب لك مثلا في تنافي الشيئين فقال: هذا وذاك هل يجتمعان؟ وأشار إلى ماء ونار حاضرين، وجدت لتمثيله من التأثير ما لم تجده إذا أخبرك بالقول: هل يجتمع الماء

[1] – الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 66.

[2] – تراث حاكم الزيادي، الدرس الدلالي عند عبد القاهر الجرجاني، ص 332.

والنار؟ وذلك الذي تفعل المشاهدة من التحريك للنفس، والذي يجب بها من تمكن المعنى في القلب إذا كان مستفاده من العيان"[1].

ويُورِد الجرجاني مثالا آخر على أثر التمثيل : بقول المتنبي :

فإن تفق الأنام وأنت منهم فإنّ المسك بعض دم الغزال

ففي هذا البيت الشعري يدعي المتنبي تفوق سيف الدولة على الأنام رغم أنه من هؤلاء البشر وأمام هذه المفارقة حاول الشاعر إثبات صحة دعواه بالاستعانة بالدليل الوارد في الشطر الثاني "هذا أمر غريب وهو أن يتناهى بعض أجزاء الجنس في الفضائل الخاصة به، إلى أن يصير كأنه ليس من ذلك الجنس، وبالمدعي له حاجة إلى أن يصحح دعواه في جواز وجوده على الجملة، إلى أن يجيء إلى وجوده في الممدوح، فإذا قال: فإن المسك بعض دم الغزال، فقد احتج لدعواه، وأبان لما ادعاه أصلا في الوجود"[2].

فهذا التمثيل يدعم وجهة نظر المتكلم، ويرى الباحث "الحسين بنو هاشم "أنّ التمثيل الوارد في بيت المتنبي السابق هو بمثابة حجة تستند إلى مواضع الجوهر التي تعطي الأولوية للأشخاص الأكثر تمثيلا لجوهر النوع .

ويبرز الجرجاني أثر التمثيل في تحقيق أغراض الكلام "فإن كان مدحا، كان أبهى وأفخم، وأنبل في النفوس وأعظم، وأهز للعطف، أسرع للألف، وأجلب للفرح، وأغلب على الممتدح، وأوجب شفاعة للمادح...

وإن كان ذما، كان مسه أوجع، وميسمه ألدغ، ووقعه أشد، وحده أحد.

وإن كان حجاجا، كان برهانه أنور، وسلطانه أقهر، وبيانه أبهر.

[1]- الجرجاني، أسرار البلاغة، ص 127.

[2]- المصدر نفسه، ص 123.

وإن كان اعتذارا، كان إلى القلوب أقرب، وللقلوب أخلب... وإن كان وعظا، كان أشفى للصدر، وأدعى إلى الفكر، وأبلغ في التنبيه والزجر"[1].

يحصر الجرجاني بلاغة التمثيل في ما يلي:

- إخراج المعاني من الخفي إلى الجلي.
- نقل المعاني عن العقل إلى الإحساس.
- تصوير الشبه من الشيء في غير جنسه وشكله ..
- يكون بينة وحجة وإثبات دعوى مخصوصة، فبه يؤمن المتكلم من تكذيب المخالف وتهجم المنكر وتهكم المعترض.
- نفي الريب والشك.
- حصول أنس النفوس.

وتظهر هذه الأسرار البلاغية للتمثيل أهميته البالغة في الخطاب ودوره الهام في تحقيق الإقناع.

2- منزلة المخاطِب والمخاطَب في بلاغة الحجاج:

كان للمتكلم دور مهم في البلاغة العربية القديمة "بوصفه منتج الخطاب وباعثه"[2] ويرجع اهتمام البلاغيين العرب القدامى بالمتكلم إلى دوره في تحقيق منفعة الخطاب، فالبلاغة لا تعني الملفوظ فقط "بل هي تعني صاحب النص أولا لأن المتكلم لا يكون بليغا حتى يكون مؤهلا متمكنا من اللغة والآداب والمعارف وأصول الإنتاج الخطابي"[3] فمدار الأمر إذن على منشئ الخطاب لأنه هو أساس نجاح الخطاب.

[1]- الجرجاني، أسرار البلاغة، ص ص 115-116.

[2]- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، 2009، ص 163.

[3]- حسن المودن، بلاغة الخطاب الإقناعي، ص141.

إنّ مدار التواصل على المخاطِب، فهو الذي يبادر بتأسيس علاقة تخاطبية مع المتلقي، ولذلك يعتمد نجاح الخطاب أو فشله على المتلفظ بالخطاب، ولهذه الاعتبارات لا يمكن الحديث عن تحقق خطاب مؤثر إلا بتوفر جملة من المواصفات في المتكلم البليغ .

ففي الخطابة مثلا، يرى الجاحظ أنّ الخطيب إذا "كان ممن يعمّ ولا يخص، وينصح ولا يغش، وكان مشغوفا بأهل الجماعة، شنفا لأهل الاختلاف والفرقة، جمعت له الحظوظ من أقطارها، وسيقت إليه القلوب بأزمتها، وجمعت النفوس المختلفة الأهواء على محبته"[1] فالجاحظ في هذا القول يضع شروطا خاصة للمتكلم حتى يكون لخطابه فعالية لدى المتلقين .

لم يهمل الجاحظ في مشروعه البلاغيّ ما أطلق عليه حسن المودن البيان الحركي، ففي البيان والتبيين إشارات كثيرة لأهمية ما يعضد التواصل اللفظي من حركات مصاحبة لإنجاز الخطاب، فالخطيب الناجح يكون "رابط الجأش ساكن الجوارح قليل اللحظ"[2] حتى يضمن التأثير في السامعين، وهذا الدور الكبير الذي تحتله الحركة، يتضافر في الكثير من الأحيان مع اللباس، لذلك اشترط العرب القدماء لباسا خاصا بالخطباء كالعمامة والمخصرة، وأشاروا أيضا لأهمية العصا في تشكيل صورة إيجابية عن المتكلم وهذا "المطيل القيام بالموعظة أو القراءة أو التلاوة يتخذ العصا عند طول القيام، ويتوكأ عليها عند المشي. كأن ذلك زائد في التكهل والزماتة، وفي نفي السخف والخفة"[3]وفي هذا إشارة واضحة لدور هيأة الخطيب في تحقيق الإقناع، فنجاح الحجاج إذن ليس مرهونا بالبنية الداخلية للنصّ، بل يرتبط أيضا بالصورة التي يظهر عليها منتج الخطاب.

إنّ الحديث عن المتكلم ودوره في نجاح الخطاب الإقناعيّ هو حديث ضمنيّ عن أهمية السامع في هذا النشاط الحجاجيّ، فالخطاب في ذاته "يكون في أغلب الأحيان حسب ما يريده السامع لا

[1]- الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، تحقيق: درويش جويدي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 2004، ص ص240 -241.
[2]- الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص 65.
[3]- المصدر نفسه، ج 3، ص 459.

المتكلم. وتلك هي سمة اللسانيات التداولية الحديثة التي تتقاطع فيها مع البلاغة العربية، حيث إن من أهم مجالاتها الاهتمام بالسامع واعتبار المخاطب"[1] وترتبط فعالية الخطاب في كل ذلك بمدى مراعاة مقام السامع.

لا ينتج المتكلم خطابه الحجاجيّ بمعزل عن مخاطبيه، بل يأخذ بعين الاعتبار كل المعطيات النفسية والاجتماعية والثقافية التي تتصل بهم، فلا حجاج ناجح إلا بمراعاة المستهدفين بهذا الخطاب والملفوظ لا يقنع إذا لم يكن مكيفا حسب أحوال السامع، فمدار نجاح الخطاب إذن على مدى مراعاة أقدار السامعين وحاجاتهم.

إنّ الرجوع إلى التراث البلاغيّ القديم يظهر حضور المخاطَب في الأسئلة البلاغية التي شغلتهم، ففي البيان والتبيين ترتبط البلاغة بالحمل على السامعين على قدر مستوياتهم، و"إفهام كل قوم بقدر طاقتهم"[2] ولا يعني هذا مراعاة المخاطَب قبل إنتاج الخطاب فقط، بل مراعاة ذلك أيضا أثناء مرحلة الإنجاز الكلاميّ، فالجاحظ مثلا اشترط على الخطيب أن يتابع أحوال جمهوره وهو يعرض خطبته، فإذا لاحظ منهم فتورا فليمسك، فالخطاب الحجاجيّ الناجح قائم على متابعة ردود فعل المتلقين والتفطن لاستجاباتهم الآنية للكلام الذي يعرض عليهم، وانطلاقا من ملاحظة هذه التغيرات يكون مسار عرض الخطاب .

اهتمّ "حازم القرطاجني" بالمخاطَب معتبرا أنه أساس العملية الإبداعية في شقيها الشعريّ والخطابيّ فالغرض من هاتين الصناعتين "هو إعمال الحيلة في إلقاء الكلام من النفوس بمحل القبول لتتأثر لمقتضاه... فلذلك ساغ للشاعر أن يخطب لكن في الأقل من كلامه، وللخطيب أن يشعر لكن

[1]- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص176.

[2]- الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص66.

في الأقل من كلامه"[1] فحتى وإن تغيرت الإستراتيجية الخطابية إلاّ أنّ القصد يظل منحصرا في التأثير على السامعين.

تفطّنت بلاغة حازم القرطاجني مبكرا للأبعاد الحجاجية التي يمكن أن يحملها الخطاب، سواء أكان خطابة أو شعرا، فالحجاج إذن لا يحضر في الجنس الخطابيّ فقط، بل يمتد ليشمل أيضا الخطاب التخييليّ لأن الخطاب الحجاجي يسعى "إلى تعديل أو تثبيت موقف أو سلوك معين لدى المتلقي، عن طريق التأثير فيه بالخطاب، سواء اغترف الخطاب من معين العقل أو من معين العواطف والانفعالات – فالشعر يندرج ضمن المعنى الموسع للحجاج"[2]فمدام الخطاب يتوخى التأثير المتلقيّ، فهو لا يخلو من أقاويل إقناعية.

إنّ الاهتمام بمنتج الكلام ومتلقيه مرتبط في البلاغة العربية القديمة بالمقام، ويحيل هذا المصطلح لعدة مفاهيم "منها ما يهم العلاقات الداخلية بين مكونات النص، بشكل يسمح بالحديث عن المقام النصي الداخليّ، ومنها ما يهم علاقة النص بنوع الخطاب وجنسه"[3] فالمقام إذن هو الذي يؤطر العملية التخاطبية.

كان الجاحظ من أهم البلاغيين العرب الذين اهتموا بهذا المبدأ الخطابيّ، فنقل عن بشر بن المعتمر قوله "وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة، مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال"[4] فأساس الخطاب المؤثر هو مراعاته لمقام التلفظ.

إنّ نجاعة الخطاب متوقفة على مراعاة ما يميز الحدث الكلاميّ، ونقصد بذلك أنّ الخطاب الناجح يراعي خصوصية كل ما يندرج ضمن العناصر المشكلة للتواصل اللغوي ويترتب عن ذلك أنّ

[1]- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 361.

[2]- محمد الولي، مدخل إلى الحجاج أفلاطون وأرسطو وشايم برلمان، مجلة عالم الفكر، العدد 02، المجلد40، 2011، ص17.

[3]- حسن المودن، بلاغة الخطاب الإقناعي، ص 313.

[4]- الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص91.

لكل ضرب من المعاني ضرب من الألفاظ، فالمتكلم البليغ هو الذي يختار الألفاظ المناسبة لمقام التلفظ، وهذه الإستراتيجية اللغوية هي التي تضمن تحقق مقصدية الخطاب.

ركّز السكاكي أيضا على مبدأ "لكل مقام مقال"، فربط في درسه البلاغي بين الخطاب وظروف التلفظ به "فمقام التشكر يباين مقام الشكاية، ومقام التهنئة يباين مقام التعزية، ومقام المدح يباين مقام الذم، ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب، ومقام الجدّ في جميع ذلك يباين مقام الهزل".

وهذا الربط بين الكلام وأغراضه المختلفة، يظهر الوعي المبكر للبلاغيين بتداولية الخطاب ويؤكد على إسهامات العرب القدامى في تأسيس بلاغة الحجاج .

3- الحجاج في الفكر اللساني العربي المعاصر:

اهتم البحث العربيّ المعاصر بالخطاب الحجاجي تنظيرا وتطبيقا، وتأثرت معظم هذه الدراسات بالنظرية الحجاجية عند الغرب، فعلى المستوى التنظيري: ظهرت مجموعة من البحوث الأكاديمية التي حاولت نقل المقولات الحجاجية من الغرب إلى العرب، نذكر منها:

- اللغة والحجاج لأبي بكر العزاوي التي اهتمت "بنظرية الحجاج في اللغة" التي أرسى ديكرو معالمها.
- نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان للحسين بنو هاشم: اهتمت هذه الدراسة ببلاغة الحجاج عند بيرلمان.
- النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية "لمحمد طروس": اهتمّ هذا البحث بصياغة نموذج نظري تحليلي لدراسة الخطاب الإقناعي.
- بلاغة صور الأسلوب وآفاق تحليل الخطاب "لمحمد مشبال": الذي اهتمّ بالتنظير لدراسة صور الأسلوب وفق منظور حجاجي.
- مصطلحات حجاجية للباحثة الجزائرية "هاجر مدقّن".

- حجاج السلطة، أم سلطة الحجاج للباحثة الجزائرية "فضيلة قوتال".

وأمّا على المستوى التطبيقي، فقد ظهرت مجموعة من البحوث العلمية التي حاولت أن تحلل الخطاب الإقناعي بمقاربة بلاغية حجاجية، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- في بلاغة الحجاج "لمحمد مشبال".
- في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية "لمحمد العمري".
- الخطاب والحجاج "لأبي بكر العزاوي".
- حجاجية الشروح البلاغية وأبعادها التداولية "لفضيلة قوتال".
- الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه "لسامية الدريدي".
- الحجاج في الخطاب القانوني "لعز الدين الناجح".

تتمثل أهمية هذه الدراسات الحجاجية: "أولا في توعية القارئ العربي بهذا التيار ومفاهيمه، ثم بدور البلاغة الحجاجية في تحليل الخطابات المعاصرة وإثرائها؛ وثانيا: في لفت أنظارنا إلى ما يمكن أن يمدنا به هذا المنهج البلاغي المعاصر من آليات لعصرنة تراثنا البلاغي وتفعيله"[1] فجميع هذه البحوث سعت لتجديد البحث البلاغيّ في الوطن العربي، وإعادة بعث البعد الحجاجيّ للبلاغة.

ورغم أهمية هذه الأعمال وتأثيرها على البحث البلاغي المعاصر في الوطن العربي إلّا أنّ معظمها اعتمد على نقل المنجز الغربي و"اقتصرت أكثر الدراسات والأبحاث على الترجمة والتطبيق"[2] ويرجع ذلك للتطور الذي عرفته النظرية الحجاجية في الغرب وحداثة تطبيق مفاهيم هذه المقاربة الحجاجية في تحليل الخطاب الإقناعي.

[1]- محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 288.

[2]- باسم خيري، الحجاج وتوجيه الخطاب مفهومه ومجالاته وتطبيقات في خطب ابن نباتة، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2019، ص 51.

الفصل الثاني :الحجاج في المغرب

- أولا: خلفيات المقاربة البلاغية الحجاجية في المغرب.

-ثانيا: البلاغة العامة في المشروع البلاغي المغربي.

-ثالثا: بلاغة الإقناع و الإطار النوعي.

- رابعا: الحجاج في المشروع البلاغي عند محمد مشبال.

أولا– خلفيات المقاربة البلاغية الحجاجية في المغرب:

تنبّه النقاد المغاربة مبكرا لدور بلاغة الإقناع في مقاربة مختلف الخطابات، وهو انتباه مرتبط بإطلاعهم المبكر على نظريات النص الحديثة وانفتاحهم على مقولات البلاغة الجديدة دون إهمالهم لاشتغال القدامى في التراثين العربيّ و الغربيّ على الخطاب الإقناعيّ.

يظهر هذا المسعى رفضا لاعتبار الأسلوبية بلاغة جديدة كفيلة لوحدها بفهم النصوص ،فالأسلوبية " ما إن حاولت تثبيت كرسيها على الدّكة التي كانت تستقر فيها البلاغة باطمئنان حتى اهتز من تحتها ومال على جانبه لانكسار إحدى قوائمه المتمثلة في البعد التداوليّ "[1]فقد سعى التصور الجديد للبلاغة لوصل الدراسات الأسلوبية بنظرية الحجاج و المباحث التداولية التي تعتدّ بالجانب التأثيريّ للخطاب .

انفتح المشروع الحجاجيّ في المغرب على المنجز البلاغيّ الغربيّ الحديث والمعاصر، وظهر ذلك جليّا من خلال حضور مختلف المفاهيم الغربية المؤسسة لنظرية الحجاج في الدرس البلاغيّ المغربيّ، وارتبط هذا التأثر بترجمة العديد من المقالات والمؤلفات الأجنبية التي اهتمت بالخطاب الحجاجيّ: كترجمة محمد العمري لمقال أوليفي روبول المعنون بـ "هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغي؟ واشتراك محمد الولي مع عائشة جرير في ترجمة مؤلف "المدخل لدراسة الصور البيانية "لفرنسوا مورو، واشتراك محمد مشبال مع عبد الواحد التهامي العلمي في ترجمة كتاب "الحجاج في التواصل "لفيليب بروطون وترجمة محمد العمري لمقال كبدي فاركا الموسوم بالمقام في الأجناس الخطابية والأجناس الأدبية.

إنّ هذا الاهتمام بالمنجز الغربي يؤكد أنّ "الدراسات البلاغية الحديثة تبني مفاهيمها – في أحسن الأحوال – في حوار مع البلاغة الغربية التي قطعت أشواطا بعيدة في مجال مدّ الشبكات المصطلحية بما

[1]– محمد العمري، الحجاج مبحث بلاغي فما البلاغة ؟، ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته، ج1، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط1، 2010، ص 21.

يقتضيه ذلك من تعريفات وتفريعات دقيقة فضلا عن مراعاة الخلفيات الفلسفية والمعرفية للظواهر المنظمة"[1] ولهذا لا يمكن للبحث الحجاجيّ في المغرب أن يستغني عن المنجز الغربيّ في هذا المجال.

لقد اعتمد مشروع تجديد البلاغة العربية في المغرب على إعادة استرجاع بعدها التداوليّ الحجاجيّ وتأثّر هذا الاتجاه تأثرا واضحا بما طرحه برلمان من تصورات واقتراحات لتأسيس بلاغة جديدة وذلك من خلال كتابيه المشهورين في هذا المجال: مؤلف: مصنف في الحجاج. الخَطابة الجديدة:

Traité de l'argumentation. La nouvelle rhétorique، كتاب إمبراطورية الخَطابة: L'empire rhétorique

وتجدر الإشارة أنّ الباحث الأكاديمي المغربيّ "الحسين بنو هاشم" اعتمد على هذين الكتابين في دراسة معمقة عنونها بـ "نظرية الحجاج عند شاييم برلمان" الصادرة سنة 2014 عن دار الكتاب الجديد المتحدة، وهي في الأصل رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة تحت إشراف الدكتورين: محمد العمري ومحمد معتصم، ويعتبر هذا العمل مساهمة قيّمة في تجديد البلاغة "والخروج بها من قوقعة تصنيف الوجوه البلاغية إلى مجال أرحب، تكون فيه النظرية والأداة لتنظيم مختلف الخطابات الاحتمالية المندرجة في إطار العلوم الإنسانية"[2] ويمكن القول إنّ الجهاز المفاهيميّ الذي أنتجته نظرية برلمان كان له صدى كبير في تجديد البحث البلاغيّ العربيّ.

لا يعني هذا التوجه المنهجيّ في المغرب إهمال إسهامات البلاغيين والنقاد العرب القدماء، وهذا ما يؤكده سعي البلاغيين المغاربة لتأصيل مختلف مفاهيم الحجاج متوقفين عند أهم علماء التراث كالجرجاني وحازم القرطاجني والجاحظ وغيرهم من العلماء الذين تفطّنوا مسبقا للأبعاد التداولية للخطاب، ويمكن التمثيل لمحاولة تأصيل مفاهيم الحجاج من خلال طرح العديد من القضايا التي ارتبطت بإستراتيجية الإقناع كسؤال "المناسبة المقامية التداولية" للخطاب الذي ارتبط في المنجز العربيّ القديم

[1]- محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص 201.

[2]- الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند شاييم برلمان، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2004، ص05.

"بالبحث عن فعالية علمية إقناعية خطابية من جهة (عند الجاحظ مثلا)، كما ارتبط من جهة أخرى بملاءمة العبارة للمقاصد ضمن نظرية النظم الإعجازية"[1]فللجاحظ والجرجاني دور مهم في إرساء بلاغة عربية تجعل من المعطيات السياقيّة أساس كل قول مؤثر.

إنّ هذه الخلفيات المعرفية تؤكد أنّ البحث البلاغيّ الحجاجيّ في المغرب منفتح على كل ما أنجز في هذا الحقل المعرفيّ، ولذلك يمكن إدراجه ضمن "تيار الدراسات البلاغية التي تريد الكشف عن الدرس البلاغيّ العربيّ بالاستعانة بالنظريات الغربية دون قولبة أو تعسف أو ذوبان في الآخر"[2]أي إنّ بلاغة الحجاج في المغرب تزاوج بين استثمار المفاهيم البلاغيّة التراثيّة والانفتاح على المنجز الغربي المعاصر.

حَدَثَ هذا التطور المنهجيّ في التعامل مع أسئلة البلاغة بفضل الاعتماد على مفهوم نسقيّ للبلاغة ولا يعني ذلك انغلاقا على الأنساق الأخرى، بل يعني بحثا عن النسق البلاغيّ المهيمن باستثمار النظريات الأدبية الحديثة والمعاصرة التي سعت لفهم الخطاب وتحليله.

إنّ هذه المنطلقات المنهجية تظهر جليّة في أعمال معظم البلاغيين المغاربة، ويمكن أن نمثل لذلك بالمشروع البلاغيّ لمحمد العمري الذي انفتح من خلاله على حقول معرفية مختلفة، ودعا لتبني بلاغة عامة تستوعب التخييل والتداول معا، ويمكن القول: إن مقاربة العمري للخطاب اعتمدت على الإجراءات التالية:[3]

- اعتماد محاورة النظريات القديمة والحديثة.
- فتح باب الاجتهاد والاقتراح.
- السعي إلى الحد من اضطراب المصطلح.

[1]- محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص 30.

[2]- بوعافية محمد عبد الرزاق، البلاغة العربية والبلاغة الجديدة قراءة في الأنساق بين التراث والمعاصرة، مؤسسة حسين رأس الجبل قسنطينة، الجزائر، 2018، ص ص 122-123.

[3]- محمد اليملاحي، أسئلة الفكر البلاغي في المغرب مقاربة لمشروع محمد العمري، ضمن كتاب البلاغة والخطاب، منشورات الاختلاف، ط1، 2014، ص 250.

- السعي إلى التقريب بين الحقول المعرفية والتخصصات وذلك عن طريق فتح حوار إيجابي بين الجميع.
- تغيير الصورة القدحية التي رسخت في أذهان بعض الباحثين عن البلاغة.
- التبشير بالبلاغة الجديدة وتمهيد الطريق لنشرها واستثمار نتائجها.

شكّلت هذه العناصر المهمّة المبادئ الموجهة للمشروع البلاغي الذي نادى به محمد العمري، ولا يخفى مدى علاقة البلاغة بتحليل الخطاب في هذا المشروع العلمي ومدى الدعوات الصريحة للباحثين للاهتمام بالنصوص الإقناعية ذات البعد التأثيري الصريح أو المضمر.

ويمكن القول إنّ الأفق البلاغيّ المغربيّ يمتاز بالاتساع، ما دامت مجالات القراءة في هذا النقد البلاغي ترتكز على أطر مختلفة.

انفتحت البلاغة الجديدة في المغرب على نظرية الحجاج اللغويّ، وهذا ما تجسّد بوضوح في أعمال أبو بكر العزاوي الذي انطلق من أنّ اللغة "تحمل، بصفة ذاتية وجوهرية، وظيفة حجاجية، أي أنّ هذه الوظيفة مؤشر لها في بنية الأقوال نفسها، وفي المعنى وكل الظواهر الصوتية والصرفية والمعجمية والتركيبية والدلالية"[1] أي أن الحجاج كامن في البنية الداخلية للخطاب .

فالحجاج إذن فعل لغوي مرتبط بالبنية الداخلية للملفوظات، وللكشف عن مؤشراته المبثوثة في الخطاب استعان العزاوي بالجهاز المفاهيمي التالي:

- **الحجة:** وهي "عنصر دلالي، متضمن في القول، يقدمه المتكلم على أنه يخدم ويؤدي إلى عنصر دلالي آخر، والذي يصيرها حجة، أو يمنحها طبيعتها الحجاجية هو السياق"[2] وقد لا يصرح بالحجة فتكون مضمرة في الخطاب.

[1]- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 08.
[2]- المرجع نفسه، ص 127.

- **القوة الحجاجية:** وهو مصطلح نقله عن ديكرو، وهو يعني إن الحجج التي يوظفها المتكلم متفاوتة من حيث قدرتها على إقناع المتلقي "فهناك الحجج القوية، وهناك الحجج الأكثر قوة والحجج الأكثر ضعفا"[1] ويرتبط هذا المفهوم بطريقة ترتيب الحجج في السلم الحجاجي.
- **الاتجاه الحجاجي:** يكون القول موجها حجاجيا بفضل العوامل والروابط الحجاجية التي "تكون متضمنة لمجموعة من التعليمات والإشارات التي تتعلق بالطريقة التي يتم بها توجيه القول أو الخطاب من قبل المتكلم... أما في حالة كون القول أو الخطاب غير معلّم، فإن التعليمات المحددة للاتجاه الحجاجي تستنتج إذاك من ألفاظ الخطاب ومفرداته، بالإضافة إلى مقاصد المتكلم والسياق التخاطبي العام"[2] ويمكن القول: إنّ العناصر اللغوية الداخلية هي المسؤولة عن توجيه الملفوظات الحجاجية نحو النتيجة التي يتوخى المحاجج الوصول إليها.
- **السلّم الحجاجي:** "هو علاقة ترتيبية للحجج، تحدد بموجبها مراتب الأقوال ودرجاتها باعتبار وجهتها وقوتها الحجاجيتين"[3] فإذا أورد المتكلم حجتان (ح1، ح2) يخدمان النتيجة نفسها (ن) فإن أحدهما ستكون أكثر إقناعا من الأخرى، ويمكن أن نمثل لذلك بالترسيمة التالية:

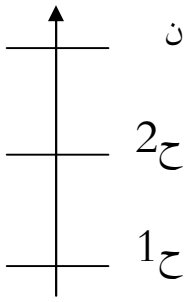

- **الروابط والعوامل الحجاجية:** إذا كان الرابط الحجاجي يربط بين الحجة والنتيجة، فإن العامل الحجاجي "يقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما"[4].

[1]- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 130.
[2]- أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة، لبنان، ط1، 2010، ص 52.
[3]- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص ص 130-131.
[4]- أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، ص 56.

ويمكن أن نمثل لذلك بالخطاطة التالية:

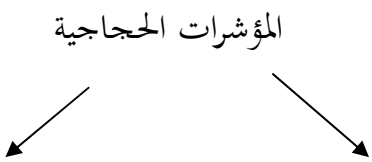

الروابط الحجاجية	العوامل الحجاجية
(الربط بين الحجج)	(حصر وتقييد الإمكانات الحجاجية)

- **المبادئ الحجاجية les topoi**: يرى العزاوي أنها "تقابل مسلّمات الاستنتاج المنطقي في المنطق الصوريّ أو الرياضيّ، هذه المبادئ هي قواعد عامة تجعل حجاجا خاصا ما ممكنا"[1]فهي إذن تضمن سلامة العملية الحجاجية.
- **العلاقة الحجاجية**:مفهوم حجاجيّ يتسم بالمرونة والاحتمال "ويشمل عددا كبيرا من العلائق الدلالية المنطقية مثل السببية والشرط والاستنتاج والتبرير والتفسير"[2] ولهذه العلاقات دورا مهما في الانتقال من المقدمات إلى النتائج، ولذلك على المحاجج الناجح أن يؤسس خطابه الإقناعي على علاقات حجاجية مناسبة تهيئ المتلقي لقبول الأطروحات الجديدة.
- **السياق**: يعتبر العزاوي أن الحجاج ذو طبيعة سياقية، فهو الذي يحدد الاستعمالات الحجاجية للملفوظات .
- **الاستعارة الحجاجية**: اهتم العزاوي بالبنية الحجاجية للغة، واعتبر أن الحجاج "نجده في المعنى والاستعارة ونجده في الروابط والأدوات وظواهر لغوية عديدة"[3] وعليه فالقول الاستعاري إذن يساهم في تحقيق الإقناع.

[1]- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص31.
[2]- أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، ص89.
[3]- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص94.

إنّ الاستعارة من منظور نظرية الحجاج في اللغة لم تعد شكلا أسلوبيا فقط، بل صارت إستراتيجية لغوية مهمة في عملية الإقناع، ويتم ذلك عن طريق قوتها الحجاجية "فالأقوال الاستعارية أعلى، حجاجيا، من الأقوال العادية "[1] ولذلك يوردها المتكلم كدليل يخدم النتيجة المتوخاة .

قسّم العزاوي الاستعارة إلى نوعين حسب الغاية من استعمالها؛ فقد تكون حجاجية إذا كان غرضها الإقناع، وقد تكون بديعية إذا كانت مقصودة لذاتها، ويمكن تمثيل ذلك بالخطاطة التالية:

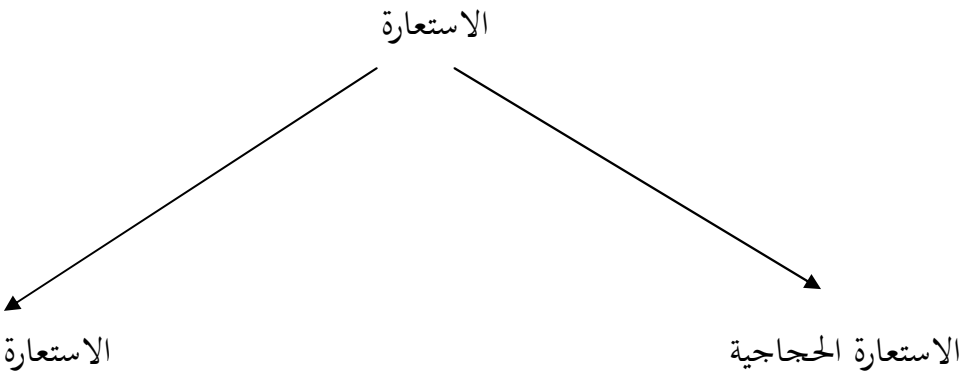

يهتم العزاوي بالحجاج المؤشر له في البنية الداخلية للغة الطبيعية، ولذلك فهو يركز على حجاجية الألفاظ والعبارات والأقوال التي تشكل الخطاب الإقناعي، فجميعها يسعى إلى التأثير في المتلقي "وإلى دفعه إلى تبني رأي ما، أو الاستجابة لطلب معيّن، أو اتخاذ موقف ما من قضية من القضايا، أو إلى تغيير آرائه ومواقفه بشكل عام"[2] ويعني ذلك أن البنية الداخلية للأقوال الحجاجية توجه الخطاب نحو النتيجة المقصودة .

لم يكتف أبو بكر العزاوي بعرض نظرية الحجاج في اللغة، وإنما حاول تطبيق تلك المفاهيم على النصوص العربية، ويظهر هذا الثراء والغنى المنهجي مدى سعي هذا الباحث المغربي لتحليل الخطاب وفق مقاربة حجاجية .

[1]- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 103

[2]- المرجع نفسه، ص 133.

انطلق العزاوي في مشروعه من تصور "يقرّ بأنّ الخطابات القائمة على أساس لغوي كلها حجاجية، وإن كانت مستويات ودرجات هذا الحجاج تتمايز حسب المبادئ والمقولات والأدوات والمقدمات ودرجات الإنسجام الذي يسمح بالحديث عن (قوانين) داخلية تحكم اللغة والخطاب وتؤدي إلى توليد استنتاجات خاصة بكل إنجاز لغوي أو خطابي يفضي بدوره في النهاية إلى منطق الخطاب الذي هو الهدف الأكبر في هذا المشروع"[1] ويوسع هذا الطرح من مجال اشتغال نظرية الحجاج.

سعى العزاوي جاهدا لاستثمار هذا المنجز النظري في تحليله لمختلف الخطابات، وهكذا صارت بلاغة الحجاج عنده بلاغة رحبة تتسع لمختلف الملفوظات، وانطلق في كل ذلك من مسلّمة مفادها أنّ "كل النصوص والخطابات التي تنجز بواسطة اللغة الطبيعية حجاجية، ولكن مظاهر الحجاج وطبيعته ودرجته تختلف من نص لنص، ومن خطاب لخطاب"[2] وانطلاقا من هذا التصور المنهجي، صارت كلّ الخطابات الإنسانية التي تستعمل العلامات اللفظية خطابات إقناعية بامتياز، ويظهر هذا الطرح مدى شساعة حقل الحجاج .

اتسمت بلاغة الحجاج عند العزاوي باتساع مجال تطبيقها ومرونة الأدوات الإجرائية المعينة على الإحاطة بمقصدية النصوص، ويتضّح هذا الإجراء المنهجي من خلال استثمار منجز النظرية الحجاجية في فهم وتحليل لمختلف الخطابات، ويقرّ العزاوي في ذلك بضرورة تطوير وإثراء هذه المقاربة "حتى تكون أكثر قدرة واستجابة لتحليل أنماط عديدة من النصوص والخطابات"[3] وانطلاقا مما سبق يتضح أنّ الجهاز المفاهيميّ المؤسس لنظرية الحجاج لا يزال في تطور التأسيس والتبلور والتطور، وغايته في ذلك منح محلل الخطاب الأدوات الإجرائية اللازمة لتحليل حجاجي ناجع.

---

[1]- حسن مسكين، التحليل الحجاجي للغة والخطاب والمفاهيم – الأطر – الأبعاد قراءة في مشروع د . أبو بكر العزاوي، ضمن المؤلف الجماعي: الحجاج اللغوي قراءات في أعمال الدكتور أبو بكر العزاوي، تنسيق حسن مسكين، عالم الكتب الحديث، ط1، 2017، ص 250.

[2]- أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، ص 12.

[3]- المرجع نفسه، ص 17.

ثانيا– البلاغة العامة في المشروع البلاغي المغربي:

تعتبر البلاغة في النقد المغاربيّ المعاصر مفهوما يسعى لاستعاب كل الصور والتجليات التي تظهر في الخطاب، فالإمكانات التعبيرية الممكنة التي تنجز باللغة الطبيعية لا تمنع من وجود عناصر مشتركة حاضرة في مختلف الأنواع الأدبية، وحينها "لا نعود نتحدث عن الخطاب المنظوم والمنثور، ولا عن القصيد والسرد والحوار (المسرحي)، بل نتحدث عن الخطاب التخييلي، ولا نتحدث عن الخطاب الحواري الاستشاري، ولا عن المناظرات والمفاوضات، بل نجمل كل ذلك في الخطاب التداولي (التصديقي)"[1] وانطلاقا من هذا التصور تكون الخطابات إما تخييلية أو حجاجية.

ركّز البلاغيون المغاربة على المنطقة التي يتقاطع فيها التخييل والتداول، وانتهت تحليلاتهم إلى نتيجة مفادها وجود بلاغة عامة تؤطر مختلف الأشكال الخطابية، وهكذا صارت البلاغة "تتسع للخطاب التداولي الحجاجي وامتداداته (الخطابية، وهي النصف الأول لأرض البلاغة العامة) وللخطاب الشعري التخييلي وامتداداته (الشعرية، وهي النصف الثاني لأرض البلاغة العامة)"[2] وهذا الطرح المنهجي يمنح محلل الخطاب أفقا واضحا في تحليله البلاغيّ للنصوص.

تتوخى البلاغة العامة دراسة الخطاب المؤثر القائم على الاحتمال، وبناءا على هذا فهي ترصد كل خطاب يتوخى التخييل أو التصديق ما دام أنه يسعى للتأثير على المتلقي، ويعني ذلك رحابة حقل البلاغة، فهي "ليست فحسب خطابا يسعى إلى تحقيق الأثر فيما له صلة بالشعرية والخطابية، كما نظّر لهما أرسطو في كتابيه المشهورين، ولا هي تحقيق الأثر بالعبارة الجميلة والممتعة، كما في غالب البلاغة العربية القديمة، بل البلاغة أوسع من ذلك"[3]إذ أن كل خطاب احتمالي هو موضوع البحث البلاغي.

[1]– محمد العمري، البلاغة العامة في حوار الرصد والتنظير ضمن المؤلف الجماعيّ البلاغة والخطاب، ص 40.

[2]– إدريس جبري، سؤال البلاغة في المشروع العلمي لمحمد العمري نحو بلاغة عامة ، ضمن المؤلف الجماعي البلاغة والخطاب، تنسيق محمد مشبال، ص ص 260-261.

[3]– المرجع نفسه، ص ص 284-285.

إنّ للبلاغة العامة علاقة بنظرية الحجاج، فكلاهما يهتم بالبعد الإقناعي للخطاب "فنظرية الحجاج تنميه وتوسعه وتطوره لتدمجه في هموم البحث التداولي الحديث، والبلاغة العامة تسترجعه بعد أن ضاع منها في ظروف تاريخية غير مواتية لتطوير نظرية بلاغية"[1] وهذا يعني أنّ البلاغة العامة تشتغل أيضا على البعد الحجاجيّ للخطاب .

تجسدّت هذه البلاغة في فكر مجموعة من الدارسين من المغرب، نذكر منهم محمد العمري الذي اعتمدّ في مشروعه على مفهوم نسقي يجعل البلاغة علما يستوعب التخييل والحجاج معا، ويستمد هذا المنحى مشروعيته من كون الخطابين التخييلي والحجاجي يلتقيان في "أنهما خطابان قائمان على الاحتمال، الاحتمال توهيما أو ترجيحا، التوهيم في التخييل والترجيح في التداول الحجاجي"[2] ويتضح من ذلك أنّ البلاغة تهتم بكل خطاب احتماليّ.

سعى العمري في إطار تأسيسه لبلاغة عامة لقراءة الموروث البلاغي العربي القديم قراءة جادة، فوجد أنه قائم على مفهومي: الغرابة والمناسبة، ويمكن تمثيل ذلك بالخطاطة التالية:

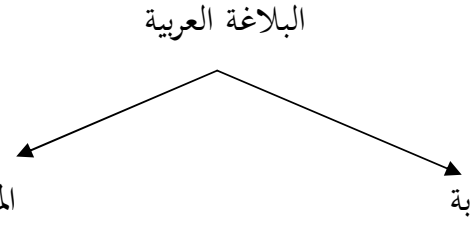

وانطلاقا من ذلك اعتبر محمد العمري أنّ النواة الأولى لما يصطلح عليه بالبلاغة العامة تم بفضل "إدماج الجوانب البلاغية من نظرية الجاحظ، مع الصور البديعية عند ابن المعتز، وغيره من المشتغلين

[1]- محمد العمري، نظرية الأدب في القرن العشرين، أفريقيا الشرق، 1996، ص132.

[2]- محمد العمري، البلاغة العامة في حوار الرصد والتنظير من الشعر إلى الخطاب، ضمن المؤلف الجماعي: البلاغة والخطاب، ص15.

بالبديع ونقد الشعر"[1] وفي هذا إشارة واضحة لوعي العرب القدامى برحابة حقل البلاغة واتساعها لكل الخطابات.

قاد اهتمام العمري بمسار التخييل والتداول في البلاغة العربية إلى الوقوف على المحاولة التنظيرية المهمة التي قام بها حازم القرطاجني، واعتبر أنّ هذا البلاغيّ الفذ تفطّن مبكرا لوجود بلاغة عامة من خلال قوله بوجود علم كليّ.

فَسِرّ البلاغة عند حازم قائم في النسق الذي يصل التخييل بالتصديق، ولذلك اعتبر العمري أنّ حازم القرطاجني "لم يبق أمامه لكي ينخرط في آخر صيغ الحوار الذي يشغلنا الآن، في القرن 20 و21 سوى أن يقترح الاسم الذي يدل على القصيدة والخطبة في آن واحد"[2] غير أنّهذا المشروع البلاغي الجامع للبعدين التخييليّ والتداوليّ لم يلق رواجا وانتشارا في الفترة اللاحقة خاصة بعد هيمنة بلاغة السكاكي.

والملاحظ أنّ هذا التصور المنهجي الذي حمله محمد العمري يتقاطع مع ما تبناه محمد مشبال الذي يعتبر أيضا أن "غاية كل الخطابات البلاغية (الأدبية والتداولية) إحداث التأثير في المتلقين، سواء كان تأثيرا فعليا (الإثارة والإفادة) أم تأثيرا جماليا (الإمتاع)."[3] فعنصر التأثير في المتلقي إذن هو غاية كل خطاب.

[1]- محمد العمري، الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية والممارسة الشعرية، أفريقيا الشرق، 2001، ص89.

[2]- محمد مشبال، البلاغة العامة في حوار الرصد والتنظير من الشعر إلى الخطاب، ضمن المؤلف الجماعي: البلاغة والخطاب، تنسيق محمد مشبال، ص 23.

[3]- محمد مشبال، البلاغة والأدب، من صور اللغة إلى صور الخطاب، دار العين، القاهرة، ط1، 2008، ص ص 24-25.

ثالثا– بلاغة الإقناع و الإطار النوعي:

لا يعني الحديث عن بلاغة عامة في النقد المغربي المعاصر عدم وجود بلاغات خاصة، فقد تمّ الحديث عن بلاغة السخرية وبلاغة السيرة وبلاغة الخطابة، غير أن هذه البلاغات "تبقى دائما رهينة من حيث الأسئلة والمفاهيم ببلاغتي التخييل والحجاج اللتين تعدّان بمثابة مقاربتين لتحليل جميع الخطابات"[1] فكل خطاب قائم في بنيته إما على التخييل أو التصديق، وانطلاقا من هذا التصور، وضع العمري الخطاطة التالية :[2]

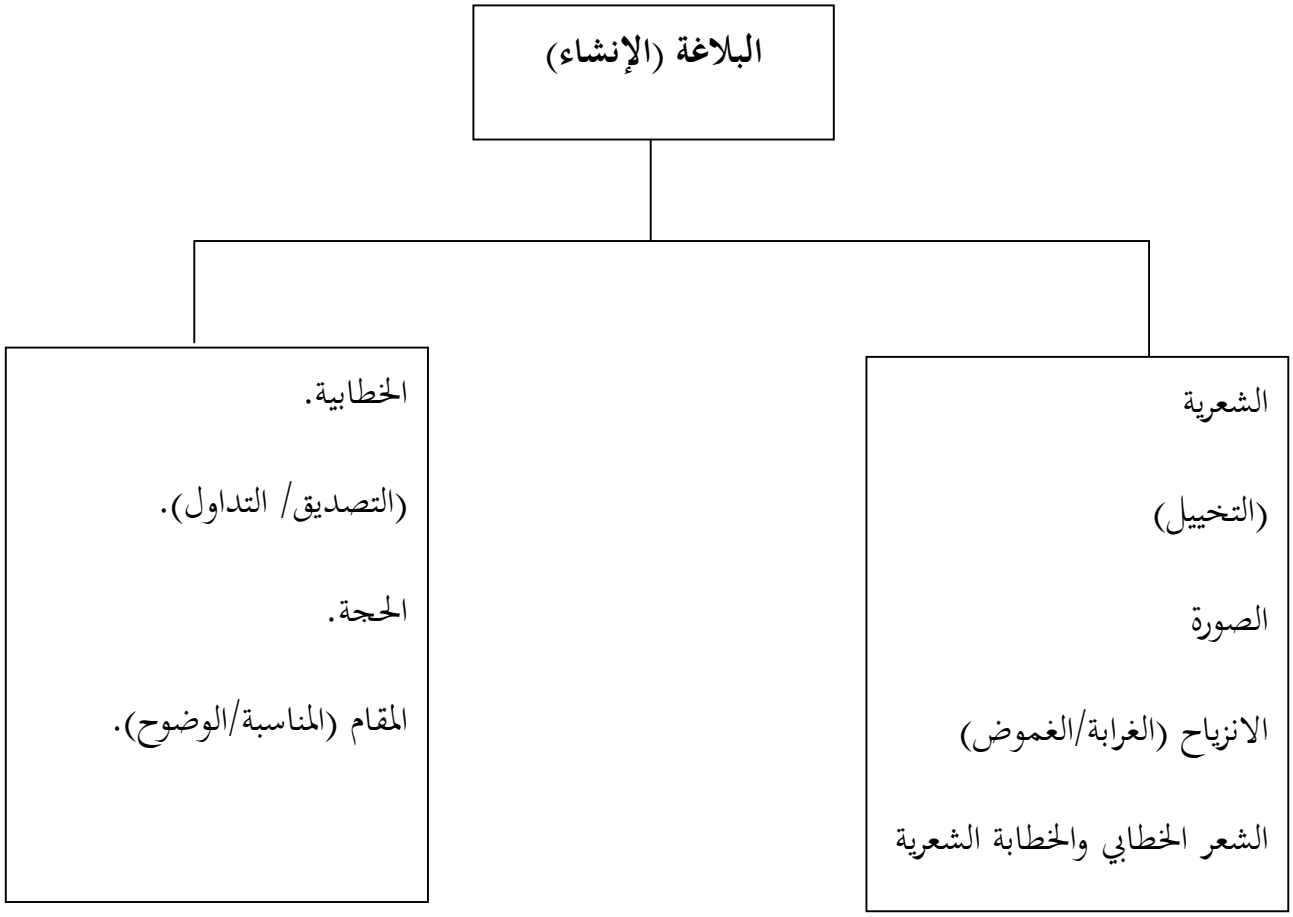

[1]– محمد الزكري، الحجاج والتداول في البلاغة العربية القديمة عند محمد العمري، ضمن المؤلف الجماعي: البلاغة والخطاب، تنسيق محمد مشبال، ص289.

[2]– محمد العمري، البلاغة العامة في حوار الرصد والتنظير من الشعر إلى الخطاب، ضمن المؤلف الجماعيّ: البلاغة والخطاب، إعداد وتنسيق محمد مشبال، ص42.

ركّز التحليل الحجاجي في المغرب على الأنواع الخطابية التالية :

1- الخطاب القرآني:

يتميز الخطاب القرآنيّ بكونه خطابا يركّز على التأثير في المتلقيّ وتغيير أفكاره ومعتقداته، مما جعل بعض البلاغيين المغاربة يدعون للاستفادة من بلاغة الحجاج في فهم مقصدية هذا الخطاب الديني المقدس، ولعلّ الباحث المغربي "أبو بكر العزاوي" من أهم هؤلاء الذين استعانوا بالمقاربة البلاغية الحجاجية في إظهار جوانب الحجاج في الخطاب القرآني، ويمكننا التمثيل على ذلك بتتبعه لوجوه الاستدلال الإقناعي في "سورة الأعلى"، فقسمّها إلى مقاطع حجاجية حتى يسهل عليه استخراج الحجج والأدلة الموظفة والنتيجة التي يسعى إليها الخطاب القرآني، واستطاعت هذه القراءة أن تبين أنّ سورة الأعلى "ذات بنية منطقية واضحة وبرنامج حجاجي محدّد"[1] وعلى كل قراءة حجاجية لهذه السورة أن تأخذ هذا المعطى بعين الاعتبار.

لم يهمل العزاوي في قراءته الحجاجية دور الروابط في توجيه الخطاب الإقناعي في سورة الأعلى لاقتناعه بدورها في التأثير على المتلقي وإقناعه، ويَظهر هذا الاهتمام من خلال تركيزه على الوظيفة الحجاجية التي يؤديها الرابط "بل" الوارد في قوله تعالى ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾[2] فهذا الرابط إذن يوجه الخطاب القرآنيّ نحو نتيجة محددة .

وانطلاقا من مركزية هذا الرابط الحجاجي الذي يؤسس العلاقة بين الحجج (ح) والنتيجة (ن)

[1]- أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، ص 26.

[2]- سورة الأعلى، الآيات من 16حتى 19.

استنتج أبو بكر العزاوي البرنامج الحجاجي العام لهذه السورة، والذي يمكن تمثيله بالخطاطة التالية:[1]

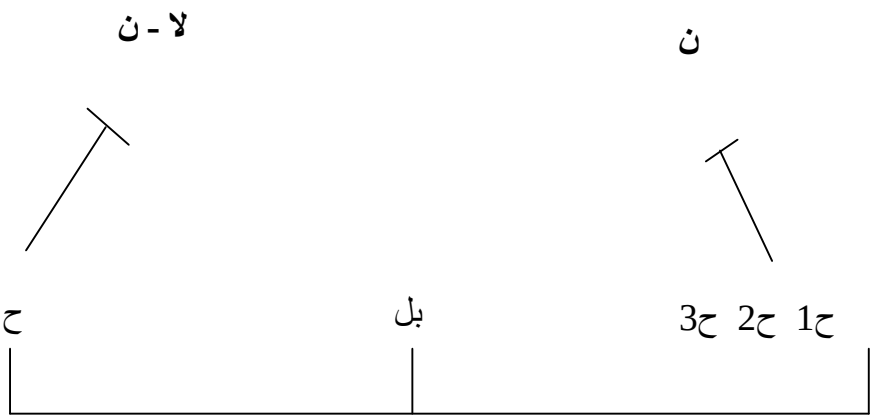

حاول "أبو بكر العزاوي" أيضا تطبيق قراءته الحجاجية على خواتيم سورة البقرة أي الآيتان 284 و285 ، مؤكدا على أنها نص حواري إقناعي، واستثمر هذا الباحث آليات الحجاج اللغوي في تحليله، ويظهر ذلك مثلا من خلال تركيزه على الحجج والأدلة اللغوية الواردة في قوله تعالى:﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[2]

ويمكن تمثيل تحليله الحجاجي لهذه الآية بالخطاطة التالية :[3]

حجة 1: آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه

حجة 2: المؤمنون آمنوا بما أنزل إليهم من ربه } نتيجة مضمرة : آمن أيها الإنسان

حجة 3 : الكل آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه

[1]- أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، ص24.

[2]- سورة البقرة، الآية 284.

[3]- ينظر، أبو بكر العزاوي، الحجاج والانسجام في القرآن الكريم خواتيم سورة البقرة نموذجا، ضمن المؤلف الجماعي: بلاغة الخطاب الديني، تنسيق محمد مشبال، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2015، ص 203.

ارتكز العزاوي على مفهوم الانسجام الحجاجيcohérence argumentative للوقوف على علاقة الدعاء الوارد في الآيتين القرآنيتين بباقي النص، فالإنسان "كان يلجأ في كل مرة إلى الدعاء، يلجأ إليه في نهاية الآية الأولى بعد أن اقتنع بضرورة الإيمان وقال (سمعنا وأطعنا)، ولجأ إليه في نهاية الآية الثانية".[1] وهذا يدلّ على وجود انسجام حجاجيّ في هذا الخطاب القرآنيّ .

ركّز العزاوي في هذه النماذج على الجوانب الحجاجية مستثمرا في ذلك آليات الحجاج اللساني ومهملا التقنيات البلاغية، لذلك ظلّ عمله مجرد مشروع تحليل يحتاج إلى استيعاب باقي المفاهيم التي أفرزتها النظرية الحجاجية بجميع توجهاتها.

والملاحظ أن التحليل اللغوي الحجاجي للقرآن الكريم عند العزاوي يطرح العديد من الإشكالات، من أهمها: إهمال خصوصية التعبير القرآني فالتحليل المطبق في سورة الأعلى لا يشعرنا "بأي خصوصية ولا تمايز بين الصيغة المتخذة في السورة وبين الصيغ المقترحة"[2] وهذا توجه لا يستطيع أن يلم بحجاجية الصيغة القرآنية .

وتجدر الإشارة أيضا أنّ المنطلقات المنهجية لنظرية الحجاج في اللغة تتعارض مع الخطاب المقدس، فالقرآن الكريم ليس خطابا طبيعيا يحكمه المنطق الذي يحكم الخطابات الطبيعية، ولذلك يجب أن "لا نجعل من النص القرآني تابعا لاجتهادات البشر ورؤيتهم المحدودة."[3] فالنظرية الحجاجية مهما تطورت ستظلّ معرفة إنسانية قابلة للتعديل والإضافة .

[1]- أبو بكر العزاوي، الحجاج والانسجام في القرآن الكريم خواتيم سورة البقرة نموذجا، ضمن المؤلف الجماعي: بلاغة الخطاب الديني، تنسيق محمد مشبال، منشورات الاختلاف، ط1، 2015، ص206.

[2]- عبد الفضيل ادراوي، حجاجية الخطاب في اشتغال د. أبو بكر العزاوي دراسة في الآفاق والحدود، ضمن المؤلف الجماعي الحجاج اللغوي قراءات في أعمال الدكتور أبو بكر العزاوي، تنسيق حسن مسكين، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2017 ، ص ص115- 116.

[3]- المرجع نفسه، ص118.

2- الخطابة:

دعا البحث البلاغي المغربيّ إلى تمييز بلاغة النص الخطابي الإقناعيّ عن بلاغة النص الشعريّ، لأن الخطابة قائمة على التصديق لا على التخييل، لذلك يجب استثمار منجز النظرية الحجاجية لمقاربة المتن الخطابيّ، ويعتبر الإطار العام للنظرية الأرسطية من أهم الوسائل المتاحة لقراءة هذا النوع من الخطاب .

يعتبر محمد العمري من أهم الدارسين الذين اهتموا بدارسة الخطاب الإقناعيّ تنظيرا وممارسة وتبلور عنده هذا الميل مبكرا من خلال توجهه لاستثمار نظرية الحجاج في قراءته للخطابة العربية في القرن الأول الهجري، واعتمدت هذه المقاربة على حسن استغلال المنجز البلاغيّ العربيّ والاستفادة من "الإطار العام للنظرية الأرسطية، وإغناء ذلك باجتهادات وإضافات البلاغيين ودارسي الخطاب الإقناعيّ من غير العرب في القديم والحديث"[1] ويؤكد ذلك على سعي واضح لاستثمار مقولات البلاغة الحجاجية في تحليل مختلف الخطابات.

وإذا رجعنا إلى مؤلف العمري المعنون بـ "في بلاغة الخطاب الإقناعيّ مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية في القرن الأول نموذجا" الصادر في طبعته الأولى سنة 1985، ندرك فضل السبق التاريخي للعمري في خوض غمار هذا الاتجاه البلاغيّ الجديد.

إنّ قراءة العمري للخطابة العربية القديمة هي قراءة في ضوء بلاغة الإقناع، ويظهر ذلك من خلال الاهتمام بصور الحجاج والانشغال بالمقامات النوعية للخطاب، وانطلاقا من هذا التصور المنهجيّ اعتمد العمري في تصنيفه للخطابة العربية حتى القرن الأول هجري على موضوع القضايا المطروحة وحال المتلقين فيها، فجعل الخطابة الدينية ثلاثة أصناف: تعليمية، ووعظية، وحجاجية تأخذ شكل مناظرات، وصنّف العمري الخطابة السياسية حسب العلاقة بين المتحاورين، فقد تكون حوارا بين الراعي ورعيته، أو

[1] - محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية الخطابة في القرن الأول نموذجا، أفريقيا الشرق، ط2، 2002، ص 09.

حوارا بين الأنداد، والملاحظ أنّ "الخطب السياسية الهادئة القائمة على الحجاج قليلة في الخطابة العربية وذلك أن العلاقة بين الأنداد أنفسهم كانت ميالة إلى حسم الأمور بطرق أخرى غير الإقناع."[1]حيث اعتمد الخطباء على التهديد والمدح والهجاء .

لم يهمل العمري مقامات الخطابة الاجتماعية، واعتبر أنه يمكن حصرها في صنفين :[2]

- مقامات مرتبطة بالتنظيم الاجتماعي مثل خطب الإملاك والصلح.
- مقامات ذات طبيعة وجدانية هدفها المشاركة في المسرات والأحزان كالتهنئة والتعزية.

اهتم العمري في تحليله للمتن الخطابي القديم بالقياس الخطابي الذي يختلف عن القياس المنطقي في اعتماده على الاحتمال وبعده عن صرامة الاستنتاج، والملاحظ أنّ الخطابة العربية "استعملت أقيسة عقلية متنوعة يدخل أغلبها فيما أحصاه أرسطو، وذلك حتى قبل اتصال العرب بالفلسفة اليونانية اتصال ترجمة ودراسة وتأثر"[3] ويدل ذلك على تفوق العرب في فن الخطابة .

لم يهمل العمري في مشروعه حجاجية المثل وحاول أن يظهر دوره في تحقيق الإقناع في الجنس الخطابي واعتبر أنه يمكن تقسيمه إلى ثلاثة أنواع: المثل التاريخي، المثل التشبيهي القائم أساسا على الاستعارة والمثل الخرافي الذي يكون على لسان الحيوان .

وتجدر الإشارة إلى حديث العمري عن الشاهد الذي يقابلها الحجج الجاهزة عند أرسطو واستعانت به الخطابة العربية في تشكيل إستراتيجيتها الحجاجية، فوظّفت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، واستعانت في بناء خطابها الإقناعي بالتمثل بالشعر، والأمثال والحكم.

[1]- محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية الخطابة في القرن الأول نموذجا، ص54.
[2]- ينظر، المرجع نفسه، ص 62.
[3]- المرجع نفسه، ص 79.

تتبع العمري استعمال النص القرآني في الخطابة، ووجد أنه يرد في ثلاثة استعمالات نمثلها في الخطاطة التالية :[1]

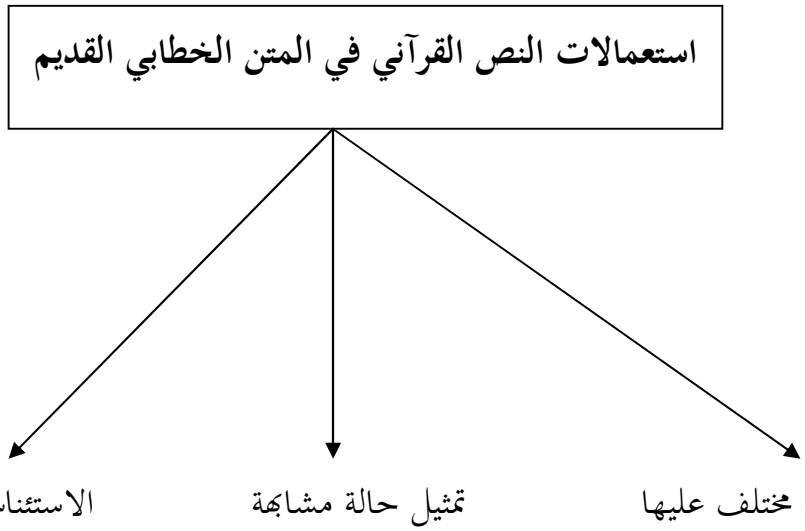

انتبه محمد العمري لمكانة الأسلوب في مقاربته للخطابة العربية القديمة، وأرجع أهمية هذا المكون إلى هيمنة الشعر على الفنون النثرية، وربما جاز القول إن الخطابة العربية "أحد الأفلاك المنفصلة عن الشعر المشدودة إليه بجاذبية أسلوبية قوية"[2] ويتجلى ذلك بوضوح من خلال تركيز النصّ الخطابيّ العربي على تحسين اللفظ وانتقاء الأسلوب .

إنّ المتتبع لمقاربة العمري في قراءة الخطابة العربية القديمة، يجد أنها اعتمدت على فحص الحجج التي تحقق فعالية هذا الخطاب دون إهمال لدور الأسلوب في تحقيق الإقناع، واستطاع هذا التحليل البلاغيّ كشف آليات الحجاج التي وظفها الخطباء للتأثير على المتلقيّ، وسعى التحليل في بعض المواضع لكشف الإستراتيجية المغالطية التي يلجأ إليها لتضليل السامعين.

أكّد العمري أنّ تفكيك بنيات الحجاج يساهم في كشف الحجج المتهافتة التي كان يُلجأ إليها بعض الخطباء لتضليل السامعين، ومن النماذج التي ذكرها في هذا الصدد خطبة الحجاج بعد قتله ابن

[1]- ينظر، محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص 93.
[2]- المرجع نفسه، ص 100.

الزبير في الحرم وجزع الناس لذلك: جاء في جمهرة خطب العرب "ألاّ إنّ ابن الزبير كان من أحبار هذه الأمة حتى رغب في الخلافة، ونازع فيها، وخلع طاعة الله، واستكنّ بحرم الله. ولو كان شيء مانعا للعصاة لمنع آدم حرمة الجنة. لأنّ الله تعالى خلقه بيده، وأسجد له ملائكته، وأباحه جنته، فلما عصاه أخرجه منها بخطيئته. وآدم على الله أكرم من ابن الزبير، والجنة أعظم حرمة من الكعبة"[1].

اعتبر العمري أن هذا المقطع الخطابي ينطوي على مغالطة بينة، حيث فيه إيهام بتشابه خطأ ابن الزبير مع خطأ آدم، وهنا مكمن الخلل في هذا المسار الحجاجي الذي يسعى لتمويه السامع وتمرير موقف محدد عن طريق المغالطة.

صفوة القول، إن التحليل الحجاجي الذي تبناه محمد العمري في مشروعه البلاغي قائم في جوهره على استثمار بلاغة الإقناع في فك مغاليق النصوص وتفسير فاعليتها والوقوف على مضمرات الخطاب، ولم يبق العمري في هذه القراءة الواعية سجين خطاطة جاهزة، بل كان في كل مرة منفتحا على المنجز الجديد في مجال الحجاج ليكون تحليله البلاغي أكثر ثراء ورحابة.

3- الخطاب السياسيّ المعاصر:

لم يقتصر التحليل الحجاجيّ في النقد المغربيّ على المتن الخطابيّ القديم بل امتدّ ليشمل المتن الخطابيّ الحديث، واتضح هذا الاهتمام من خلال الاشتغال على الخطاب السياسي المعاصر الذي يعدّ حقا "الفضاء اللغوي الذي تنشر فيه وتبسط كل قضايا تدبير الحياة المدنية، أي كل ما يتعلق بتنظيم حياة إنسانية اجتماعية، من جهة، ولكون الجنسين الآخرين اللذين يقتسمان معه الموضوع (أي الخطاب التقييمي والمحفلي والخطاب القضائي) يمتدان إما نحو التخييل الشعري أو البرهنة والاستدلال"[2] ويظهر هذا الطرح المنهجي مدى التأثر بالتقسيم الأرسطي الثلاثي للخطابة.

[1]- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج2، المكتبة العلمية، بيروت، ط1، ص ص273 – 274.
[2]- محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، أفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 2013، ص 76.

قام التحليل البلاغيّ للخطاب السياسي المعاصر على بلاغة الحجاج، ولم يكن هذا الاختيار المنهجيّ عبثيا، بل هو اختيار يتكئ على اعتبار الخطاب السياسيّ خطابا حواريا بامتياز يتوخى التأثير في المتلقي ودفعه لاتخاذ موقف معين.

إنّ الخطاب السياسيّ لا يخلو من مقصدية التأثير في المتلقي وحمله على الفعل، وهذا ما يظهر طبيعته الحجاجية، ولذلك على محلل الخطاب السياسيّ أن يفحص "الحجج التي يقوم عليها الخطاب ليكشف جوانب الاختلال والإعنات فيه لأنه خطاب إقناعي بامتياز... والمدخل الأساس لفهم كيف يؤثر هذا الخطاب في المتلقي ينطلق من البحث في سبل الإقناع التي يوظفها"[1]فالتحليل البلاغي لهذا النوع من الخطاب يهدف لكشف بنيته الحجاجية للوقوف على إستراتيجيته الإقناعية وكشف جوانب المغالطة التي يمكن أن يقع فيها.

يعتبر محمد العمري من أهم البلاغيين المغاربة الذين اهتموا بحجاجية الخطاب السياسي المعاصر وحاول في تحليله لهذا النوع من الخطاب كشف أساليب التهافت الحجاجيّ التي يمكن أن تنبني عليها هذه الخطابات، معتمدا في ذلك على إستراتيجية نقدية قائمة على رصد صور المغالطة، ويظهر هذا المسعى اقتناع العمري بضرورة استثمار المحلل البلاغيّ للمنجز النظري لبلاغة الإقناع في قراءة النصوص خاصة أن الوضع الراهن هيمنت عليه الدراسات النظرية فصار "دارسو البلاغة اليوم في واد ونقاد الخطاب المغالط في واد، أكثرهم من الصحفيين غير المسلحين نظريا. وقد لاحظت هذا الاختلال مبكرا فخصصت جانبا من عملي البلاغي لهذا البعد منذ 1979م فكان من ثمراته كتب ومقالات، منها: دائرة الحوار ومزالق العنف ومنطق رجال المخزن وأوهام الأصوليين، والمحاضرة والمناظرة، وعشرات المقالات"[2] وفي هذا دعوة صريحة لاستثمار مقولات البلاغة الإقناعية في تحليل الخطاب وكشف جوانب الاختلال في بنيته الحجاجية.

[1]- محمد الموساوي، عن تحليل محمد العمري للخطاب السياسي، ضمن المؤلف الجماعي البلاغة والخطاب، ص304.

[2]- محمد العمري، المغالطة في قضاء الاحتمال، مجلة سياقات، المجلد الثاني، العدد الخامس، أبريل 2017، ص03.

اعتمد العمري في تحليله للخطاب السياسي على مجموعة من الآليات أهمها:

أ-اعتماد آلية السخرية:

سعى العمري في قراءته للخطاب السياسي إلى كشف الحجج التضليلية التي يوظفها بعض الخطباء في خطبهم، ولتحقيق ذلك لم يكتف بفضح مغالطاتهم فقط، بل استعان أحيانا بالسخرية من مسارهم الخطابي، وهذا يدل على اقتناع العمري بأنه "لا شيء أنفع حجاجيا من السخرية في الردّ على الخطاب المختل"[1]فالخطاب الساخر في بعض المواضع هو التقنية المناسبة عند "العمري" للتعبير عن عدم توافقه مع طرح ما .

ويمكن التمثيل على ذلك بعدة نماذج، منها تعليقه على أحد الخطباء في قوله: "كان يدبج الخطب المنتشية بالوقوف على الأبواب والتعلق بالأهداب. انقطع الهدب فسقط على قفاه بين الحياة والموت، هجرته محبوباته: رشيدة ونزيهة وأصيلة وعريقة وبقي وحيدا لا يفهمه أحد"[2] ويبدو أنّ هذا النوع من التحليل قد يكشف مباشرة عن موقف المحلل من القضية المطروحة.

ب- كشف صور الحجاج المغالط:

ركز العمري في قراءته للخطاب السياسي على رصد آليات المغالطة مستفيدا في ذلك بالمنجز الأرسطي في هذا المجال، ويتضح هذا التأثر من خلال استناد العمري في عمله التطبيقي على كشف الأنواع المغالطية، والتي ذكر منها:

[1]- محمد العمري، منطق رجال المخزن وأوهام الأصوليين، عوائق الحداثة في المغرب، منشورات وادي الحجاج للثقافة والتنمية، ط1، 2009، ص43.

[2]- المرجع نفسه، ص ص45 – 46.

- **الانزلاق:** يهدف لتغيير مسار الخطاب وقيمته الحجاجي، "وفيه يحاول السفسطائي أن يوهم بأن الأمر واحد أو أن ما يصدق على هذا يصدق على ذاك أو يجر المتلقي من قضية إلى أخرى وكأنها هي نفسها"[1] وهذا نوع من الاستدلال المغالط.
- **القياس على الأضعف.**
- **إيهام الشمول:** قام العمري بخطوات هامة في التحليل البلاغيّ للخطاب السياسيّ مستفيدا في ذلك من المنجز الأرسطي في بلاغة الحجاج وامتداداته المعاصرة، ومنفتحا على مختلف النظريات اللسانية التي اهتمت بالخطاب الإقناعيّ، واستطاع بذلك أن يؤسس لمقاربة جديدة تهتم بهذا النوع من الخطابات التداولية .

سعى العمري لمقاربة المتن الخطابي الحديث وفق خلفية معرفية علمية تستند لعلم البلاغة وما يوفره من آليات إجرائية لتحليل الخطاب، وكّز في ذلك على كشف أساليب التضليل والإعنات التي كان يمارسها بعض الخطاء المعاصرين، فكان يهاجم بقوة من يستعملون الحجاج المغالط في خطابهم لتمويه المتلقين. يقول: "نتمنى أن يكون ما قدمناه في هذه المقالة حافزا للمغالطين والمستخفين بالمخاطبين إلى فك أقفال عقولهم كما فك أبو شمر حُبوتَه تحت ضغط المساءلة، وأن يزحفوا نحونا بالحجة والمنطق"[2] فالعمري إذن يعتبر أنه على المحلل البلاغيّ أن يتصدى لهذا النوع من التمويهات الخطابيّة.

ورغم محاولة العمري إضفاء الطابع العلمي على تحليله للمتن الخطابي السياسيّ، إلّا أنّ عمله في بعض المواضع كانت تطغى عليه القراءة التوجيهية أكثر من الممارسة التحليلية التي توجب المحلل البلاغي "أن يبين مواطن الاختلال في الخطاب دون أن يدينه أو يزكيه"[3] حتى لا يلتبس التحليل الموضوعي مع المواقف السياسية الشخصية.

[1]- محمد العمري، دائرة الحوار ومزالق العنف، أفريقيا الشرق، 2002، ص99.

[2]- المرجع نفسه، ص 33.

[3]- محمد الموساوي، عن تحليل محمد العمري للخطاب السياسي، ضمن المؤلف الجماعي: البلاغة والخطاب، ص 313.

4- الخطاب الساخر:

لقد بذل العمري في مبحث السخرية جهدا تنظيريا هاما، حاول فيه أن يظهر مدى تأرجحها بين البعد التأثيريّ الحجاجيّ والبعد التخييليّ الإقناعيّ، وتمّ تتبع هذا التداخل من خلال المنجز الغربيّ الحديث في مجال تحليل المتن الساخر، خاصة ما توصلت إليه مجموعة مي groupe Mu وكييربرا أريكشيوني Kerbaor ecchionnie وأليمان Alleman .

ركّز العمري في تحليل الخطاب الساخر على المكون الإنفعاليّ التأثيريّ والمكون اللسانيّ الدلاليّ، وانطلاقا من هذا التصور المنهجيّ، اقترح الخطاطة التالية:[1]

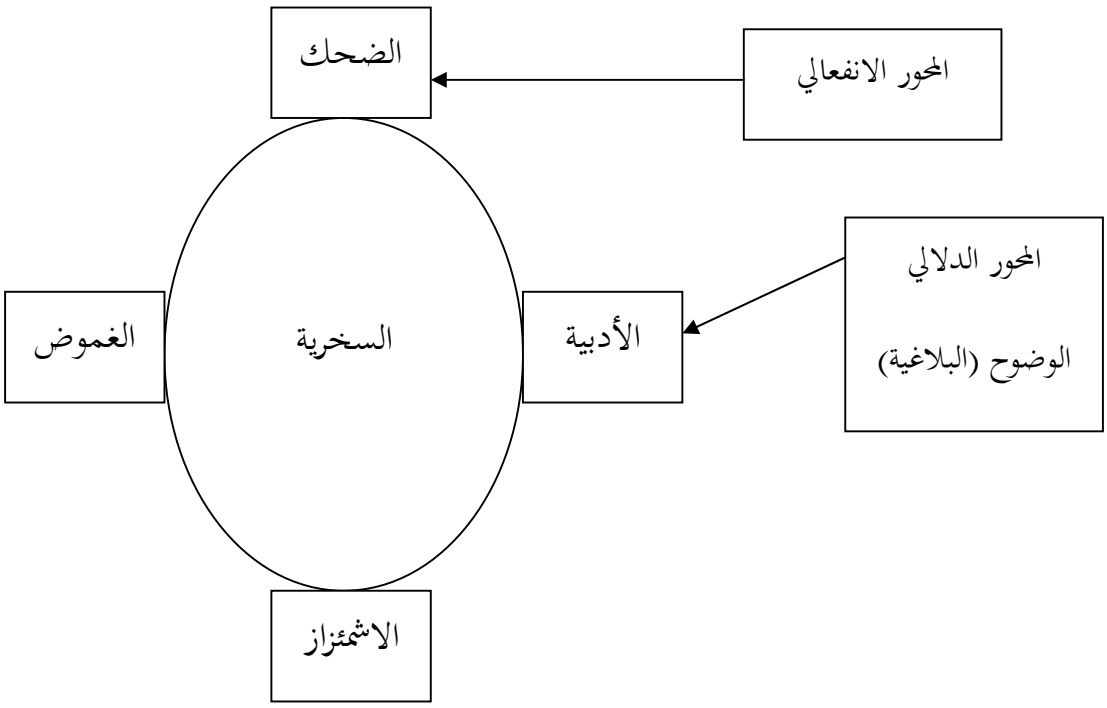

فالمكون الدلاليّ يتجسد من خلال المفارقة وما يترتب عنها من غموض، أما المكون الانفعاليّ فيظهر من خلال الأثر الذي يحدثه هذا الأسلوب في نفس المتلقيّ ولهذا المكون علاقة بمقصدية الخطاب.

[1]- محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص 88.

تأثر العمري بالأبحاث التداولية المتعلقة بالسخرية ، لذلك اعتبر السخرية قائمة في معظم الأحيان على الاسترجاع الذي لا يمكن فهم فحواه إلا باستثمار فاعلية السياق فالخطاب الساخر إذن "حوار مع موقف أو رأي سابق"[1] ومن هنا يظهر البعد الحواري للسخرية، ومن خلال ذلك يمكن رصد الفعالية الحجاجية لهذا النوع من التلفظ .

دعا العمري إلى الاهتمام بالتقاطع الحاصل بين التخييل والإقناع في السخرية ويمكن تمثيل ذلك بالخطاطة التالية :

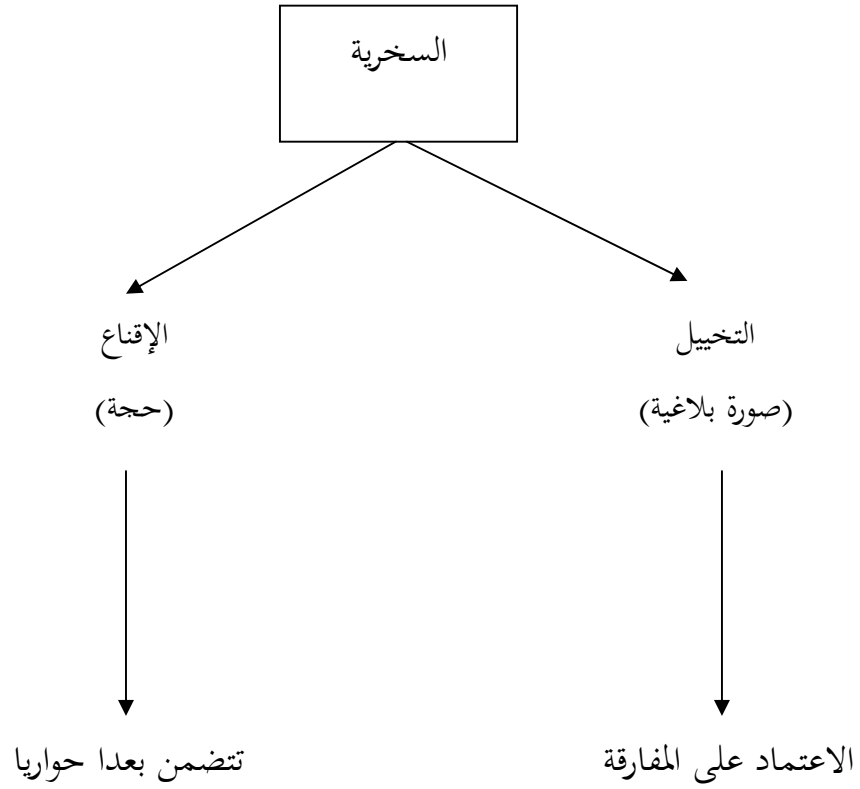

[1]- محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص 105.

ومن هنا فهذا الباحث البلاغي المعاصر يؤكد أن ما اعتبر بلاغة في خطاب ما وخاصة صور الأسلوب "سيفسر باعتباره حالة خاصة من أحوال الحجاج، مثال ذلك السخرية. إنها ليست مجرد انبساط أو تيسير بيداغوجي، إنها أحسن وسيلة لإبراز عدم التلاؤم... إن السخرية حجة في حد ذاتها"[1] ويدلّ ذلك على أنّ الخطاب الساخر من الخطابات التي يتقاطع فيها ما هو تخييلي بما هو تداولي إقناعيّ .

لم يكتف العمري بالجهد التنظيري للسخرية، بل سعى جاهدا لاستثمار ذلك العمل في تحليله للخطاب الساخر، فطبق آراءه النظرية على مدونة "البخلاء"، فرصد فيها آليات السخرية، وأكد أنّ الجاحظ في هذا المؤلف الحجاجي ارتكز على إستراتيجية توريط البخيل "إنه يعطي الكلمة للمسخور منه ولا يفتأ يحرك له رأسه بالموافقة ليستمر في بسط الحجج التي تكشف منطقه الخاص المستمد من هواه وذهوله عن الواقع، بجلب الحجة من غير موضعها وتقديمها في غير مناسبتها"[2].

إنّ هذا الطرح يشكل وعيا بآلية اشتغال الإستراتيجية الإقناعية في خطاب الهزل عند الجاحظ، وكل محاولة نقدية تهمل هذا المعطى ستقع في خطأ منهجي يجعل القراءة قاصرة عن فهم مقصدية هذا النوع من الخطاب، ولذلك اعتبر العمري أن الأستاذين العوامري والجارمي اللذين حققا كتاب البخلاء وقعا في فخ هذا الالتباس لما نعتا الجاحظ بالسفسطة.

وإجمالا، يمكن القول إن اهتمام العمري بالسخرية الأدبية راجع إلى كون بلاغتها قائمة على المزاوجة بين التخييل والتداول، فهي من جهة تحمل أبعادا أسلوبية ومن جهة أخرى تحمل أبعادا حجاجية.

[1]- محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص 216.

[2]- المرجع نفسه، ص 131.

5- المناظرة:

اهتم النقد المغربيّ المعاصر بخطاب المناظرة، وتمّ ذلك وفق مقاربات منهجية مختلفة منها المقاربة البلاغية الحجاجية، والحق أن اشتغال بلاغة الإقناع بالمناظرة مرتبط "بوصفها جنسا حجاجيا، تقدم مهادا خصبا لتشغيل بلاغي من هذا النوع. ثم إنّ التركيز عليها عكس في أحد أبعاده، الطموح نحو نقل بلاغة الإقناع من مجال تقليدي أفاضت في الاشتغال عليه وراكمت فيه عناصر مختلفة، وهو أدب الخطبة نحو مجال آخر هو المناظرة"[1] وتمّ هذا الانتقال بفضل البنية الحجاجية التي يقوم عليها خطاب المتناظرين.

اهتم الباحث المغربي المعاصر "طه عبد الرحمن" بحوارية المناظرة معتبر أن المناظر يكون عارضا لرأي أو معترضا عليه، ولذلك كان هذا الخطاب قائم على أفعال تكلمية ثلاث: "عرض دعوى ويسمى الادعاء وعرض دليل على الدعوى يسمى التدليل (أو الإثبات) واعتراض على هذه الدعوى ويطلق عليه المنع"[2] ويكون ذلك من أجل الإقناع والإقتناع، وتظهر هذه الإستراتيجية الخطابية أنّ خطاب المناظرة لا يخلو من مظاهر حجاجية .

كان لأفكار طه عبد الرحمن حول المناظرة تأثير واضح على البلاغيين المغاربة الذين اهتموا بحجاجية المناظرة، ويعتبر الباحث "عبد اللطيف عادل" من هؤلاء الدارسين الذين اشتغلوا وفق هذا الأفق المعرفي في دراسته للغة التخاطب الحجاجي في هذا النوع من الخطاب، وذلك في دراسة علمية موسومة بـ "بلاغة الإقناع في المناظرة " الصادرة في طبعتها الأولى سنة 2013.

اشتغل "عبد اللطيف عادل" بشكل رئيس على متن مكون من:

- مناظرة عبد الله بن العباس والخوارج.
- مناظرة عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء حول مرتكب الكبيرة.

[1]- عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص 15.

[2]- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص75.

- مناظرة أبي سعيد السيرافي ومتى بن يونس حول النحو والمنطق.

تتبع عبد اللطيف عادل حجاجية المناظرة من خلال هذه النماذج التي وقف على بنائها الحواري وكشف اعتمادها على التفاعل اللفظي بين أطراف الخطاب، ثم عرّج على بعدها التداولي فدرس أفعال الكلام وأقرّ أنّ " الأغراض الأكثر نشاطا في الملفوظات التخاطبية داخل المناظرة هي:

أ- العبارات الحكمية Expressions verdictives

ب- العبارات العرضية Expressions expositives"[1]

وربط هذه النوع من الأفعال بالحجاج التقويمي، ثم انتقل "عبد اللطيف عادل" لوظيفة الشاهد في المناظرة ودوره في إيقاع التصديق في نفوس المتلقين.

توصلت دراسة هذا الباحث إلى أن المناظرة "تبقى الخطاب الأكثر حجاجية وحوارية وعليه تمنح إمكانات واسعة لاكتشاف ما تحتويه من آليات إقناعية عديدة ومتنوعة"[2]فهي إذن مجال خصب لتفعيل آليات التحليل الحجاجيّ .

والحق أن "عبد اللطيف عادل" وفق إلى حد بعيد في الوقوف على بلاغة الإقناع في المناظرة خاصة أنّه لم يتبع خطاطة جاهزة للتحليل الحجاجي، بل حاول إثراء التحليل الحجاجي بمجموعة من المفاهيم والأدوات الجديدة، ولكنه رغم ذلك أهمل بشكل واضح البلاغة الأرسطية ومقولاتها، ولم يستثمر أهم مفاهيم البلاغة الجديدة التي أرسى معالمها بيرلمان، كما لم يوظف مقولات الحجاج اللغوي الذي أسسه اللغوي ديكروو أنسكومبر رغم صلاحيتها لكل خطاب يستعمل اللغة الطبيعية .

[1]- عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص ص 201-202.

[2]- المرجع نفسه، ص 248.

لقد حاولت الدراسات التي أتت بعد عمل عبد اللطيف عادل إتمام قراءة المناظرة في امتدادها الحجاجي ونمثل على ذلك بدراسة الباحث المغربي "مصطفى العطار" التي وسمها بـ"لغة التخاطب الحجاجي دراسة في آليات التناظر عند ابن حزم".

6- الشعر العربيّ المعاصر:

اهتم النقد البلاغيّ المعاصر في المغرب بحجاجية الشعر، وهذا ما تجسد في أعمال بعض النقاد المغاربة ونذكر منهم أبو بكر العزاوي الذي سعى لتطبيق المقاربة الحجاجية على هذا النوع من الخطابات، منطلقا من حضور الإقناع في النصوص الشعريّة فأي نص شعريّ "تكون له، إلى جانب الوظيفة الشعرية وظائف أخرى مثل الوظيفة الانفعالية والوظيفة التوجيهية الإقناعية، والتي يعبر عنها بالتعجب والندبة والاستغاثة والأمر والنداء أو بأسماء الأفعال والروابط التداولية الحجاجية "[1].

ويعبر هذا الرأي على إيمان العزواي برحابة بلاغة الحجاج، فهي قادرة على اقتحام مختلف النصوص التي توظف اللغة الطبيعية، والتي تسعى من خلالها إلى التأثير على المتلقي .

إن هذا التصور المنهجي دفع العزاوي إلى تقسيم الشعر إلى نوعين :[2]

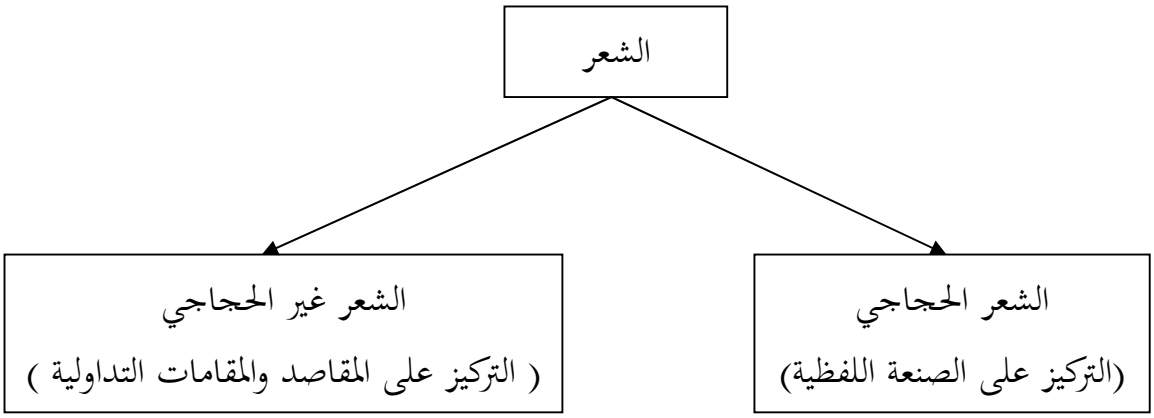

[1]- أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، ص ص 36-37.

[2]- ينظر، المرجع نفسه، ص 38.

فالطابع الحجاجي للقصيدة مرتبط بمدى سعي الشاعر لتغيير مواقف المتلقيّ ومعتقداته والملاحظ أنّ العزاوي يرفض القول بأن هناك تعارضا بين الحجاج والشعر، ما دام أن كليهما ينبنيان على المعرفة المشتركة، واستدلّ على ذلك بآراء حازم القرطاجني.

حاول "أبو بكر العزاوي" "ابتداع آليات ومفاهيم مستحدثة للتأكيد على قابلية النص الشعري المعاصر لهذا النمط من التحليل، أي إنّ الدراسة ستكون ذات طابع حجاجيّ لجميع مكونات القصيدة ويعتبر الباحث أن هذا الإنجاز وسيلة من وسائل تطوير النظرية الحجاجية، وتوسيع لمجال تطبيقها"[1] ويؤكد هذا الطرح رحابة التحليل الحجاجيّ .

اختار العزاوي قصيدة "العلة " للشاعر أحمد مطر كنموذجا لتطبيق مفاهيم وأدوات الحجاج على الخطاب الشعريّ، فبدأ بالعنوان، وتوصل إلى علاقته الحجاجية بمضمون النص من خلال اعتبار هذه العتبة النصية بمثابة "دليل أو حجة تخدم نتيجة معينة من نمط "ينبغي إيجاد علاج للمرض"، أو يجب إزالة الأسباب لتزول المسببات"[2] فالشاعر في مقام تواصلي مرتبط بالدعوة لتغيير الواقع المر.

انتقل العزاوي بعد ذلك إلى البنية الهيكلية للنص، وأدى تركيزه على تكرار الرابط الحجاجي "لكن" إلى تقسيم القصيدة إلى ثلاثة مقاطع شعرية:[3]

[1]- محمد سعيد البقالي، نحو مقاربة حجاجية لغوية للخطاب كتاب "الخطاب والحجاج" لأبي بكر العزاوي أنموذجا، ضمن المؤلف الجماعي الحجاج اللغوي قراءات في أعمال الدكتور أبو بكر العزاوي، تنسيق حسن مسكين، ص 139.

[2]- أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، ص41.

[3]- ينظر، المرجع نفسه، ص ص 42-43.

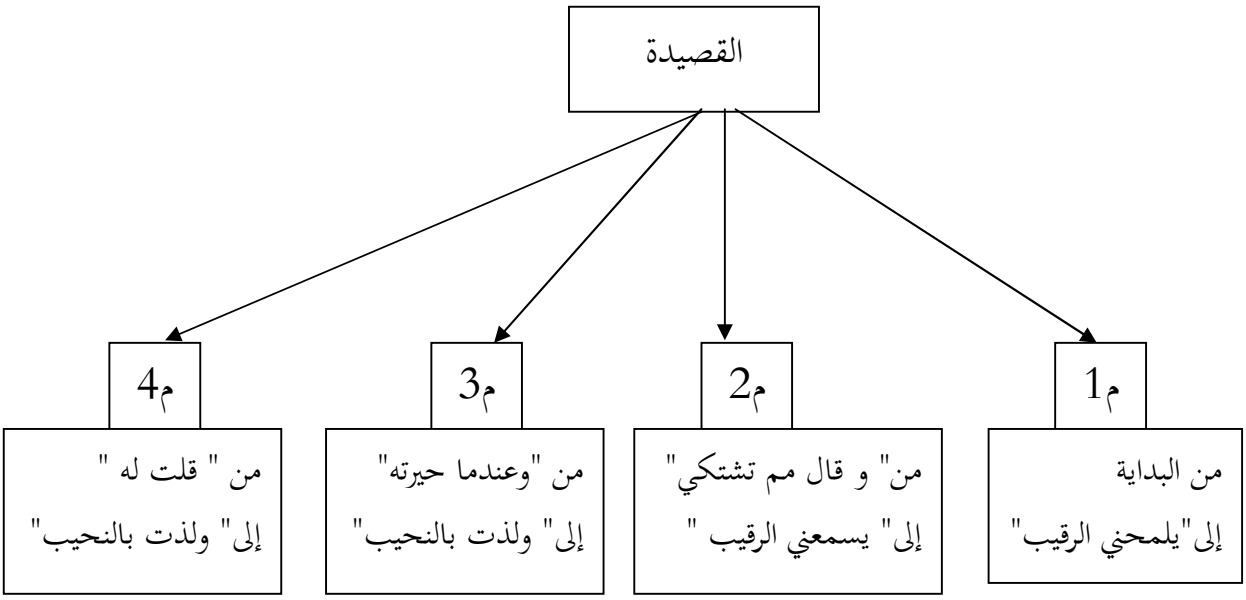

يظهر هذا التقسيم تأثر العزاوي بالحجاج اللساني، فالروابط المبثوثة في الخطاب الإقناعي تتجاوز وظيفتها النحوية لتؤدي وظيفة أوسع منها هي ما يطلق عليه بالانسجام الحجاجي، وهو طرح يتلاءم مع التحليل الحجاجي للملفوظات .

وتجدر الإشارة إلى أن الروابط الحجاجية قد يصرح بها لفظيا، وقد ترد مضمرة في الخطاب الحجاجي، وهذا ما تجسد في قصيدة أحمد مطر، فبالإضافة إلى وجود رابط التعارض الحجاجي "لكن" هناك رابط حجاجي مضمر يربط بين المقاطع الأربعة للقصيدة، واعتبر العزاوي أن الذي يدعم هذا الطرح هو "العنوان نفسه "العلة" الذي يشير إلى وجود علاقة حجاجية بين أجزاء القصيدة، قد تكون هي علاقة السببية في أحد مستويات التحليل"[1].

ولم يهمل الباحث أثر الاختيارات اللفظية للشاعر في توجيه الخطاب الشعري وتحقيق نجاعته فهذا الاختيار لا يؤسس لشعرية النص فقط، بل يحمل مظاهر حجاجية بارزة، لذلك يمكن إدراج هذه التقنية اللغوية ضمن الإستراتيجية الإقناعية، وحاول العزاوي أن يمثل لذلك من المدونة المدروسة، فطرح

[1]- أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، ص 44.

الأسئلة التالية: "لم استعمل لفظة" يلمحني "بدلا من "يراني"؟ ولماذا استعمل كلمة "خشيت" في سياق السمع والرؤية، و"أخاف" في سياق الموت"[1] فكلها اختيارات تجعل الحجاج أقوى .

اهتم العزاوي بالاستعارة الحجاجية الواردة في قصيدة "العلة"، واعتبر أنها مرتبطة بمقاصد الخطاب، فالشاعر لم يستعن بها لإمتاع المتلقي، بل للتأثير في أفكاره ومعتقداته، ولذلك تم إدراجها ضمن الاستعارات ذات النمط الحجاجي، ومن هذه التعابير البلاغية الواردة في المدونة قول الشاعر: [2]

- خذ نفسا.
- من فرط اختناقي بالأسى والقهر.
- حاول رفع هامتي.
- لكني خفضتها .
- أود أن أرفع رأسي عاليا.
- يحذفه الرقيب.

فجميعها يندرج ضمن الوسائل اللغوية التي استعملها المتكلم لقوتها الحجاجية، فالشاعر أحمد مطر استعان بها لتوجيه الملفوظات نحو النتيجة المقصودة .

تفطن العزاوي أيضا لحجاجية التكرار في القصيدة المدروسة، وأكد أن التحليل الحجاجي لهذه السمة الأسلوبية يجب أن يربط بمساهمته في تحقيق الانسجام الحجاجي، فتكرار الرابط الحجاجي "لكن" مثلا ساهم "بشكل كبير وفعال في تنامي النص وتوالده وانسجامه"[3] وهذا يدلّ على أنّ للتكرار وظيفة إقناعيّة.

[1]- أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، ص 47.
[2]- المرجع نفسه، ص48.
[3]- المرجع نفسه، ص 50.

أشار العزاوي إلى حضور الحوار في المدونة المدروسة، وأضفى هذا التفاعل اللفظي بعدا حجاجيا على الخطاب الشعري، مما جعل المتلقي يتبين بوضوح "الوظيفة الحجاجية والإقناعية التي هي إحدى وظائف النص الشعري"[1]فالمكون الحواري في النصّ التخييلي ذو بعد وظيفيّ.

انفتح التحليل الحجاجي للشعر المعاصر عند العزاوي على مباحث التداولية، خاصة ما تعلق بالأفعال اللغوية باعتبارها تتضمن فعلي التأثير والإنجاز، ويعد فعل الاستفهام من الأفعال التي وردت في قصيدة "العلة " وذلك من خلال قول أحمد مطر :

وقال : ومم تشتكي ؟

أردت أن أجيب

لكنني

خشيت أن يسمعني الرقيب

فالاستفهام الوارد في هذا المقطع لا يمكن الوقوف على مظاهره الحجاجية إلا بربط دلالته بالرابط الحجاجي "لكن"، ومن هنا "اكتسب السؤال وإرادة الجواب عنه دلالة حجاجية"[2] فالاستفهام الحجاجي يستعين بالمكونات اللغوية الأخرى لتأدية وظيفته الإقناعية.

ويتضح جليا أن العزاوي لا يفضل النظرة الجزئية في تحليله للإستراتيجية الإقناعية، بل يربط كل عناصرها وتقنياتها بالبرنامج الحجاجي العام ، ويمكن تمثيل ذلك بالخطاطة التالية :

[1]- أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، ص 54.

[2]- المرجع نفسه، ص 58.

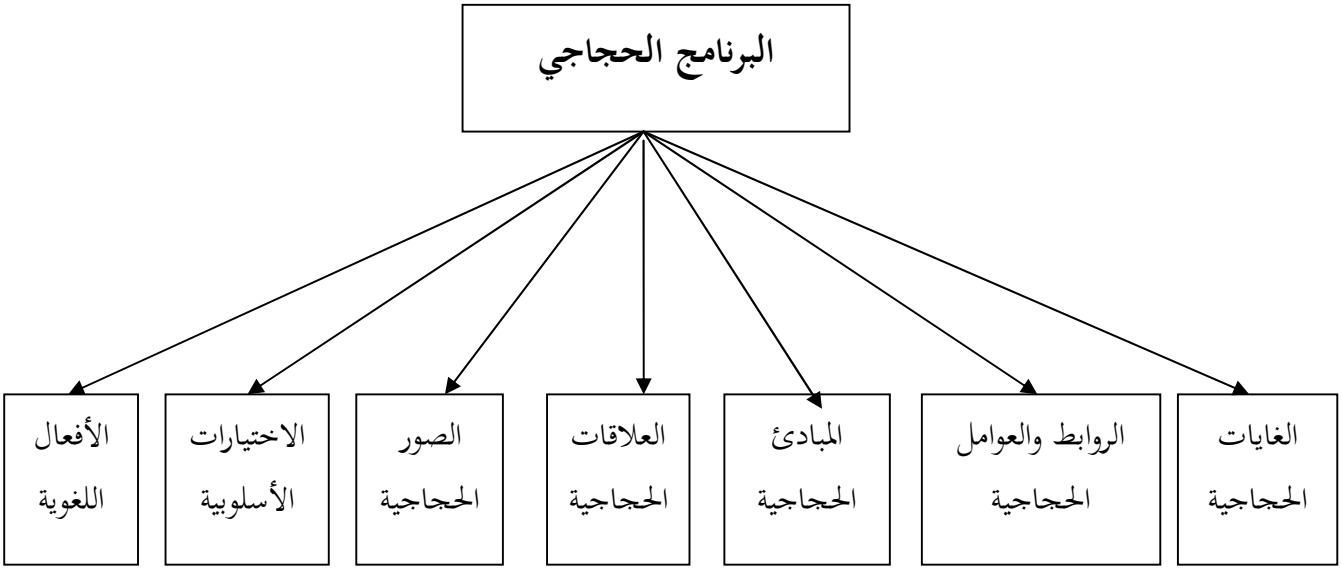

وانطلاقا من هذا التصور المنهجي، فالنص في بنيته العامة هو بمثابة حجة كبرى يخدم نتيجة محددة تتمثل في رفض الواقع والدعوة لتغييره .

وتجدر الإشارة إلى أن الحجاج في الخطاب مرتبط بمستويين هما:[1]

- **المستوى الخارجي:** ويرتبط فيه الحجاج بالمقام الخطابي ومقصدية الخطاب.
- **المستوى الداخلي:** ويتجلى من خلال حجاجية عناصر البنية الداخلية للنص.

فالعزاوي يربط الخطاب بمقصديته وسياقه التواصلي، وهذا ما يجعل مقاربته في بعض محطاتها ذات طبيعة بلاغية "يتنكر لها نظريا عندما يعلن تقيده بالحجاج من منظور لساني"[2] ويعني ذلك أنه من الصعب الفصل بين ما هو لغوي وما هو بلاغي في التحليل الحجاجيّ للخطاب، وهذا ما تجسّد في القراءات الحجاجية " لأبي بكر العزاوي" لمختلف الخطابات.

[1]- ينظر أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، ص ص 59-60.

[2]- محمد مشبال، مفهوم الخطاب من منظور حجاجي، ضمن المؤلف الجماعي الحجاج اللغوي قراءات في أعمال الدكتور أبو بكر العزاوي، تنسيق حسن مسكين، ص 43.

إن التحليل الحجاجي للخطاب الشعري عند العزاوي تم "من خلال تفحص مستوياته المشكلة لنسقه العام، مستكشفا المهيمنات النصية المتحكمة في أغراض دلالاته، بواسطة القراءة الناقدة الباحثة عن معايير الانسجام بين الذات الممثلة بالنص وعالمها المشكل بفضائه"[1] وتدلّ هذه الإستراتيجية التحليلية على اتساع الأفق المنهجي "لأبي بكر العزاوي".

7- الخطاب المثلي:

سعى العزاوي لدراسة الأمثال المغربية في ضوء النظرية الحجاجية والمفاهيم التداولية، فأقرّ في البداية بقصور التحليل الاستلزامي بمعناه المنطقي معتمدا في ذلك على تحليل بعض الأمثال التي لا تقبل القراءة الاستلزامية، فأورد مثلا المثل التالي: اللي كلى من دجاج الناس، سمن ديالو.

فيمكن القول إنه لا يقوم على الاستلزام الصوريّ المنطقيّ بل على الاستلزام التداولي المميز للغة الطبيعية، وعلى هذا الأساس يجب التعويل على منطق اللغة الطبيعية في تحليل جلّ الأمثال ويتعلق الأمر هنا بدعوة العزاوي لاستثمار مفهوم العلاقة الحجاجية في التعامل مع الخطاب المثلية، فالعلاقة الحجاجية "مفهوم عام وشامل يستوعب العلائق الشرطية والاستلزامية والعلية والاستنتاجية والتبريرية والتفسيرية والسببية وغيرها"[2] ويتجلى دورها من خلال ضمانها الانتقال من المقدمات إلى النتائج المرجوة.

يقوم المثل بدور المبدأ الحجاجي في بعض الخطابات لاتصافه بالشمولية والتدرجية، فما دامت الأمثال تتضمن تجارب الشعوب وخبراتها، فإن مضامينها "تتمثل في مجموعة من الحقائق العامة والمعاني الكلية"[3]ولذلك يستعين بها المتكلم في بناء الإستراتيجية الإقناعية للتأثير في المتلقي. ولكن ليست الأمثال

[1]- عبد الله بريمي، الحجاج ومنطق الخطاب بصدد "الخطاب والحجاج" للدكتور أبو بكر العزاوي، ضمن المؤلف الجماعي الحجاج اللغوي قراءات في أعمال الدكتور أبو بكر العزاوي، تنسيق حسن مسكين، ص 88.

[2]- أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، ص81.

[3]- المرجع نفسه، ص 82.

دائما مبادئ حجاجية، فقد توظف في الخطاب كحجة جاهزة تخدم نتيجة معينة، واستشهد العزاوي في ذلك ببعض الأمثال المغربية، منها الواردة في قوله :أقض الغرض، أضرب لحديد ما حدو سخون.

8- الخطاب الإشهاري:

يعتبر "العزاوي" من الذين انشغلوا بالتحليل الحجاجي للخطاب الإشهاري لاقتناعه بنجاعة النظرية الحجاجية التي تعلي من حجاجية الفعل اللغوي "الشيء الذي يجعل من الوظيفة الإخبارية تتوارى قياسا بالوظائف الأخرى التي أكدت عليها النظرية الحجاجية"[1] فبلاغة الحجاج إذن تهتم بالمكون الإقناعيّ للخطاب.

تتبع العزاوي الحجاج الكامن في الصور الإشهارية، واقتضى منه ذلك توسيع مفهوم الحجة "حيث لم يعد يقتصر على جانبه اللغوي الصرف بل انفتح على باقي المكونات الأخرى غير اللغوية ليغدوا بذلك الحجاج مرتبطا بكافة أشكال التواصل"[2] ويمنح هذا التوسيع الحجاج أفقا أرحب.

ومن أجل هذا التوسيع، استعان العزاوي بنظرية الدلالة التصورية التي وضعها جاكندوف وهكذا فإننا إذا حللنا الخطاب البصري "فإن الحجج والنتائج ستكون في نفس الوقت عناصر تصورية. وتتفاعل هذه الأنماط من التواصل غير اللغوي مع التواصل اللغوي وتتكامل معه داخل العملية التواصلية الكبرى لتحقيق نفس الأهداف والغايات المتوخاة"[3] وعليه فتحليل العزاوي للصورة الإشهارية يتوزع بين تحليل الحجاج الكامن في الخطابين: اللغوي والأيقوني، وأمّا طبيعة العلاقة بين هذين المكونين: فهي أنّ هناك تكاملا بينهما في تحقيق التأثير لدى المتلقي .

[1]- حسن مسكين، اللغة والحجاج، ضمن المؤلف الجماعي: الحجاج اللغوي قراءات في أعمال الدكتور أبو بكر العزاوي، ص14.

[2]- عبد القادر ملوك، حجاجية الصورة الإشهارية، ضمن المؤلف الجماعي: الحجاج اللغوي قراءات في أعمال الدكتور أبو بكر العزاوي، ص 103.

[3]- محمد هبصي، الحجاج والإشهار، ضمن المؤلف الجماعي: الحجاج اللغوي قراءات في أعمال الدكتور أبو بكر العزاوي، ص220

رابعا– الحجاج في المشروع البلاغيّ عند محمد مشبال:

إنّ المقاربة الأوّلية للمشروع البلاغيّ لمحمد مشبال تنطلق من أنّ كلمة "مشروع" في هذا المجال تحيل إلى معنيين : [1]

- الأول مجرد ويرتبط بتصوّر الباحث لموضوع اشتغاله: مجاله، مكوناته، طرقه وأساليب تنفيذه...
- الثاني ماديّ ملموس، ويتمثل في ما يصدره الباحث من أعمال تجسيدا للتصور المذكور.

يعتبر محمد مشبال من أهم البلاغيين المغاربة الذين اهتموا بالنصوص الإقناعيّة، واعتمدت أعماله في ذلك على السعي الجادّ لاستثمار المنجز النظريّ لبلاغة الحجاج في تحليل الخطاب، ما دامت العلاقة بين الأدب والبلاغة الحجاجيّة "إذا ما بنيت على أساس تصور يخدم فهمنا للأعمال الأدبية، فإن نتائجها لا تخلو من فائدة، خاصة إذا صدر التحليل عن معيار أدبيّ مرن يرى أنّ النصّ الأدبيّ يستوعب المكون الخطابيّ بشكل من الأشكال"[2].

تجسّد المشروع البلاغيّ لمحمد مشبال من خلال إنجازه لمجموعة من الدراسات وإشرافه على مجموعة من المؤلَّفات، ومنها على وجه الخصوص:

- **البلاغة والسرد:** جدل التصوير والحجاج في أخبار الجاحظ، منشورات كلية الآداب جامعة عبد المالك السعدي – تطوان المغرب، 2010.
- بلاغة الخطاب الديني، منشورات ضفاف، دار الأمان، منشورات الاختلاف، ط1، 2015.
- بلاغة النص التراثي مقاربات بلاغية حجاجيّة، دار العين للنشر، الإسكندرية، 2013.

[1]– محمد اليملاحي، أسئلة الفكر البلاغي في المغرب: مقاربة أولية لمشروع محمد الولي، ضمن المؤلف الجماعي بلاغة الخطاب الديني، ص390.

[2]– محمد مشبال، عن مفهوم البلاغية دراسة في العلاقة الإشكالية بين البلاغة والأدب، مجلة ثقافات، البحرين، العدد رقم 19-20، 1يناير 2007، ص13 .

- البلاغة والخطاب منشورات الاختلاف – منشورات ضفاف – منشورات دار الأمان، ط1، 2014.
- في بلاغة الحجاج نحو مقاربات بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط1، 2017 .

حاول مشبال من خلال مشروعه المتميز تحليل الخطابات من منظور بلاغيّ، وسعى في ذلك للاستفادة من المنجز البلاغيّ الغربيّ القديم والحديث، وانفتح على علوم اللغة لإثراء الأدوات الإجرائية التي تمكّنه من قراءة الخطابات الإقناعيّة، منطلقا من أنّ المقاربة البلاغيّة الحجاجيّة تساهم في الوقوف على مقصدية النصّوص، وتظلّ هذه المقاربة "مقاربة مجردة وعامة ما لم يستحضر المحلِّل السياقين النصيّ والنوعيّ في الكشف عن البلاغة المخصوصة التي ينطوي عليها النصّ المدروس"[1] فسياق الخطاب ونوعه عاملان مهمان في كلّ قراءة تتوخى الوقوف على الإستراتيجية الإقناعية التي بُني عليها النصّ .

تميّز المشروع البلاغيّ لمحمد مشبال بكونه "ممارسة تحليلية وتأويلية للخطابات تساعدنا في فهم ووصف وتقييم بنية الحجاج كما تحقق فعليا في النصوص"[2]ولم يقتصر هذا المشروع على النصوص ذات الغرض الحجاجيّ الصريح، بل امتدّ إلى مختلف الخطابات التي تضمر فعلا إقناعيا. وفي هذا الإطار سعى التحليل الحجاجيّ عند محمد مشبال إلى تحليل خطابات مختلفة: كالنادرة والرسالة والخطبة والرواية.

سعى محمد مشبال لربط نظريات الحجاج بحقل تحليل الخطاب، معتبرا أنّ النصّ هو "مجموعة من الملفوظات المترابطة حجاجيا في مقام تواصلي محدد؛ أي يمكن تفكيكه وإرجاعه إلى جملة من التقنيات

[1]– محمد مشبال، بلاغة رسالة المفاخرة: مقاربة بلاغية حجاجية لرسالة فخر السودان على البيضان، ضمن المؤلف الجماعي: بلاغة النص التراثي مقاربات بلاغية حجاجية، إشراف محمد مشبال، دار العين للنشر، مصر، 2013، ص116.

[2]– محمد مشبال، في بلاغة الحجاج نحو مقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات، ص337.

الخطابية الحجاجية التي تؤلف مجموعه المنسجم، كما يمكن استخلاص حججه المضمرة"[1]أي أنّ التحليل الحجاجيّ قائم على رصد الحجج و التقنيات الموظفة في النصّ المدروس .

إنّ أهم مبدأ يرتكز عليه التحليل البلاغيّ الحجاجيّ عند محمد مشبال هو استثمار ما أنتجته بلاغة أرسطو حول الخطاب الإقناعيّ، ومحاولة تطويع مقولات البلاغة الجديدة لفهم وتفكيك بنية الخطاب الحجاجيّ، ولا يعني ذلك السعي الجادّ لوضع خطاطة عامة جاهزة لتحليل كل خطاب إقناعيّ بل يظل كل خطاب محتفظا ببلاغته النوعية رغم انصهارها ضمن إستراتيجية الخطاب الحجاجية.

اعتبر محمد مشبال أنّ إجراء تقنيات البلاغة الحجاجية في تحليل النصوص له عدة فوائد منها:[2]

- الوقوف على بنية النص الأدبيّ بما تشتمل عليه من تعدد أنماط النصوص.
- إبراز مقصدية العمل الأدبي واستجلاء بعده الوظيفيّ.
- ضبط الآثار الفعلية للنصوص على المتلقيّ باستثمار الأبعاد التداولية للخطاب.

والحقّ أنّ بلاغة الإقناع تساهم في إظهار المكون الحجاجيّ الذي تبنى عليه الخطابات التواصلية، وعليه فإنّ الربط بين هذه البلاغة وتحليل الخطابات الحية هو ربط مشروع منهجيا.

تأثر مشبال في تحليله البلاغيّ للخطاب بالأعمال البلاغية الحديثة التي انشغلت باستثمار البلاغة القديمة في تحليل مختلف الخطابات، ومن هؤلاء البلاغيين الذين يمثلون هذا الإتجاه: كبيدي فاركا أوليفي روبول، وجويل طامين الذين لا تكاد تخرج جهودهم عن المبادئ التالية:[3]

- ربط النص بالسياق التواصلي (الإطار النوعي والغرض البلاغي) .
- رصد الحجج (الإيطوس واللوغوس والباطوس).

[1]- محمد مشبال، بلاغة النص التراثي مقاربات بلاغية حجاجية، ص09.

[2]- ينظر محمد مشبال، عن مفهوم البلاغية دراسة في العلاقة الإشكالية بين البلاغة والأدب، مجلة ثقافات، البحرين، ص ص13-14.

[3]- محمد مشبال، بلاغة النص التراثي مقاربات بلاغية حجاجية، ص 12.

- رصد الوجوه الأسلوبية وإبراز وظيفتها.

1- الحجاج في النثر العربيّ القديم:

يعود اهتمام محمد مشبال ببلاغة الحجاج في النقد المعاصر إلى تأثّره بمفاهيم البلاغة الجديدة، ولم يقتصر هذا الاهتمام على التنظير فقط، بل امتدّ إلى الممارسة من خلال قراءة الخطابات القديمة والمعاصرة وفق أفق حجاجيّ.

إنّ التحليل الحجاجيّ عند "محمد مشبال" للنصوص العربية القديمة يركز على مقصديّة النصّ، وينطلق في ذلك من أنّ النصوص التراثية كمعظم أجناس الأدب القديم وأنواعه "تبرز فيه الوظيفة الحجاجية دون أن تجور على الوظيفة التخييلية"[1] وبناء على ذلك، فإنّ تلقي الخطابات العربية القديمة تلقيا حجاجيّا هو أمر غير مفروض، بل يتلاءم مع الأفق الثقافيّ السائد الذي صدرت عنه، وهو أفق يركز على الفائدة العملية للنصوص الإبداعية.

1-1- الحجاج في النصّ السرديّ القديم:

أكّد محمد مشبال في العديد من مؤلفاته على أنّ فعل الإقناع يكون حاضرا في مختلف النصوص الإبداعية، فالوظيفة الحجاجية قد ترد متداخلة مع الوظائف الأخرى كتضافرها مع الوظيفة التخييلية في السرد، وتأثّر "مشبال" في هذا الطرح بأفكار وآراء العلماء الغربيين كسيمور شاتمان Symour Chatman وميشال أدام Michel Adam.

ومع انتشار هذه المفاهيم الجديدة ،تراجع التصور السائد للأعمال الأدبية باعتبارها تحقق الوظيفة الجمالية فقط، وصار النقاش مفتوحا حول حضور الوظيفة التداولية في مختلف النصوص الإبداعية، مما "أفسح المجال لبروز تصوّر يؤمن بتداخل الوظائف وتعدد المقاصد في العمل الأدبيّ المفرد"[2].

[1]- محمد مشبال، الحجاج والتأويل في النص السردي عند الجاحظ، دار التنوير للطباعة والنشر، تونس، ط1، 2015، ص57.
[2]- محمد مشبال، الحجاج والتأويل في النص السردي عند الجاحظ، ص 127.

وانطلاقا من هذا التصوّر المنهجيّ، دعا محمد مشبال إلى إتباع مقاربة حجاجية تعلي من شأن البعد الإقناعيّ، ولا يعني ذلك أنّها تلغي البعد التخييليّ، بل تدمجه في ممارستها التطبيقية للوقوف على الخصوصية البلاغية لأي خطاب.

إنّ السرد التخييليّ مثلا يرد أحيانا لخدمة الحجاج، وهذا ما حاول مشبال إثباته من خلال تتبع التمازج بين هاتين الصيغتين الخطابيتين من خلال تحليل المدونة السردية للجاحظ، فتوصّل إلى أنّ أخباره ونوادره تشكل إطار سرديّا يمكن إدراجه ضمن الإستراتيجية الإقناعية التي تعوّل على مقصدية الخطاب، وهذا ما يفضي إلى "اعتبار أخبار الجاحظ في بنيتها العامة حججا وشواهد قصصية تعتمد حكاية وأحداثا وعلاقات محسوسة ومصيرا تؤول إليه الأمور، أي إنها تعتمد الخطاب السرديّ لتوصيل رسالتها وإحداث أثرها في المتلقيّ. إنّها حكايات سردية تقوم بتمثيل مضمون خلقي أو حكمة مشتركة أو معنى عقدي أو فكرة فلسفية"[1] فالخطاب السرديّ عند الجاحظ يوجه المتلقي نحو نتيجة مقصودة.

حاول محمد مشبال مقاربة النص السرديّ عند الجاحظ وفق إجراءات الدرس الحجاجيّ منطلقا من أنّ مدونته النثرية لا تهدف لإمتاع القارئ فقط، بل هي أيضا "أداة للتواصل، تضطلع بتلقينه المعلومات وتزويده بالمعرفة، على نحو ما تتوجه إليه ضمنيا بمجموعة من الحقائق الخلقية والإنسانية العامة حتى يعمل بها في حياته الاجتماعية"[2] فالأدب رسالة تسعى للتأثير في سلوك المتلقيّ وأفعاله.

يحمل النص السرديّ عند الجاحظ سمات الإقناع، فهو "يلتقي مع النصوص الحجاجية الصريحة مثل الخطبة والموعظة في توجّهها نحو المتلقي لتعديل فكره أو تحفيزه على الفعل"[3] وهذا ما أكّده "محمد مشبال" في تحليله البلاغيّ للنادرة.

[1]- محمد مشبال، الحجاج والتأويل في النص السردي عند الجاحظ، ص 46.
[2]- المرجع نفسه، ص 14.
[3]- المرجع نفسه، ص 17.

يقتضي هذا التحليل الحجاجيّ عند مشبال منظورا تداوليّا، حيث يحقق النصّ بلاغته عندما ينجح في إيقاع التصديق في نفوس السامعين، ولا شكّ أنّ هذا المنظور يجعل البلاغة منحصرة في الإقناعوبناء على هذا التصوّر، يؤكد "محمد مشبال" أنّ السرد في "البخلاء" يسعى "بالإضافة إلى متعة التصوير القصصي لنموذج إنساني وتعميق خبرة القارئ بالحياة الإنسانية، إلى بناء الأخلاق وتوجيه الأفعال نحو قيم الجود والسخاء التي ميّزت العرب"[1] وتمتاز هذه القراءة بانشغالها بالبعد الحجاجيّ .

لم يهمل "محمد مشبال" في تحليله الحجاجيّ للخطاب الحكائيّ عند الجاحظ آلية التمثيل باعتبارها من أهم الصوّر البلاغية التي تجمع بين التصوير والحجاج، وبين الوظيفة التخييلية والوظيفة التداولية، وكان لهذا المنحى البلاغيّ المهتم بتداخل هاتين الوظيفتين إرهاصات أولية في بلاغة حازم القرطاجني الذي أقرّ التداخل الحاصل بين المكون الجمالي والمكون التصديقي في الخطاب الشعريّ يقول "الشعر له مواطن لا يصلح فيها إلّا استعمال الأقوال الصادقة، ومواطن لا يصلح فيها إلا استعمال الأقوال الكاذبة، ومواطن يصلح فيها يصلح فيها استعمال الصادقة والكاذبة "[2].

حاول "مشبال" استثمار آراء الجرجاني في التأسيس لحجاجية التمثيل في الخطاب، فالتمثيل إن جاء في أعقاب المعاني أو "برزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته، كساها أبهة وضاعف قواها في تحريك النفوس له "[3] فهي تكسب طاقتها الحجاجية من خلال تصوير المعاني في صور محسوسة، مما يؤهل هذا النمط التعبيري في جلب أنس النفوس، وإزالة الشك والريب.

لم تهمل بلاغة الحجاج في النقد العربي المعاصر هذا المعطى أثناء مقاربتها للنصوص التراثية، واتضح ذلك جليا في المقاربة البلاغية لمحمد مشبال التي انطلقت في قراءتها للنص السردي عند الجاحظ من أنّ "العلاقة بين المعنى الخلقي والحكمي والمعرفي وبين الحكاية التي تساق على سبيل الحجة، هي

[1]- محمد مشبال، الحجاج والتأويل في النص السردي عند الجاحظ ، ص 15.

[2]- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 85.

[3]- الجرجاني، أسرار البلاغة، تح: محمود شاكر، ص 511.

العلاقة نفسها التي وقف عليها عبد القاهر الجرجاني في تأمله لتداخل وظائف التواصل والوظيفة الجمالية في نسيج التمثيل"[1].

ويمكن القول، إنّ التمثيل السردي في النصّ التراثيّ هو مثال حكائي "يناظر في بنيته ووظائفه بنية التمثيل باعتباره صورة بلاغية جزئية: إنهما يلتقيان في التقديم الحسي للمعنى وإحداث علاقة حجاجية بين المعنوي المجرد والمادي الملموس... كما أن كلاهما يسعى إلى التواصل مع المتلقي"[2] ويعني هذا أنّ التمثيل من التقنيات الحجاجية التي يتداخل فيها التخييل والتصديق.

اعتمد محمد مشبال في إماطة اللثام عن بلاغة الإقناع في الخطاب السردي الساخر عند الجاحظ على كشف الاستراتيجيات الحجاجية المختلفة الموّظفة في النصّ المدروس، ولم يهمل في ذلك إستراتيجية الباتوس باعتبار أنّ كتاب "البخلاء" يفجر طاقة اللغة في التصوير "القائم على تشغيل جميع مظاهر الطاقة اللغوية التي يتطلبها موضوع مخصوص يتجسد في فعل حركي مثير للاشمئزاز"[3] فالسخرية تعتمد في إقناعها على تنفير المتلقي من سلوك ما.

استثمر "مشبال" نظرية المواضع في اكتشاف حجاجية النص السرديّ عند الجاحظ، معتبرا أنّ هذه النظرية أساس الخطاب الإقناعيّ، فالحجج فيها تأتي ضمنية، يعتمد عليها المحاجّ في بناء خطابه للتأثير على المتلقيّ، وركّز مشبال في ذلك على مواضع الكم والكيف لورودها بكثرة في أخبار الجاحظ ونوادره، فمعظمها يشيد بالكرم والعفة والشجاعة .

إنّ هذا الوعي الجديد ببلاغة الحجاج، جعل "محمد مشبال" يشيد بالقراءات التي راعت نفعية الخطاب فذكر تجربة شوقي ضيف النقدية حول نثر الجاحظ، واعتبر أنّها تفطنت مبكرا للتزاوج الحاصل بين صياغة الحجج وصياغة الأسلوب. يقول "كان الجاحظ يدمج إدماجا بديعيا بين التلوين الصوتي

[1]- محمد مشبال، الحجاج والتأويل في النص السردي عند الجاحظ، ص23.

[2]- المرجع نفسه، ص39.

[3]- محمد مشبال، بلاغة النادرة، دار جسور للطباعة والنشر والتوزيع، المغرب، ط2، 2001، ص24 .

والتلوين العقلي في آثاره، فإذا هي تصور طرافة التفكير في أعلى صورة كما تصور لطرافة الصوت وما ينساق مع هذه الطرافة من تكرار وترداد كان يستعين بهما دائما على تدبيج أساليبه وتحبيرها وإنهما ليتجليان دائما في كل ما يملي ويكتب كما يتجلى جمال التفكير وجمال التعبير"[1] وفي هذا إشارة واضحة لتظافر المكونين الأسلوبيّ والحجاجيّ في أعمال الجاحظ النثرية .

لم يهمل "مشبال" في ممارسته التطبيقية ما توصلت إليه بلاغة الحجاج في الفكر الغربي المعاصر فاستثمر مثلا نظرية المساءلة التي أرسى دعائمها ميشال مايير، وحاول أن يؤسس عليها حوارية النص السرديّ، فالملفوظ الهزلي القديم مثلا ليس سوى "إجابة عن سؤال يثيره المتلقي:كيف ينبغي أن أتصرف لو أنني وضعت في موقف مماثل لمواقف بخلاء الجاحظ وشخصياته الأخرى أمثال عبد الله بن سوار والمدين المستنبح وصاحب الباقلاء وغيرها من الشخصيات الهزلية والخلقية"[2].

وجملة القول، إن المقاربة الحجاجيّة "لمحمد مشبال" للنص السرديّ عند الجاحظ ارتكزت على المبادئ التالية:

- اعتبار النصّ السرديّ إجابة غير مباشرة لأسئلة صريحة أو مضمرة، ولذلك فهو من الخطابات الحجاجية التي تعتمد على استثمار المواقف التواصلية لتوصيل جملة من المقاصد الخلقية والاجتماعية.
- استجلاء مكون "الحوارية" باعتباره سمة حجاجية ملازمة للعديد من الخطابات فرغم أنّ هذا المفهوم تبلور أساسا في البحوث المرتبطة بالرواية إلاّ أنّه "أصبح مثمرا في التحليل البلاغيّ الحجاجيّ للخطابات ومن هنا جاز للبلاغة أن تستعيره وتؤصله ضمن مفهوماتها النظرية وإجراءاتها التحليلية"[3] فمكون الحوارية يساعد محلل الخطاب على فهم الخطاب الإقناعي.

[1]- شوقي ضيف، الفن ومذاهبه، ص771.

[2]- محمد مشبال، الحجاج والتأويل في النص السردي عند الجاحظ، ص47.

[3]- محمد مشبال، بلاغة النص التراثي مقاربات بلاغية حجاجية، ص 08.

إنّ الوظيفة الحجاجيّة للنصوص تتشكل انطلاقا من محاورة الخطابات التواصلية للنصوص التي سبقتها، فالمتكلم ينجز كلامه استجابة لسياق محدد بالمعطيات السوسيوثقافية والمعرفية "وفي جميع الأحوال ينبغي أن يدرك النص بوصفه إجابة صريحة أو ضمنية على سؤال تثيره نصوص أخرى، من هنا كانت حوارية النص (باختين، الماركسية وفلسفة اللغة) مبدأ يضاف إلى مبادئ التحليل البلاغيّ للنصوص"[1] وبناء على ذلك فإنّ كلّ تحليل حجاجيّ ناجح يأخذ بعين الاعتبار المكون الحواري.

- الوقوف على دور الاختيارات اللفظية والأسلوبية في بناء الإستراتيجية الإقناعية فالتحليل الحجاجيّ عند" محمد مشبال" لا يكتمل إلاّ بالوقوف على المظهر اللغويّ والأسلوبيّ للخطاب وربطه بالمقصد الإقناعيّ.
- الانفتاح على البحوث التداوليّة المنجزة في النقد المعاصر، ومحاولة استثمار منجزاتها الثرية في مقاربته الحجاجيّة لمختلف النصوص، خاصة النتائج التي توصلت إليها البلاغة المدمجة التي أرسى أسسها أنسكومبر وديكو.
- اعتبار التواصل البلاغيّ الحجاجيّ في الخطابات قائم على "مجموعة من التقنيات الحجاجيّة والوجوه البلاغيّة والعلاقات الحجاجيّة اللغوية التي يمكن رصدها وتحليلها لكنه أيضا مجموعة من الآراء والأفكار والمعتقدات والمواضع المشتركة التي ينبغي استخلاصها"[2] فالنصّ الحجاجيّ إذن هو نتاج انصهار كل هذه العناصر، وعلى محلل الخطاب الإقناعي أن يقف على جميع هذه المكونات ليصل إلى فهم آلية تأثيرها في المتلقي.
- التأثر الواضح بنظرية أرسطو البلاغية، فالخطاب لا تتحقق حجاجيته بفضل العلاقات الخطابية المنطقية فقط (اللوغوس)، بل تتحقق أيضا بفضل أخلاق المتكم (الإيتوس)، وتتوقف كذلك على مدى نجاح المتكلم في إثارة أهواء المتلقي ومشاعره (الباتوس).

[1]- محمد مشبال، بلاغة النص التراثي مقاربات بلاغية حجاجية، ص10.

[2]- المرجع نفسه، ص 09.

وتجدر الإشارة أنّ اهتمام محمد مشبال ببلاغة الحجاج في أدب الجاحظ، لا يعني أبدا أنه ظلّ حبيس النصوص التراثية، بل لم ينفصل تفكيره الدائم في الأدب المعاصر حيث كان "يخفي الحوار مع الجاحظ حوارا صامتا مع أدباء عصرنا هذا، ويرجع النظر في المشكلات الإنسانية التي أثارها أدب الجاحظ، صدى تأمل راهن لصورة الإنسان اليوم وسلوكه في مجتمع يلتقي فيه الماضي بالحاضر، والتراث بالحداثة، والتقليد بالتجديد، والأصالة بالمعاصرة، والتقييد بالحرية"[1]. ويعني هذا أنّ التحليل الحجاجيّ عند "محمد مشبال" سعى لاستيعاب كلّ الخطابات.

إنّ الأدب الواقعيّ الذي أسسه الجاحظ في نصوصه النثرية ما يزال حاضرا اليوم في القصة والرواية التي نالت رواجا في أدبنا الحديث، وعلى هذا الأساس يمكن القول: إن مقاربة محمد مشبال للسرد القديم تصلح في بعض جوانبها للسرد المميز للكتابات الإبداعية المعاصرة. ولم يكن مشبال في ذلك التحليل الحجاجيّ بمعزل عن المناهج التي خلفها الشكلانيون والبنيويون والأسلوبيون، فهي"قد أبلت البلاء الحسن في تقديم مرتكزات تحليل البناء السردي للنثر"[2] فبلاغة الإقناع في الخطاب تستفيد من مقولات نظريات النصّ .

1-2-بلاغة الحجاج في الرسائل الأدبية التراثية:

تميّز التفكير النقدي عند محمد مشبال بربطه البلاغة بأنواع الخطاب وتشكلاته النوعية متأثرا في ذلك بأرسطو الذي تفطن مبكرا لهذه القضية، فقسّم الخطاب إلى ثلاثة حقول هي: الحقل السياسي (الاستشاري)، والحقل القضائي، والحقل الأدبي، واعتبر ذلك "أول خطوة على طريق ربط البلاغة بأنواع محددة من الخطابات، على هذا النحو يمكن الإشارة إلى بلاغات نوعية داخل كل نمط من الأنماط المشار

[1]- محمد مشبال، الحجاج والتأويل في النص السردي عند الجاحظ، ص ص 06-07.

[2]- محمد مشبال، بلاغة النادرة، ص 06.

إليها"[1]ففي بلاغة الخطاب السياسيّ يمكن الحديث عن بلاغة الخطبة وبلاغة المناظرة مثلا وفي بلاغة الخطاب الأدبي يمكن الحديث عن بلاغة القصيدة وبلاغة الرواية مثلا.

سعى محمد مشبال لتحليل جنس الرسالة تحليلا حجاجيا، واختار لذلك رسائل الجاحظ أنموذجا، واعتمدت هذه الدراسة التطبيقية على مراعاة المفاهيم التالية:

- **الإطار النوعيّ:**

أكّد محمد مشبال أنّ الاهتمام بالبنيات الحجاجية للنصوص الإقناعية يراعي خضوع هذه النصوص لبلاغة نوعيّة، ما دام أنّ "لنوع الخطاب دور في إفراز هذه المقوّمات التي ينبغي ألّا يغفل عنها المحلل الخطابيّ"[2]وبناءا على ذلك فالمقاربة النصيّة لجنس الرسائل الأدبية يجب أن يرتكز على المكونات البلاغية النوعيّة التي تشكل الخصوصية الخطابيّة لهذا النوع من النصوص .

إنّ هذه المنطلقات المنهجية هي التي جعلت محمد مشبال يرفض وجود خطاطة جاهزة يمكن تطبيقها على كلّ النصوص دون أخذ بعين الاعتبار خصائصها النوعيّة، وعلى ضوء هذه المعالم المنهجية اعتبر محمد مشبال أنّ "الحجج والوجوه الأسلوبية بوصفها مقولات متعالية وبنيات مجردة عندما تتشكل في نصّ ذي موضوع معين، وتنتسب إلى إطار نوعيّ تحكمه مكونات وسمات متواترة، فإنها تتلون وفق المقام النصيّ والنوعيّ الذي تتنزّل فيه"[3]فنوع الخطاب هو الذي يحدد الإستراتيجية الخطابية التي يستند عليها النصّ.

[1]- محمد مشبال، بلاغة النص التراثي مقاربات بلاغية حجاجية، ص07.

[2]- محمد مشبال، خطاب الأخلاق والهوية في رسائل الجاحظ مقاربة بلاغية حجاجية، دار كنوز المعرفة، ط1، 2015، ص 13.

[3]- المرجع نفسه، ص 38.

- **الحوارية:**

ظهر هذا المفهوم عند باختين، و"متضمنه النظريّ ماثل في كون كلّ خطاب لا بدّ له أن يتنامى في حضن وجهات نظر متعددة"[1] ويعني هذا أنّ كلّ ملفوظ لا يستقل بنفسه عن الملفوظات الأخرى بل يؤسس علاقة معها.

إنّ الخطاب الحجاجيّ قائم في جوهره على حضور مكون الحوارية ما دام أنّ "المرسل ينخرط في صياغة نصه صياغة يروم فيها إقناع الآخر بخطابه متوسلا في ذلك بمجموعة من الحجج والاستراتيجيات الخطابية"[2] ويظلّ النصّ الحجاجيّ في جوهره خطابا موجها للتأثير في أفكار المتلقيّ وآرائه ومعتقداته .

اعتبر "محمد مشبال" أنّ رسائل الجاحظ محكومة بالحوارية، ما دامت هي حوار بين صوت المتلفظ بالخطاب والأصوات الأخرى التي تؤيده أو تعارضه، ففي تحليل مشبال لرسالة "فخر السودان على البيضان"أكّد أنّ هذا النصّ "يحاور متلقيا معترضا على الدعوى، ويصف فئة غير مقبولة من عموم الناس، ومن ثمة تكون القيم المشركة التي يستند إليها مجرد مقدمات حجاجية ووسائل للحصول على قرار عمليّ وخلق للفعل"[3] وتساهم هذه المنطلقات المنهجية في تحليل خطاب الرسائل .

إنّ رسالة "فخر السودان على البيضان" نص حجاجيّ يسعى فيه المحاجج إلى التأثير في المتلقي لتعديل آرائه المناوئة للسود، فلا يخلو هذا الملفوظ من سمة الحوارية، وهذه الاعتبارات هي التي جعلت مشبال يرفض أن يكون هذا النوع من المفاخر ذي طبيعة بلاغيّة احتفاليّة، وأكد على أنه ذو طبيعة بلاغيّة حجاجيّة.

[1]- عبد السلام أزيار، آليات التفاعل النصيّ ودورها في التجنيس الأدبي، رسالة التوابع والزوابع أنموذجا، دار كنوز المعرفة، ط1، 2016، ص20.

[2]- محمد مشبال، خطاب الأخلاق والهوية في رسائل الجاحظ، ص40.

[3]- محمد مشبال، بلاغة رسالة المفاخرة، ضمن المؤلف الجماعي: بلاغة النص التراثي مقاربات بلاغية حجاجية، ص ص 94-95.

- **التنظيم الحجاجي:**

اهتمّ محمد مشبال في تحليله لرسائل الجاحظ بالتنظيم الحجاجي المكوّن لهذه النصوص،وركّز في ذلك على حجج "اللوغوس"، معتبرا أنّ التحليل البلاغيّ يركّز في المقام الأول على التقنيات الخطابية الحجاجية التي تسهم إيقاع التصديق لدى المتلقي باعتبار أنّ رصد الحجج وتحليلها هو أهم مرحلة في القراءة الحجاجية .

دعا "محمد مشبال" من خلال مقاربته الحجاجية لجنس الرسائل الأدبية إلى عدم دراسة الحجج منفصلة عن بعضها البعض، متأثرا في هذا الطرح ببرلمان الذي رفض التعامل مع البنيات الحجاجية كتقنيات مستقلة.

ويمكن الوقوف على ذلك مثلا من خلال تتبع مشبال لحضور حجة السلطة في رسائل الجاحظ حيث أكّد أنّ هذا النوع من الحجج لا يرد مستقلا بذاته، بل يرد عمليا متداخلا مع أنوع الحجج الأخرى وأتاح هذا التصور المنهجيّ لمحمد مشبال "الخروج من الزاوية الضيقة التي حشر فيها بعض الدارسين التحليل البلاغيّ الذي لم يتجاوز في تطبيقاتهم استخلاص الحجج والصور من الشواهد وتسميتها بعيد عن أي اشتغال حقيقي بالنصّ في كلّيته"[1] فالتحليل الحجاجي الناجع هو الذي يربط العناصر الإقناعية بالبنية الكلية للنصّ.

اهتمّ مشبال بالعنصر الخطابيّ المهيمن على الخطاب الإقناعي، وتجلّى ذلك بوضوح في دراسته لبلاغة رسائل الجاحظ، حيث اعتبر أنّ "الاستشهاد والاحتجاج بنصوص متنوعة يحضى أصحابها بقيمة لدى جمهور المخاطَبين سمة مهيمنة في تشكيل هذه البلاغة"[2] ويساعد هذا التصور المنهجيّ محلل الخطاب في تحديد خصوصية كل إستراتيجية خطابية.

[1]- محمد مشبال، خطاب الأخلاق والهوية في رسائل الجاحظ، ص ص 309-310.

[2]- المرجع نفسه، ص84.

- **المقام الخطابيّ:**

اهتمّ محمد مشبال في تحليله لرسائل الجاحظ بالمقام الخطابيّ، ففي رسالة "فخر السودان على البيضان" مثلا اعتبر أنها قائمة على "المزاوجة بين مقام خَطابي هو مقام المفاخرة وبين مقام أدبيّ هو مقام الترسل"[1] ولم يفصل مشبال بين المقام والغرض العام للنص، ففي رسالة الجاحظ السابقة أكّد أنها سعت للدفاع عن السودان و"حمل المخاطب على إنصاف هذه الفئة والاعتراف بما تملكه من خصال أخلاقية وجمالية وذهنية، على نحو ما تمثلت قيمته، التي بني عليها، في العدل وعدم التمييز بين فئات المجتمع الإنساني. هذا هو الغرض البلاغيّ الذي يتوخى النص توصيله"[2] ويعتمد هذا التحليل على ربط العناصر الحجاجية بالغاية العامة للخطاب.

بعد أن حدّد مشبال السياق الكلي للنص، ووقف على وظيفته المركزية، حاول جاهدا تحليل التشكلات النوعية لهذا الخطاب الترسليّ، ولم ينطلق في ذلك من خطاطة جاهزة بل سعى لإيجاد تحليل حجاجيّ يتسم بالمرونة ليستوعب جميع مكونات المدونة المدروسة.

والملاحظ أنّ مشبال ركّز على حجاجية السرد في قراءته لهذا النص التراثيّ، فالرسالة المذكورة سابقا لا تقدم الوقائع إلا للاحتجاج على قيمة السود، ولذلك لا يمكن اعتبار السرد تقنية ذات وظيفة هامشية في هذا النوع من الخطاب الحجاجيّ، بل هو آلية حجاجية تساهم في تحقيق فعل الإقناع.

لم يهمل "محمد مشبال" دور الوصف في تشكيل إستراتيجية الحجاج، ففي الخطاب الإقناعيّ تساهم أيضا الملفوظات الوصفيّة في التأثير على المتلقيّ، لذلك اعتبرها تقنية خطابية تتضافر مع أنواع الحجج المختلفة كحجة السلطة وحجة الفصل وحجة الشخص وأعماله.

[1]- صالح بن رمضان، الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم (مشروع قراءة شعرية)، دار الفارابي، ط2، 2007، ص297.

[2]- محمد مشبال، بلاغة رسالة المفاخرة، ضمن بلاغة النص التراثي مقاربات بلاغية حجاجية، ص 96.

اعتبر "محمد مشبال" أنّ الجاحظ في رسالة " فخر السودان على البيضان" استعان بالوصف لإقناع المتلقيّ بقيمة السود، واستشهد لذلك بعدة نماذج منها قول الجاحظ: "ومنهم: مهجع، وهو أول قتيل قتل بين الصفين في سبيل الله... ومنهم: المقداد، وهو أول من عدا به فرسه في سبيل الله"[1]وواضح أنّ الوصف في هذا الملفوظ قد التبس بالحجاج من خلال اعتماده على القيم والمواضع المشتركة، فالمثال السابق يتضمن قيمة الجهاد في سبيل الله، ويتأسس على "موضع الكيف (الترتيب) حيث يستمد أفراد سود قيمتهم من أسبقيتهم في الشهادة والجهاد"[2] ويتضح مما سبق أنّ الوصف الحجاجيّ يستند على قيم تلقى القبول لدى المتلقيّ.

تضافر الوصف في مدونة البخلاء السابقة مع القياس المضمر الذي يعدّ من الآليات الحجاجية المميزة للخطاب الإقناعي، ومن النماذج التي نقلها مشبال قول الجاحظ: "قالوا : ودهم الخيل أبهى وأقوى"[3].

يمكن تمثيل هذا القول بالمسار الحجاجي الآتي:

- المقدمة الكبرى (محذوفة): السواد لون يمنح البهاء والقوة.
- المقدمة الصغرى: هناك صنف من الخيل لونه أسود.
- النتيجة:الخيول ذات اللون الأسود تتمتع بالبهاء والقوة.

واعتبر محمد مشبال بأنّ الإضمار في هذا النوع من القياس يضفي على الخطاب حجاجية أكبر مستشهدا في ذلك بقول روث آموسي: "المضمر يسهم في قوة الحجاج عندما يلزم الخطاب بإكمال العناصر الناقصة في الخطاب"[4] أي أنه يدفع المتلقي على الانخراط ضمن المسار الحجاجيّ.

[1]- الجاحظ، الرسائل، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ص 180.

[2]- محمد مشبال، بلاغة رسالة المفاخرة، ضمن بلاغة النص التراثي مقاربات بلاغية حجاجية، ص 106.

[3]- الجاحظ، الرسائل، ص 203.

[4]- Ruth Amossy, L'argumentation dans le discours, Armand colin, Paris, 2010, p 143.

فالإضمار إذن يساهم في نجاح الإستراتيجية الإقناعية، ويمكّن المتكلم من استدراج المتلقيّ للإقرار بالنتائج التي يتوخى المحاجج الوصول إليها.

- **صور الأسلوب:**

يقصد محمد مشبال بلفظ الصور: تلك "الأشكال اللغوية التي يستخدمها المتكلم مخالفا بها الأشكال المعيارية المستخدمة لأداء المعاني الأصلية"[1] وإذا كان التحليل البلاغيّ قد اهتم بوظيفتها الجمالية، فإنّ البلاغة الجديدة سعت للاهتمام بطاقتها الحجاجية وقدرتها على التأثير في أفكار المتلقيّ وسلوكه .

قام التحليل البلاغيّ للصور عند محمد مشبال على تحليل وظيفتها الحجاجية، ولم يكن ذلك ممكنا بمعزل عن مقام الخطاب، ويمكن التمثيل على ذلك باهتمام مشبال بحجاجية الصور في رسائل الجاحظ ،منها تحليله لإنكار النصارى على القرآن قوله "يد الله مغلولة". يقول"إنّ التعبير المجازي هنا لا يجوز النظر إليه بمعزل عن مقامه التواصلي، بوصفه مظهرا من مظاهر الحوار بين الله واليهود، أي إن وظيفة المجاز هنا توصيل كفرهم وسخط الله عليهم وحمل المتلقي على بغضهم والنفور منهم... الأمر يتعلق بمقام بلاغي حجاجي يقوم فيه التعبير المجازي بتوصيل ما لا يستطيع توصيله التعبير الحقيقي."[2] فصور الأسلوب تحمل طاقة إقناعية تدفع بالمتلقي لقبول القضايا المطروحة.

1-3- التحليل الحجاجيّ للخطبة:

اهتم محمد مشبال بالتحليل الحجاجيّ للخطبة معتمدا في ذلك على تحديد مكونات الاستراتيجيات الحجاجية التي تنبني عليها، ولم يكتف في ذلك بتحليل إستراتيجية اللوغوس فقط، بل اهتمّ أيضا بإستراتيجية الإيتوس، مؤكدا أنّ الخطيب المقنع هو الذي "يظهر بالمظهر الذي يجعله جديرا

[1]- محمد مشبال، خطاب الأخلاق والهوية في رسائل الجاحظ، ص 118.

[2]- محمد مشبال، بلاغة صور الأسلوب وآفاق تحليل الخطاب، ضمن المؤلف الجماعي: البلاغة والخطاب، ص118.

بثقة جمهوره أو سامعيه، أي لا بد له من أن يتماهى في الآخر الذي يتوجه إليه، ويسبغ على ذاته مجموعة من الصفات التي تحدد النموذج الأخلاقي المثالي الذي يرجع إليه السامع الخاص"[1]فما دام الحجاج يهتم بالخطاب الاحتماليّ، فإنّه لا يقصي ذات المتكلم، ويظل مهتما بصورة المحاجج.

اعتنى مشبال بحضور الحجة الايتوسية في الخطاب الإقناعيّ، وسعى جاهدا في تحليله للخطاب الحجاجيّ للوقوف على مختلف الاستراتيجيات التي تروم تشكيل صورة إيجابية عن المتلفظ، فأكّد أنّبعض هذه الاستراتيجيات يسهم في بلورة الايتوس المقول (L'éthos dit) بواسطة "الإحالة إلى الذات عبر أقوال في صيغتي ضمير المتكلم أو ضمير الغائب"[2].

ويسهم بعضها الآخر في تشكيل الايتوس المبين (L'éthos montré) عن طريق "التلفظ ووجهات الكلام، أي بالاختيارات المعجمية والأسلوبية"[3] ويظهر هذا التمييز بين نوعي الايتوس تأثرا واضحا بالتنظير الغربي المنجز حول النظرية الحجاجية.

والملاحظ أنّ مشبال ميّز بين الايتوس الجاهز الذي يتضمن السمعة الطيبة التي يحظى بها الخطيب خارج النص، والايتوس الخطابيّ المرتبط بالصورة الخطابية التي يكوّنها المتكلم في خطابه عن طريق التشكيل اللغوي، وفي هذا السياق" يمكن الانتفاع بالنتائج المثمرة التي انتهت إليها علوم اللغة التي اضطلعت بتوصيف المكونات اللسانية الصوتية والصرفية والدلالية والتداولية. نذكر بوجه خاص توصيف أشكال حضور الذات في اللغة... من ذلك مفهوم جهات القول modalités، ومفهوم التوجيه modalisation، والألفاظ التقويمية termes evaluatifs، ومفهوم التأدب politesse"[4].

[1]- محمد مشبال، في بلاغة الحجاج نحو مقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات، ص75.

[2]- محمد مشبال، البلاغة العربية وإستراتيجية الإيتوس في النص القرآني، ضمن المؤلف الجماعي: بلاغة الخطاب الديني، ص191.

[3]- المرجع نفسه، ص 192.

[4]- محمد مشبال، في بلاغة الحجاج نحو مقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات، ص 188.

لم يكتف مشبال بإثراء البحث النظري المنجز حول بلاغة الإقناع في الخطبة، بل تجاوز ذلك لاختبار تلك المفاهيم الحجاجية، ويمكن رصد ذلك من خلال أعماله التطبيقية التالية:

1-3-1- تحليل خطبة يزيد بن الوليد: اهتمّ مشبال في تحليله لهذا الخطاب بالاستهلال معتبرا أنه ذو طبيعة حوارية حجاجية، وجعل من المقام التواصلي بؤرة قراءته لبلاغة المدونة المدروسة، لذلك قسّم خطبة يزيد بن الوليد إلى مقامين: مقام قضائي توخّى فيه الخطيب الدفاع عن نفسه بتبرير فعل قتل ابن عمه، ومقام استشاريّ توخّى فيه المتكلم حث الجمهور على قبول ولايته ، ويمكن تمثيل ما سبق بالخطاطة التالية :

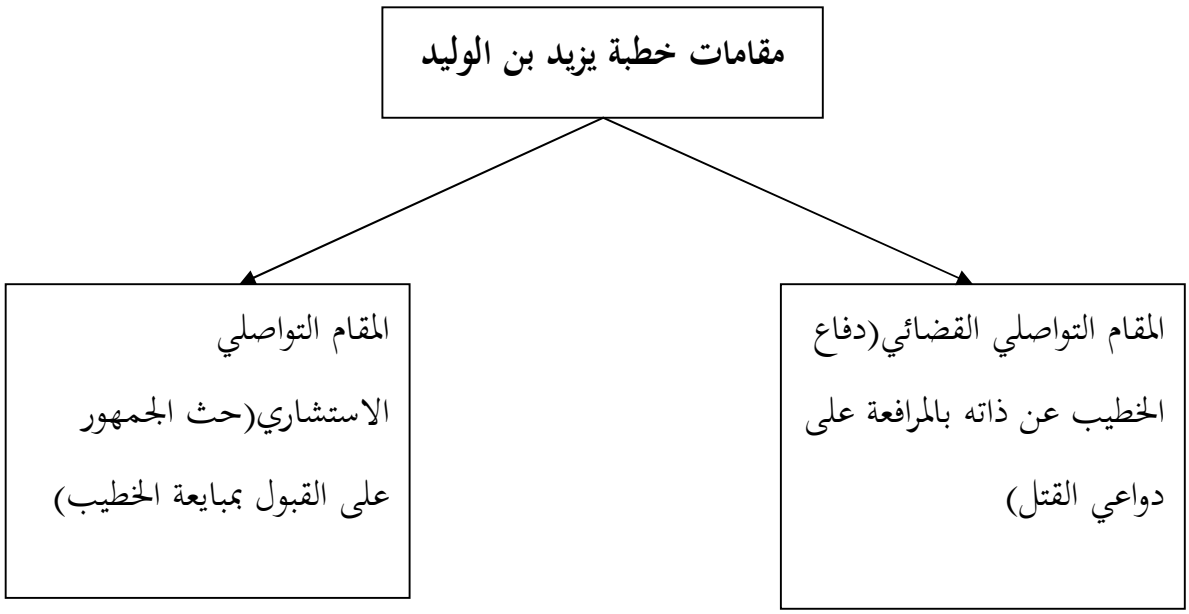

وننوّه أنّ مشبال يربط النصوص الحجاجية بطابعها الإشكاليّ، فالخطاب الإقناعيّ يتضمن إجابة عن سؤال صريح أو سؤال مضمر، وعليه اعتبر أن الملفوظ الحجاجيّ المميز لهذه الخطبة "انتقل من الإجابة عن سؤال: هل الخطيب متهم أم بريء؟ إلى الإجابة عن سؤال: هل يصلح الخطيب لسياسة البلاد ؟"[1] فالسؤال إذن هو الذي ينمي الخطاب الحجاجيّ ويشكّل ملامح إستراتيجيته.

[1]- محمد مشبال، في بلاغة الحجاج نحو مقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات، ص226.

والملاحظ أيضا استعانة مشبال في تحليله الحجاجيّ لهذه الخطبة بما يسمى بحجة آدهومنيم ad hominem، وهي حجة قائمة على الوصل بين الشخص وأعماله، يلجأ إليها المتكلم لنزع القيمة عن الخصم، ويتحقّق له ذلك عن طريق "الطعن في العمل أو في القول لأنهما صادران من شخص غير مقبول، أو شخص ذي خصائص سلبية ترجع إلى شخصيته أو إلى تناقض في أقواله أو تناقض بين أقواله وأفعاله أو بين أقواله ومعتقداته أو بين معتقداته وممارسته"[1].

وظّف "يزيد بن الوليد" حجة آدهومنيم للهجوم على ايتوس خصمه، وأكد مشبال أنّ هذه الإستراتيجية الحجاجية تحققت بالاستعانة بحجة اللوغوس (القياس المضمر) وباستعمال الصور الحجاجية، وباستثمار الطاقة الإقناعية للوصف، وبالارتكاز على الاتفاق المسبق الذي يسهم في تقريب المسافة بين المتحاورين.

ويتضح جليا من ما سبق أنّ مشبال لا يضع حدودا فاصلة بين الاستراتيجيات الثلاث: اللوغوس، الايتوس، والباتوس، لاقتناعه الراسخ أن هذه الاستراتيجيات "لا توجد منفصلة في الخطاب الحجاجي"[2] وهذه الرؤية تدلّ على اتساع الأفق المنهجيّ لمحمد مشبال، وسعيه الجاد لمقاربة الخطاب الإقناعي وفق رؤية رحبة.

1-3-2- خطب الحجاج بن يوسف وفق إستراتيجية الباتوس:

اهتم مشبال بحجة الباتوس، وأطلق عليها إستراتيجية الأهواء، واعتبر أنّ أرسطو هو من أرسى معالمها وبالنظر إلى أهميتها في بلاغة الحجاج ، فقد اعتبر مشبال أنّ البلاغة "فن توجيه الأهواء، أي إنها تشترط في الخطيب أن يكون على معرفة بسيكولوجية المخاطب وبأحواله النفسية أو بما يحركه ويؤشر فيه. فهذه المعرفة شرط ضروري لنجاعة الحجاج "[3] ما دام أنه يتوخى التأثير في المتلقيّ .

[1]- محمد مشبال، في بلاغة الحجاج نحو مقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات، ص 198.
[2]- المرجع نفسه، ص76.
[3]- المرجع نفسه، ص257.

ورغم ذلك فهناك من اعتبر الحجاج بالأهواء ضرب من المغالطة انطلاقا من المعيار المنطقي ولكن مشبال يرفض هذا الطرح، لذلك يدعو إلى مقاربة الحجاج العاطفي وفق نظرة بلاغية سياقية "أي بمراعاة نوع الخطاب وأهداف الخطيب والمقام الذي قيل فيه الخطاب وغير ذلك من الاعتبارات، فهو ليس مغالطيا في ذاته"[1] أي أنه يمكن أن يستعمل استعمالا صحيحا بعيدا عن المراوغة والإكراه.

استفاد "مشبال" في التحليل البلاغيّ للأهواء من المنجز اللسانيّ الذي أنجز حول حضور البعد العاطفيّ في الملفوظات، وبناء على ذلك عرض دراسة كاترين كربرات أوركيوني التي قامت بالبحث عن التجليّات اللغوية للأهواء، وتوصلّت إلى أنّ اللغة العاطفية تكون مبثوثة في الخطاب عن طريق مؤشرات لسانية مختلفة، وعليه يمكن الحديث عن مفهومين للأهواء :[2]

- مفهوم الأهواء المشار إليها بطريقة صريحة .
- مفهوم الأهواء بالإيحاء: وفي هذا النوع ليس هناك إحالة مباشرة إلى عواطف الذات، ولكن يفهم من معجم اللغة أو تراكيبها.

ويظهر هذا التصور مدى حضور الأهواء في مختلف الخطابات التي تنجز باللغة الطبيعية .

حاول مشبال تطبيق هذه المفاهيم في تحليله الحجاجي لخطب الحجاج التي تمثل في تراثنا العربيّ القديم "نموذجا من نماذج الخطاب السياسي التي استخدمت العنف اللفظي"[3] ويظهر ذلك من خلال اعتماد الخطيب فيها على الحجاج بالترهيب، وهو إستراتيجية إقناعية قائمة على باتوس قسري يتشكل بفضل "ضرب من العنف اللفظي الذي يستخدمه الخطيب لإجبار المخاطب على الإذعان لدعواه بالقوة وليس بالحجج" [4].

[1]- محمد مشبال، في بلاغة الحجاج نحو مقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات، ص267.
[2]- ينظر، المرجع نفسه، ص ص 280-281.
[3]- المرجع نفسه، ص 282.
[4]- المرجع نفسه، ص 283.

سعى مشبال إلى تقييم هذه الإستراتيجية الحجاجية بلاغيا، فوجد أن التوسل بالتخويف في هذه الخطب يجعل منها خطاب إقماع وإقصاء، ولذلك للمحل البلاغيّ الحق في إدانة المتلفظ بها .

تأثّر مشبال بالطرح المعرفيّ لأروركيوني في مقاربة حجة الباتوس في خطب الحجاج فبعد أن حدّد التشكيل الخطابيّ لإستراتيجية الترهيب، قسّم هذه العاطفة إلى صنفين هما: الترهيب الصريح: السب والشتم الترهيب الموحي: أسلوب التأكيد أسلوب التكرار.

2- بلاغة الحجاج في النص القرآني:

حاول محمد مشبال تحديد طبيعة الإيتوس في النص القرآني بوصفه "نصا مقدسا يجب تمييزه عن باقي النصوص الدينية البشرية بمجموعة من المظاهر"[1]ولذلك فالحضور الاستراتيجي لهذا المكون يجب أن يفهم انطلاقا من خصوصية النصوص المقدسة، وحاول مشبال مراعاة ذلك في فهم استراتيجيات الإيتوس في النص القرآني، واقتضى ذلك الإنطلاق في تفسير بلاغة القرآن الكريم وحجاجيته "من مبدأ أن تصديق القرآن تمر عبر تصديق المتكلم، أي توثيق الصلة بين الحجاج والمحاجج، فالإيمان بدعوى القرآن والاقتناع برسالته يقتضيان الإيمان بالذات الإلهية والاقتناع بصفاتها"[2].

خشي محمد مشبال أن يلقى معارضة نتيجة الاعتماد على هذه الإستراتيجية الخطابية الحجاجية في دراسته لبلاغة القرآن وحجاجيته، فسعى لتغيير أسس حجة الإيتوس في الكثير من جوانبها، وجعلها محصورة في الصورة التي تشكلت بها الذات الإلهية في النص القرآني،ودعا لمراعاة الاعتبارات التالية :[3]

- عدم الفصل بين الإيتوس الخِطابي والإيتوس ما قبل الخطاب.
- صفات الذات الإلهية قائمة وليست محدثة؛ وهي ترد في القرآن الكريم خادمة للمقام والاعتبارات الخطابية .

[1]- محمد مشبال، بلاغة الخطاب الديني، ص11.

[2]- محمد مشبال، البلاغة العربية وإستراتيجية الايتوس في النص القرآني، ضمن المؤلف الجماعي: بلاغة الخطاب الديني، ص189.

[3]- ينظر، محمد مشبال، في بلاغة الحجاج، ص ص 247-248.

- تتشكل صورة الذات الإلهية بواسطة الإحالة إلى الذات عبر أقوال في صيغتي ضمير المتكلم أو ضمير الغائب. كما تشكلت أيضا بواسطة الاختيارات المعجمية والأسلوبية.

اعتبر مشبال أن الحديث عن الإيتوس لم يكن غائبا في تأويلات البلاغيين العرب القدامى للنص القرآني، وحاول أن يبين ذلك من خلال تأويل السكاكي لقوله تعالى (وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)[1] فالسكاكي حاول أن يفسر هذه الآية انطلاقا من الغرض البلاغي المرتبط بظروف هذا الخطاب وحاول محمد مشبال توضيح ذلك انطلاقا من تحليل الاستعارة الواردة في الآية المذكورة أعلاه: [2]

المثال	الوجه الأسلوبي	التأويل	حجة الإيتوس
يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر.	الاستعارة.	تشبيه الأرض والسماء في انقيادهما لحكم الله بالمأمور العارف المتهيب لعظمته والمحيط علما بوجوب الإذعان لحكمه.	إيتوس الإرادة الخارقة وإيتوس كمال الهيبة وإيتوس الاقتدار العظيم.

والملاحظ أن ربط محمد مشبال بين الأسلوب القرآني وحجة الإيتوس، وسعيه الواضح لتطبيق إستراتيجية الايتوس الأرسطية على النص القرآني محفوف بالمخاطر، فالنظرية في أصلها ارتبطت بالخطاب الإنساني، فكيف يمكن إسقاط نتائجها على النصوص المقدسة.

[1]- سورة هود، الآية 44.

[2]- محمد مشبال، البلاغة العربية وإستراتيجية الإيتوس في النص القرآني، ضمن المؤلف الجماعي: بلاغة الخطاب الديني، ص194.

3- بلاغة الحجاج في النص السردي الروائي المعاصر:

انطلق مشبال في تحليله للسرد القديم من اعتباره وسيلة للتوجيه الاجتماعي والخلقي، لذلك اعتبرت "نصوص النوادر والأخبار والأمثال الحكائية التي وقفنا عليها نصوص سردية حجاجية، القصد منها إحداث التأثير في المتلقي"[1] فالسرد والحجاج يتواشجان في الخطابات السابقة، ولذلك يمكن إدراج هذه النصوص ضمن الخطابات ذات الغرض الحجاجي المضمر.

ولم تخف قراءة مشبال للنصوص السردية القديمة اهتمامه بالخطاب الروائي، فاعتبر أنّ الحجاج غير المباشر يكوّن النسيج الخطابي للنصوص السردية المعاصرة، ولذلك تحضر فيها مختلف الاستراتيجيات الإقناعية، فقد تحضر حجة الإيتوس لتساهم في تصديق المتكلم، وقد تحضر حجة الباتوس لكسب تعاطف القارئ وإثارة عواطفه.وما دامت الرواية تنزع إلى تصوير مواقف التخاطب اليومي، فإنّها "لا تقوم على الخطاب السردي فقط ولكنّها تنضم على خطابات أخرى، ومنها الخطاب الحجاجيّ"[2]فالسرد الروائي إذن لا يخلو من أبعاد حجاجيّة، خاصة أنه منفتح على مختلف الصيغ الخطابية، وقائم في جوهره على خطاب الشخصيات .

وتظلّ الوظيفة الحجاجية في الأعمال السردية تابعة للوظيفة التخييلية، فالمكون الحجاجيّ هو عنصر يساهم في تشكيل الحبكة غير أنّ "الرواية مع ذلك لا يمكنها أن تتخلص من بلاغة الحجاج"[3] ويظهر ذلك مدىالتداخل بين هاتين الصيغتين الخطابيّتين.

سعى محمد مشبال لتحديد مظاهر الحجاج في النص الروائيّ وحصرها في :

[1]- محمد مشبال، في بلاغة الحجاج نحو مقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات، ص131.

[2]- المرجع نفسه، ص129.

[3]- المرجع نفسه، ص131.

- **حجاجية اللغة:** بناء على "أنّ التخييل الذي يقوم على اللغة لا يمكنه إلا أن يخترقه الحجاج بأنواعه المختلفة "[1] ولعلّ من أهم هذه الأنواع: الحجاج اللغوي الذي يكون يظهر من خلال توجيه الأقوال الحجاجية بالاستعانة بالسلم الحجاجي والعوامل الحجاجية.
- **التمثيل السرديّ لخطابات الحياة:** فرغم أن الرواية تشتغل ببناء عوالم تخييلية إلاّ أنّ هذه العوالم تظل ملتبسة بالعالم الواقعي، ولذلك تحضر مختلف المواقف التواصلية في العمل السردي، وسعى مشبال لتوضيح ذلك من خلال قراءته لرواية "حكاية تونسية" للروائية حسونة المصباحي، فأكّد أن الوضع الخطابي للرواية قام على تلاحم المقام التخييلي والمقام الإقناعي.
- **حجاج الشخصيات:** وللوقوف على ذلك، عمد مشبال إلى تحليل بعض الأمثلة من رواية "حكاية تونسية ". قال الابن ".. فأنا لم ولن أنطق بباطل أبدا إذ لم يعد في حياتي ما يمكن أن يبرر جنوحي للكذب وتلفيق التهم الزائفة ضد الآخرين ..." [2] فكلام هذه الشخصية يحمل بعدا إقناعيا.

نخلص ممّا سبق أنّ محمد مشبال لم يهتم بالبلاغة الحجاجية ذات المنزع النظريّ فقط بل كان اهتمامه منصب أيضا على استثمار مفاهيم البلاغة الجديدة في تحليل مختلف الخطابات الإقناعية، وكان هذا الانخراط في إطار تحويل مقولات بلاغة الإقناع إلى أدوات إجرائية تساهم في نجاح المقاربة البلاغية الحجاجية في تحليلها للخطابات .

اقتحم محمد مشبال في هذه المقاربة الجديدة خطابات منوعّة، فحلّل نصوصا من السرد العربيّ القديم ونصوصا من النثر العربيّ كالرسالة والخطبة، وانفتح على الخطابات الراهنة كالرواية والخطاب السياسيّ المعاصر.

[1]- محمد مشبال، في بلاغة الحجاج، ص 132.

[2]- حسونة المصباحي، رواية حكاية تونسية، دار سحر للنشر، 2007، ص 131.

تأثّر محمد مشبال في مقاربته الحجاجية للنصوص بالاستراتيجيات الخطابية التي وضع أرسطو معالمها الأولى التأسيسية، وتتمثل هذه الاستراتيجيات في: اللوغوس والإيتوس والباتوس، ورغم الفصل المنهجي لمحمد مشبال بين هذه الاستراتيجيات إلّا أنّه كان يعتبر أنها ترد جميعا منصهرة في الخطاب ولذلك يجب النظر إليها باعتبارها تتظافر لخدمة الغاية الإقناعية للخطاب.

سعّى "محمد مشبال" من خلال مشروعه الجاد للانتقال من البلاغة المختزلة إلى البلاغة الرحبة ويعني ذلك توسيع حقل اشتغال البلاغة لتستوعب مختلف الخطابات، وهذا ما تجسّد فعليا من خلال الدراسات التطبيقية التي أنجزها "محمد مشبال" والتي جمعت النصوص القديمة والحديثة بمختلف هوياتها الأجناسية.

ولعلّ أهم سمة مميزة للمشروع البلاغي لمحمد مشبال هي السعي للكشف عن المكون الحجاجيّ المميز للخطاب "حيث قام باختبار المقومات الحجاجية في دراسة أنواع أدبية متعددة كالنادرة والرسالة والخطابة. انطلق في ذلك من أنّ النصّ الأدبيّ متعدد المستويات والأبعاد ، وأنّ المكون الحجاجي موجود في مختلف النصوصّ"[1] وهذا التصور المنهجي هو الذي منح مشروعه البلاغيّ أفقا رحبا.

ويمكن القول: إنّ المشروع البلاغي المتميز للدكتور محمد مشبال يستوعب مختلف أنواع الخطاب، ويتسع لاحتواء البعد الحجاجيّ للنصوص، وهذا ما تجسّد من خلال مختلف البحوث والدراسات الأكاديمية التي بعثت بلاغة الحجاج من جديد في النقد العربي المعاصر، وكانت الهدف من كلّ ذلك هو التأكيد على نجاعة المقاربة البلاغية الحجاجية في تحليل الخطابات الإقناعية.

[1] – عبد الرحيم وهابي، البلاغة والتداول: قراءة في البلاغة العربية الجديدة، ضمن المؤلف الجماعي من البلاغة المختزلة إلى البلاغة الرحبة، ص13.

الفصل الثالث: بلاغة الحجاج في تونس

- أولا : الإرهاصات الأولية لنظرية الحجاج في تونس.

- ثانيا : المصطلح الحجاجي في النقد البلاغي التونسي.

- ثالثا :الحجاج وتحليل الخطاب.

- رابعا : نظرية الحجاج وتطبيقاتها عند "عبد الله صولة".

أولا– الإرهاصات الأولية لنظرية الحجاج في تونس:

ظهر اهتمام الباحثين التونسيين بالنظرية الحجاجية مبكرا، ويتضح ذلك من خلال العديد من المؤلفات التي اهتمت بهذا المجال، ونذكر منها على وجه التمثيل الكتاب المعنون بـ: "أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم "تحت إشراف حمادي صمود الصادر سنة 1998 و"هو مؤلف يتألف من مقدمة للأستاذ عبد القادر المهيري ومن ستة بحوث طويلة ومعمقة لفريق من الباحثين الجامعيين، وعلى رأسهم الأستاذ حمادي صمود. وهي بحوث تعرض، وبعضها يناقش أيضا أهم نظريات الحجاج في التراث الغربيّ من الإغريق إلى اليوم"[1] وكان لهذه البحوث تأثيرا على البحث البلاغي الحجاجيّ في الوطن العربيّ .

تضمّن هذا المؤلف بحوث قيمة حول موضوع نظريات الحجاج، نذكر منها اهتمام الباحث التونسي شكري المبخوت بموضوع نظرية الحجاج في اللغة الذي قدّم فيه "التيار التداوليّ الذي أسسه أ.دكرو و ج . ك. أنسكومبر. وتعود أهمية هذا التيار، في نظر الباحث، إلى أنه من جهة أولى يرفض التصور القائم على الفصل بين الدلالة –وموضوعها معنى الجملة–والتداولية– وموضوعها استعمال الجملة في المقام–وأنّه يسعى من جهة ثانية إلى سبر كل ما له صلة داخل أبنية اللغة بالاستعمال البلاغي المحتمل"[2] وهذا ما أسّس لنظرية الحجاج اللساني التي تعتبر أنّ المكون الحجاجيّ مرتبط بالبنية الداخلية للغة .

أمّا اهتمام "عبد الله صولة" في هذا المؤلف الجماعيّ، فانصبّ على البلاغة الجديدة التي أرسى بيرلمان وتيتيكاه معالمها، وكان لهذا الاتجاه البلاغيّ الجديد الفضل في عودة الاهتمام بالبعد الحجاجيّ للخطاب وتخليصه من صرامة الاستدلال المنطقيّ، ولا يعني ذلك إهمال البعد العقليّ، فالحجاج "ليس

[1]– حسن المودن، مجلة جذور، ج 18، مج 08، 2004، ص 72.
[2]– المرجع نفسه، ص ص 78–79.

هو استدلالا شكليّا ولا هو مغالطة أو مناورة وتلاعب بالمشاعر والعقول."[1] فالإستراتيجية الإقناعية رغم انفتاحها على مختلف المكونات الخطابية إلاّ أنها ترفض التضليل والمراوغة.

وتجدر الإشارة أنّه يمكن اعتبار "أطروحة حمادي صمود حول التفكير البلاغيّ عند العرب التي صدرت في طبعتها الأولى عن الجامعة التونسية بداية الثمانينات، من الاجتهادات التي شكلت قفزة نوعية في إعادة قراءة البلاغة العربية القديمة وفق منظورات جديدة"[2] خاصة من خلال اهتمامها ببلاغة الإقناع عند الجاحظ، وفي ذلك دعوة صريحة للباحثين البلاغيين لبعث المباحث الحجاجية من جديد.

لقد كان حمادي صمّود من أهم الباحثين التونسيين الذين اهتموا بالدرس البلاغيّ، ولم ينحسر اهتمامه العلميّ في ذلك على مباحث التخييل فقط، بل امتدّ ليشمل رصد وتحليل حضور المكون الحجاجيّ في التراث البلاغيّ العربي. هذه الهموم المنهجية هي التي "حملته على تكوين حلقة بحث جمع فيها نخبة من الدارسين الباحثين قصد النظر في البلاغة والحجاج بل في الحجاج في علاقته بالبلاغة لأنّه هو الذي يبدو في نهاية الأمر مغمورا في التراث البلاغي حسب النظرة السائدة فيه"[3] ويعكس هذا التصور السعي لبعث بلاغة الحجاج من جديد.

سعى "حمادي صمّود" للبحث في الخلفية النظرية للمصطلح المؤسس للقول الخطابيّ في التقاليد الغربية والعربية، فتوقف عند أرسطو والجاحظ باعتبارهما من أهمّ من اهتمّ بدائرة الإقناع التي

[1]– عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال "مصنف في الحجاج – الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتيكاه، ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص 349.

[2]– عبد الرحيم وهابي، البلاغة والتداول – قراءة في البلاغة العربية الجديدة–، ضمن المؤلف الجماعي، من البلاغة المختزلة إلى البلاغة الرحبة، ص04.

[3]– حمّادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص06.

"تقع في مجال الاختلاف والخلاف حيث يمكن للآراء أن تتعدد وتتباين وحيث يدعى الإنسان إلى مقارعة الرأي بالرأي و الخطاب بالخطاب"[1] وفي هذا دعوة ضمنية لإعادة بعث بلاغة الحجاج .

كان الاهتمام بنظرية الحجاج في تونس منصبّا في البداية على المستوى التنظيريّ، وذلك قصد استيعاب أهم المفاهيم الحجاجية في الفكر البلاغيّ الغربيّ، ثم ظهر بعد ذلك نزوع واضح لتوظيف هذا المنجز في تحليل مختلف الخطابات الحجاجية، وهذا ما تحقق من خلال ثلة من النقاد في تونس نذكر منهم: عبد الله صولة، سامية الدريدي، صابر الحباشة، شكري المبخوت، وعز الدين الناجح.

[1]– حمادي صمود، في الخلفية النظرية للمصطلح، ضمن المؤلف الجماعيّ أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص18.

ثانيا– المصطلح الحجاجيّ في النقد البلاغيّ التونسيّ:

عرف ترجمة المصطلح الحجاجيّ في البحث البلاغيّ التونسيّ اضطرابا واضحا، ويمكن التمثيل على ذلك بعدة نماذج منها: ترجمة حمادي صمود وعبد الله صولة مصطلح "nouvelle rhétorique" بالخطابة الجديدة رغم أنّ كلمة بلاغة في اللغة العربية "تلتقي اليوم مع كلمة ريطورية في التراث البلاغيّ الغربيّ المتحدر من الثقافة اليونانية واللاتينية عامة (RHETORIQUE) في اللغة الفرنسية وRHETORIC في الإنجليزية)"[1].

إنّ مصطلح "البلاغة" الجامع لمكوني التخييل والحجاج لا يطرح إشكالا في التراث العربيّ لأنّ البلاغة في هذا التراث "هي العلم الذي ينصبّ على الخطاب الشعري التخييليّ والخطاب الحجاجي التداوليّ" [2] ويعني ذلك أنّ البلاغة العربية القديمة قد اهتمت بهذين المكونين .

وإذا عرجنا إلى مصطلح "Auditoire" نجد أنّ الباحثة التونسية سامية الدريدي ترجمته بلفظة "المتلقي" وهي "لفظة بعيدة عن أداء المقصود بالمصطلح، الشيء الذي أوقعها في الحرج حين تحدثت عن تمييز برلمان بين (L'audtoire particulier) و(L'audtoireuniversal)"[3] ووقع كل هذا الاضطراب رغم دعوة "محمد العمري" لترجمة مصطلح "Auditoire" بـ : "مُستمَع" .

وإذا انتقلنا إلى ترجمة مصطلح Conviction نجد أنّ عبد الله صولة ترجمه بـ "الحمل على الإقتناع" ويرى الباحث المغربي الحسين بنو هاشم أن هذه الترجمة غير مناسبة " فالمطلوب لفظة واحدة تؤدي معناه، وتصلح للتصريف وفق مختلف الإشتقاقات التي يخضع لها هذا المصطلح، وإن حاولنا

[1]– محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص35.

[2]– الحسين بنوهاشم، نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، ص09.

[3]– المرجع نفسه، ص 14.

تصريف هذه العبارة وفق تلك الإشتقاقات فسنضطر إلى استعمال عبارات تثقل على القارئ"[1] لذلك اقترح مصطلح " تيقين ".

وأمّا حين نتتبع مصطلح paralogisme نجد هشام الريفي يترجمه بالأغاليط، ويترجمه "محمد النويري" بالبرالوجيسم، ويعود عدم الاستقرار على ترجمة واحدة إلى عدة أسباب، أهمّها أنّ "المصطلح الواحد يمكن أن يتعلق بمفاهيم مختلفة تكاد تكون متضاربة وإذا أضفت إلى ذلك افتقار المعاجم الغربية المختصة إليها واتكال الباحثين الغربيين على المصطلحات اليونانية واللاتينية بصفة أخصّ والسياقات المنطقية الكؤود التي جاءت فيها أمكن لك أن تقدر صعوبة نقل المصطلحات التي يقوم عليها هذا العمل إلى العربية"[2] وكل ذلك ساهم في ظهور ما يطلق عليه بفوضى المصطلح خاصة في العلوم الحديثة نسبيا كالعلوم اللغوية .

لقد أقرّ الباحث التونسيّ "صابر الحباشة" بالحرج الاصطلاحيّ الذي يواجه الباحثين في حقل الحجاج ويعلّل ذلك "بأنّ اللغة العربية المعاصرة فقيرة في مستوى المصطلحات والألفاظ الفنية، وهذا أمر لا يستغرب، إذ ركن أهل الضاد إلى استهلاك العلوم، وعلوم اللغة من العلوم التي شهدت في القرن العشرين قفزات عملاقة"[3] وتفاقمت هذه الوضعية مع تطور الجهاز المفاهيميّ للنظرية الحجاجية في الغرب واستمراره في التبلور مع غياب شبه تام لوضع مشروع عربيّ مشترك يؤسس لبلاغة عربية جديدة ولم يمنع هذا الوضع من ظهور بعض المحاولات الجادة التي اهتمّ أصحابها بتوحيد ترجمة المصطلح الحجاجيّ الغربي ونقله إلى اللغة العربية .

[1] – الحسين بنوهاشم، نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، ص 16.

[2] – محمد النويري، الأساليب المغالطية مدخلا في نقد الحجاج، ضمن المؤلف الجماعي: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمّادي صمّود، ص405.

[3] – صابر الحباشة، التداولية والحجاج، صفحات للدراسات والنشر، ط1، 2008، ص145.

أمام هذا التحدي، سعى "صابر الحباشة" جاهدا للتأسيس لفعل الترجمة في مواضيع الحجاج والتداوليات، فترجم موضوعات ومباحث غربية في هذا المجال، نذكر منها ما ورد في كتابه المعنون بـ: "لسانيات الخطاب الأسلوبية والتلفظ والتداولية" الذي ترجم فيه المباحث التالية :

- السلالم الحجاجية لأوزفالد ديكرو.
- التداولية المدمجة لهرمان باريبه.
- الصيغة والقوة اللاقولية لجون لاينز.
- التداولية والحجاج لجيل دكلارك.
- التلفظ لأوزفالد ديكرو.

ويظهر موضوعها أنها تركز على الحجاج وأدواته الحجاجية وبعض مفاهيمه التداولية.

وتجدر الإشارة إلى اقتناع صابر الحباشة بأنّ ترجمة مصطلحات النظرية الحجاجية تحتاج إلى جهد أكبر فهو يعترف أنّ الجهاز الاصطلاحيّ الحجاجيّ يحتاج إلى مراجعة مستمرة ويعلّل ذلك بكون أن هذه المباحث "تنتمي إلى اختصاصات لسانية حديثة، لا نعثر على محاولات لإدخالها في حضيرة اللسان العربيّ إلاّ قليلا"[1] ولذلك يجب تكثيف الجهود في هذا المجال لتطوير البحث البلاغي الحجاجيّ في الوطن العربيّ .

إنّ هذا الاهتمام بقضية المصطلح جعلته يناقش ترجمة زملائه، نذكر من ذلك الترجمة التي أنجزها الأستاذين الطيب البكوش وصالح الماجري لكتاب في سبيل منطق للمعنى لروبير مارتان، فأثنى على الباحثين خاصة في حسن استثمار السمة الاشتقاقية للغة العربية، ومثّل على ذلك بإلحاق ميم زائدة.

[1]- صابر الحباشة، لسانيات الخطاب، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2010، ص08.

بالكلمة للدلالة على المعاني الجديدة ، فأورد بعضها في الجدول التالي :[1]

المقترح العربي	المصطلح الفرنسي
حرفم	Graphème
لفظم	Monème
صيغم	Morphème
عجمم	Lexème
متيمم	Thématisé
ممسلم	Axiomatisé
معنم	Sémantème
نغمم	Prosodème
صوتم	Phonème

واغتنم صابر الحباشة الفرصة للتأكيد على ضرورة أن تتكفل مؤسسات عربية قومية بتأطير اشتغال المترجمين في علوم اللسانيات، حتى لا تعم فوضى المصطلح، ذلك بأنّ الاتفاق على اختيار أو اختيارين اثنين للمصطلح الأجنبي الواحد"تؤدي بنا إلى الاقتصاد في الجهد والوقت وعدم الوقوع في نزاع حول مصطلحات أصبحت الآن عتيقة"[2] وهذا ما أصبح ضرورة منهجية في مختلف البحوث اللسانية .

[1]- صابر الحباشة، التداولية والحجاج، ص118.

[2]- المرجع نفسه، ص121.

والملاحظ أنّ "صابر الحباشة" من الباحثين التونسيين الذين تفطّنوا للخلط الحاصل في المصطلحات الأساسية المرتبطة بمجال الحجاج، وهنا نجد الحجاج والجدال والبرهان والاستدلال "فضلا عن الاختلاف الجزئي في الجذر (ح ج ج) فمنهم من يستعمل (الحجاج) ومنهم من يفضل (التحاجّ) ومنهم من يفك الإدغام فيقول (التحاجج) ومنهم من يستعمل (المحاجّة) ومنهم من يفكها فيقول (المحاججة)... وغير ذلك من التصريفات الاشتقاقية"[1] وما دام الأمر بهذا الاختلاف فمن الصعب الاتفاق على خطاطة حجاجية عامة، تساهم في مقاربة الخطابات الإقناعية المختلفة وتحليلها.

اهتمّ صابر الحباشة أيضا بتداخل المصطلح الحجاجيّ مع مختلف الحقول المعرفية وكان له ميل واضح لإدراج الحجاج ضمن البحوث التداولية، منطلقا من أنّ هذا التوجه يعود للسنوات الثمانين من القرن العشرين " تشهد على ذلك البيبليوغرافيا وتوضحه المفاهيم. إذ يجمع جون بليز غرايز بين المنطق والحجاج، أما روبار مارتان فيدمج مفهوم ممكن الوقوع في نظريته الدلالية، وقد عاد أوزفالد ديكرو أخيرا إلى مفهوم المواضع لوصف آليات اللغة الحجاجية "[2] وتظهر هذه الاتجاهات المنهجية اهتمام الدرس التداوليّ بالحجاج .

اعتبر صابر الحباشة أن النظر إلى النظريات التداولية وعلاقتها بالحجاج يكون من منظورات ثلاثة كبرى منطقي ولغوي ومحادثي، ويمكن أن نمثل ذلك بالخطاطة التالية :

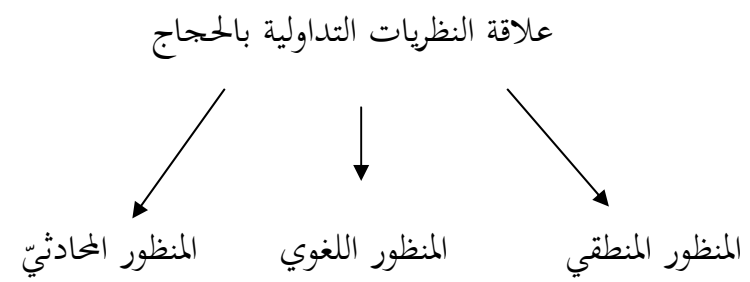

[1]- صابر الحباشة، التداولية والحجاج، ص 46.

[2]- المرجع نفسه، ص 16.

إنّ صابر الحباشة وهو يعرض هذه النظريات يقرّ بأن مفاهيمها ومصطلحاتها ما زالت في قيد التبلور والنضج، فنظرية ديكرو مثلا تظل متشعبة الفروع "ثمّ إنّ صاحبها ما انفكّ يطورها ويعدل بعض عناصرها، وذلك في إطار النقد الذاتي وسنة تطور المعارف وثراء التجارب"[1] ولكن رغم ذلك كان صابر الحباشة يظهر تأثره بالتداولية المدمجة التي تنطلق من أنّ الحجاج متضمن في اللغة وتعتبر "البعد الحجاجي سابقا للبعد الإخباري في القول، في كل قول. فكل قول – حسب هذه الرؤية – هو حجاجيّ بالقوة"[2] وهذا يوسع من دائرة الحجاج، ويعطي لمحلل الخطاب آفاقا رحبة لتحليل مختلف الخطابات .

والخلاصة أنّ البحث البلاغيّ في تونس جنح إلى الاهتمام بإشكالية المصطلح الحجاجيّ وكان الاهتمام واضحا بضرورة توحيد مصطلحات الجهاز المفاهيمي الحجاجيّ، لأنّ ذلك يساهم في تحديد معالم النظرية الحجاجية ويفتح آفاقا رحبة لاستثمارها في تحليل الخطابات التي تصرح بقصده الإقناعي أو تضمر هذه الغاية الخطابية، وما دام أنه لا يمكن لحقل معرفي أن يتطور دون ضبط واضح لمصطلحاته، فإنه كان من الضروري الاشتغال على توحيد المصطلح الحجاجيّ لمنح بلاغة الإقناع أفقا أوسع .

[1] – صابر الحباشة، التداولية والحجاج ، ص 24.

[2] – المرجع نفسه، ص 58.

ثالثا- الحجاج وتحليل الخطاب:

حاول الباحثون التونسيون استثمار النظرية الحجاجية في تحليلهم للخطاب، ويمكن تتبع ذلك من خلال الخطابات التالية:

1- الخطاب القرآنيّ:

يعتبر "عبد الله صولة" من الذين اهتموا بدراسة اللغة القرآنية حجاجيا، ويمكن الوقوف على ذلك من خلال بحثه الأكاديمي المعنون بـ "الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية" والذي اهتمّ فيه بالظواهر اللغوية الحاملة للحجاج، منطلقا من تصور منهجيّ يصل الأسلوب بالحجاج "فالأسلوب حجاجيّ والحجاج يحمله الأسلوب"[1] فالأسلوب والحجاج مترابطان.

تطرق صابر الحباشة إلى الإشكاليات التي يطرحها تطبيق المنهج الحجاجيّ على الخطاب الإلهي، واتخذ من محاولة "عبد الله صولة" نموذجا لذلك، ليدعو الباحثين من خلال هذا العمل إلى "ضرورة التوقف مليا عند إمكانية اعتبار النص القرآني منتميا إلى اللغة الطبيعية، ومن ثمة يصدق على خطابه كونه قائما، من جملة ما يقوم عليه، على الاستدلال الطبيعيّ."[2] ويعني ذلك أنّ الخطاب القرآني خطاب مقدس يجب مراعاة خصوصياته عند محاولة فهم تأثيره على المتلقين.

يقرّ"صابر الحباشة" أنّ المشروع الذي تبناه "عبد الله صولة" واجهته تحديات منهجية مرتبطة بخصوصية التعامل مع النص القرآني، لذلك "بقي مراوحا بين الظفر بخلاصات أسلوبية إحصائية وبين مقاربات حجاجية جزئية. وهو ما أثّر في الطموح الذي قد لا يكون بلغ به صاحبه غاية المأمول"[3] فخصوصية الخطاب الإلهي تجعل من نتائج تطبيق التحليل الحجاجي على النص القرآني محدودة.

---

[1]- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، لبنان، ط2، 2007، ص58.

[2]- صابر الحباشة، محاولات في تحليل الخطاب، ص140.

[3]- صابر الحباشة، التداولية والحجاج، ص53.

ولا يعني ذلك أنّ "صابر الحباشة" يرفض المقاربة البلاغية الحجاجية، بل يدعو للاستفادة منها ولا يتحرج من استثمار مقولاتها في تحليل الخطابات الإنسانية، فتحليل الخطاب عنده "يشترك مع اللسانيات الاجتماعية والبلاغة الحجاجية والتحليل اللساني والتحليل المخاطبي، في الاهتمام بالخطاب اللغوي"[1] لكنّه عند التعامل مع النصّ القرآني، يجب على القارئ مراعاة قداسته.

2- حجاجية الشروح البلاغية:

اهتمّ الباحث التونسي "صابر الحباشة" بحجاجية الشروح البلاغية، ورفض الأحكام الجاهزة التي ألصقت بأصحاب الشروح، واعتبر أنّ هذا النوع من المؤلفات التعليمية لا يمكن وصفه بالهشاشة المعرفية "ولعلّ من جازف من الباحثين المعاصرين بإطلاق أحكام عامة سلبية عليها، لم يصدر عن تمثل حقيقي لتلك الحاجات المعرفية. كما أنّ رمي السكاكي وأتباعه بتهمة تحجير البلاغة، حكم يحتاج إلى الإثبات ويفتقر إلى الاستدلال"[2] ويعني ذلك أنّ النص البلاغيّ الشارح هو نصّ حجاجيّ.

اتخذ "صابر الحباشة "من شروح التلخيص للقزويني مدوّنة للتأكيد على التواشج الحاصل بين البلاغة والتداولية، مركزا على أحوال المسند إليه (الذكر والحذف والتعريف والتأخير)، فحاول دراسة ذلك في ضوء النظرية الدلالية ذات الشكل المقلاع y، فوجد أن الشراح كانوا يستجيبون ضمنيا لهذه النظرية من خلال ربطهم المعنى الحرفي بالمعنى السياقي، فالسمة الأبرز في عملهم "أنهم يعتبرون المكون اللساني (نحو اسم الإشارة، اسم الموصول، أداة التعريف ال، ...) من تحصيل الحاصل، فترى أكبر همهم ينصبّ على المكون غير اللساني: وهو الذي ينتج معنى الملفوظ وقد التحم بسياق تلفظه"[3] فملابسات التلفظ وظروفه هي من تحدد معنى العناصر اللسانية.

[1]- صابر الحباشة، تحليل المعنى مقاربات في علم الدلالة، دار الحامد للنشر والتوزيع، ط1، 2010، ص14.
[2]- صابر الحباشة، التداولية والحجاج، ص66.
[3]- المرجع نفسه، ص40.

ومن الأمثلة التي أورده الشراح : قوله تعالى:﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾[1].

فالمعنى الوارد في هذه الآية القرآنية يمكن تمثيله بالترسيمة التالية :

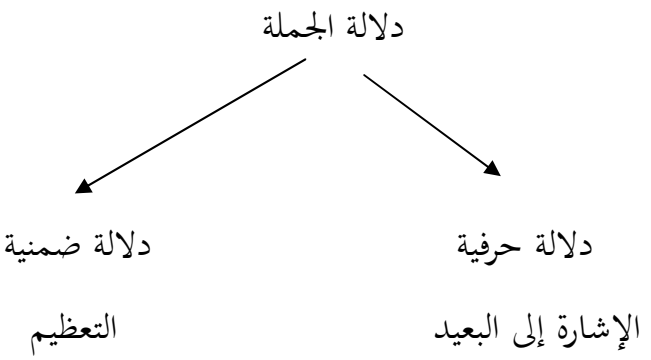

إنّ مجال الدلالة الحجاجية "يكمن في البعد التداوليّ الذاتيّ للقول: أي ما يشع منه باعتباره مادة لغوية تعبر عن حقيقة لغوية متصلة بإحالة مرجعية في العوالم الممكنة"[2] وهذا يدلّ على أنّ السياق التداولي هو الذي يعطي للملفوظات بعدا تأثيريا.

وبالعودة إلى شروح التلخيص للقزويني نجد إشارات مهمة لحجاجية التراكيب اللغوية، فذكر منها صابر الحباشة قوله تعالى:﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾[3] فالمسند إليه ورد مركبا موصوليا كناية عن امرأة العزيز، ووجه الفائدة في ذلك على حد قول الخطيب القزويني هو أن "الغرض المسوق له الكلام وهو نزاهة يوسف عن المعاصي"[4] وهذا المثال يؤكد أنّ نظم الكلام وترتيبه وفق ضرب ما يحمل طاقة حجاجية تؤثر على المتلقيّ .

وبيّن الدسوقي اعتمادا على مفهوم الإقتضاء كيف أنّ المركب الموصولي أدلّ من اسم العلم على تنزيه النبي يوسف، يقول: "الموصول يدلّ على ذلك أكثر من غيره، لأنه يقتضي أنه تمكن منها

[1]- سورة البقرة، الآية 02.

[2]- صابر الحباشة، الأبعاد التداولية في شروح التلخيص للقزويني، الدار المتوسطية للنشر، ط1، 2009، ص126.

[3]-سورة يوسف، الآية: 23.

[4]- القزويني، إيضاح القزويني، ضمن شروح التلخيص، ج 1، ص304.

ولم يفعل بخلاف غيره"[1] ويظهر جليّا أنّ الغاية التي أقام عليها الشراح التعريف بالموصولية لا تخلو من أبعاد حجاجيّة تتوخى التأثير في السامعين.

3- حجاجية النثر العربي:

اهتمّ النقد البلاغيّ التونسيّ بحجاجية الأجناس النثرية، وكانت الغاية من ذلك الوقوف على الإستراتيجية الإقناعية المميزة لهذا النوع من الإبداع، ويمكن التمثيل على ذلك بالمحاولة الجادة التي قام بها الباحث التونسيّ "عز الدين الناجح" في قراءته الحجاجية للمقامة الجاحظية – محادثة المأدبة أنموذجا–

تأثّر عز الدين الناجح في هذه الدراسة بالحجاج التداوليّ، وانطلق في إنجاز هذا البحث من المنطلقات المنهجية التالية :[2]

- التركيز على الخصائص التخاطبية المؤطرة للخطاب .
- استثمار الخصائص الإنجازية المميزة للملفوظات، والمرتبطة بتواشج الإمتاع بالإقناع .

اعتمد "عز الدين الناجح" على آليات الحجاج اللساني التي توسّع من حضور الإقناع في مختلف الملفوظات فالحجاج "يشق جميع الخطابات، بل الملافيظ والمحادثات"[3] وهذه الخلفية المنهجية تظهر أنّ الخطاب الحجاجيّ حاضر في مختلف الخطابات الإنسانية .

اهتمّ "عز الدين الناجح" أيضا بالانسجام الحجاجي المميز للوحدات المعجمية المكونة للمقامة، واستنتج من خلال هذا البحث أنّ الحجاج في هذا النوع النثري يرتبط بدراسة مستوين: "الأول يتعلق بالخطة التي بنيت وفقها المقامة. وهذا ما يمكن أن نصطلح عليه بالحجاجية الكبرى

[1]- شروح التلخيص، حاشية الدسوقي، ج1، ص305.

[2]-ينظر، عز الدين الناجح، حجاجية محادثة المأدبة المحادثة الجاحظية نموذجا، ص ص228-229.

[3]- عز الدين الناجح، حجاجية محادثة المأدبة المحادثة الجاحظية نموذجا، ص 234.

والثاني يتعلق بالإنجاز اللغوي التلفظي من قبيل البنى التركيبية والوحدات المعجمية والروابط والعوامل الدلالية والتداولية الحجاجية وهذا ما يمكن أن نصطلح عليه بالحجاجية الصغرى"[1] والحديث عن الحجاجية الكبرى والحجاجية الصغرى يؤكد أنّ البنية الحجاجية مرتبطة بكل مستويات الخطاب .

يمكن القول إنّ "عز الدين الناجح" وجد في مفاهيم الحجاج اللساني ضالته ليبرهن على حجاجية أساليب الإمتاع في المقامة.

4- الشعر العربيّ:

اهتمّ البحث البلاغيّ في تونس بحجاجية الشعر، رغم إقراره باختلاف حضور الحجاج من نص شعري لآخر، فكلما "كان الشاعر صادقا في معاناته. ساعيا إلى تبليغ خطاب ما راميا إلى التخاطب والتواصل مع الآخرين، له غاية واضحة وهدف محدد يرمي إليه، كلما كان شعره أكثر حجاجية"[2] أي أنّ مستوى حجاجية الشعر مرتبط بمدى سعي الشاعر لاستمالة المتلقي ودفعه لقبول القضايا المطروحة.

ينطلق التحليل الحجاجيّ للشعر من المستوى الخارجيّ والمستوى الداخليّ المكون للقصيدة الشعرية "المستوى الخارجي يوجد في المقصدية ومقتضيات الحال والشروط التواصلية والتفاعلية والمقام التخاطبي العام، أما في المستوى الداخليّ، فإنه يتمثل في العنوان والحوار والمعجم والروابط والاستعارات والأفعال اللغوية والمبادئ الحجاجية"[3] ولا يعني هذا أنّ حجاجية الأقاويل الشعرية تقتصر على هذه العناصر فقط، بل تتسع لكل المقولات التي تساهم في الوقوف على مقصديته .

تعتبر الباحثة التونسية "سامية الدريدي" من الذين سعوا لقراءة الشعر العربيّ القديم وفق أفق حجاجيّ منطلقة في ذلك من صلة الشعر بالخطابة، ومعتبرة أنّ بنية الشعر وأسلوبه في معظم الأحيان

[1]- الدين الناجح، حجاجية محادثة المأدبة المحادثة الجاحظية نموذجا، ص 249.

[2]- أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، ص 38.

[3]- المرجع نفسه، ص 60.

لا يخلوان من مظاهر حجاجية، وركزت في ذلك على الشعر الغنائيّ، مما يؤكد حرصها على توسيع مجال الحجاج فحتى "الشاعر الجاهليّ قادر على الاحتجاج قدرة الإنسان مطلقا على تبرير مواقفه وإثبات أرائه وحمل الآخرين على التسليم بها"[1] فالإقناع إذن حاضر في كلّ خطاب تخييلي يتوخى التأثير في المتلقي.

سعت سامية الدريدي لإثبات أنّ الحجاج "قد يحضر في الشعر حضوره في النثر وأنّ الشاعر قد يضطلع بوظيفة المدافع عن فكرة المحتج لها تماما كالخطيب أو السياسيّ أو رجل الإشهار..."[2]ويعني ذلك رفض اعتبار الخطاب الشعري خطابا تخييليا صرفا.

إنّ هذا الطرح يرفض أحادية الوظيفة في الإبداع، فكل نصّ شعريّ "تكون له إلى جانب الوظيفة الشعرية وظائف أخرى مثل الوظيفة الإنفعالية والوظيفة التوجيهية الإقناعية ويكفينا للتدليل على تعدد الوظائف أن ننظر في أي نصّ أدبيّ."[3] ويعلي هذا التوجه المنهجيّ من حضور المكون الحجاجيّ في الخطاب.

رصدت سامية الدريدي الحجج المعتمدة في الشعر، واهتمت بالعلاقات الحجاجية التي ينبني عليها الخطاب الإقناعيّ. وفي عملها التطبيقي أشارت الباحثة لعلاقة الحجاج بالايديولوجيا، فالخطاب الإقناعيّ في نظرها "هو بالأساس خطاب يعرض فيه صاحبه نظرية أو فكرة أو رأيا فيحيل على موقف له من المجتمع أو من بعض قضاياه وهو من وجه ثانية خطاب موجه إلى متلقّ قد يكون فردا أو مجموعة أو شعبا أو الإنسانية قاطبة وغاية الباثّ تظل واحدة هي الإقناع أو الحمل على الإذعان"[4] وهذا يؤكد على حجاجية الخطاب الشعريّ.

[1]- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربيّ بنيته وأساليبه، ص04.
[2]- المرجع نفسه، ص52.
[3]- المرجع نفسه، ص68.
[4]- نفسه، ص ص 42-43.

وللتأكيد على الصلة الوثيقة بين الحجاج والإيديولوجيا، تبنت سامية الدريدي تصور بول ريكور Paul Rivoeur لسمات الايديولوجيا .

دافعت الباحثة سامية الدريدي عن قدرة الشعر على النهوض بوظيفة حجاجية، ودعمت تصورها بالحجج التالية :

- تبنت سامية الدريدي في دفاعها عن حجاجية الشعر ما دعا إليه علماء الحجاج الغرب في التركيز على درجة حجاجية النصوص، وهذا المنطلق المنهجيّ يجعل الحديث عن الاختلاف أو "الفرق بين الخطبة والشعر قد بني على مفهوم الدرجة لا على الاختلاف في النوع"[1] ونجد لهذه الأفكار المهمة جذورا في تراثنا البلاغيّ العربيّ القديم، فحازم القرطاجني مثلا يقرّ بالتداخل الحاصل بين الأقاويل التخييلية والأقاويل الإقناعية، ويعتبر أنّ "صناعة الشعر لها أن تستعمل شيئا من الإقناع كما أن صناعة الخطابة لها أن تستعمل شيئا يسيرا من المتخيلات"[2] فكلا الصيغتين قد ترد متداخلة في الخطاب.

- قيام الشعر على الغموض، وهو ما يجد فيه الحجاج تربة ملائمة في الذيوع والانتشار لأن الحقيقة في هذه الظروف "لن تكون واحدة أو لا يمكن الحسم في شأنها فيكون الالتجاء إلى التأثير والإقناع وتبرير المواقف"[3] ففي الاختلاف تتشعب الرؤى وتتعدد وجهات النظر.

- قيام الشعر على التشبيه والاستعارة، ولهما في معظم المواضع صبغة حجاجية لأنهما يمثلان ضربا من الاستدلال، وعليه فالقول المجازي أكثر حجاجية من القول العادي.
- الشعر خطاب والخطاب في حقيقته لا يكون غفلا عن التأثير في سامعيه "فلكل خطاب هدف ينشده وغاية يرمي إليها، فهو ينشد الفعل في المتلقي ويروم التأثير فيه وتوجيه أفكاره

[1]- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربيّ بنيته وأساليبه، ص 61.
[2]- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص347.
[3]- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر، ص63.

وسلوكه الوجهة التي يريد فينغرس بداهة في الحجاج"[1] وينطلق هذا الطرح من حضور البعد الحجاجيّ في كلّ خطاب يستعمل اللغة الطبيعية .

- فعل الخطاب الشعري: أكدت سامية الدريدي على فعل الشعر في المتلقي، فأقرّت سلطته على النفوس وقدرته على التغيير، واعتبرت أنّ هذه الحجاجية مرتبطة بقيمة الخطاب الشعريّ عند العرب فقد "كان من جهة منخرطا في نظرية بلاغية تسلم للشعر بهذه القدرة العجيبة وتعترف بسلطانه على النفوس والعقول ويخاطب من جهة ثانية متلقين يعترفون للشاعر بمنزلة الريادة ويعتبرونه بمثابة الرائد القادر على الفعل والتأثير"[2] فالشعر العربي إذن لا يخلو من قصد التأثير والإقناع.

- ثراء بنية الحجاج في الشعر.

- تقاطع التخييل والإقناع في الشعر: ويمكن الإقرار بأنّه "لا ضير على شعرية الشعر متى دخل باب الحجاج والمجادلة لأن الشاعر قادر على تجاوز القيود الشعرية الكثيرة وعلى التحرك في المساحة الضيقة التي يوفرها البيت بمصراعيه إن رام الإقناع والحمل على الإذعان"[3] فالخطاب المنظوم إذن ليس قائما على الوظيفة الشعرية فقط بل يوظّف أحيانا إستراتيجية حجاجية صريحة أو ضمنية للتأثير في المتلقيّ.

اهتمت سامية الدريدي بمختلف الحجج التي وظفها الشاعر لغاية الإقناع أو الحمل على الإذعان ورغم تداخل هذه الحجج إلاّ أنّ الباحثة سعت لدراستها مستقلة "لأننا بذلك فقط نستطيع

[1]- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر، ص 70.
[2]- المرجع نفسه، ص 74.
[3]- نفسه، ص 441.

الوقوف على تعددها وتنوعها فضلا فحص كيفية انبناء الحجة الواحدة وتشكلها في الخطاب"[1] فدراسة الحجج منفصلة هو فقط لغاية منهجية.

اعتمدت سامية الدريدي على أصناف الحجج الكبرى والمتمثلة في:

- الحجج شبه المنطقية.
- الحجج التي تؤسس على بنية الواقع.
- الحجج التي تؤسس بنية الواقع.

ويظهر هذا التقسيم جليا تأثر الباحثة بتصنيف برلمان للحجج، لاقتناعها أنّ هذا التصنيف ناجع لتحليل الخطاب الإقناع من خلال الوقوف على ثراء البنية الحجاجية وتنوعها .

لا يعني دراسة الحجاج استخراج الحجج وتصنيفها فقط، فمدام الخطاب الإقناعيّ قائم على الترابط والانسجام بين حججه فإنه يجب النظر في العلاقات الحجاجية التي تؤسس لمسار الإقناع، لذلك اعتبرت سامية الدريدي أنّ تلك العلاقات هي التي تعكس الإستراتيجية الخطابية التي "اختارها الباث دون سواها لأنه يراها كفيلة بتحقيق غاية الخطاب قادرة على تبليغ مقاصد صاحبه"[2] أي أن العلاقة الحجاجية هي أساس كلّ مسار إقناعيّ.

وتؤكد سامية الدريدي أنّه إذا كان الحديث عن ترابط أجزاء النص الحجاجيّ ممكنا في الجنس الخطابيّ مثلا، فإنه لا يخلو من الصعوبة في الشعر معللة ذلك بأنّ الكلام المنظوم "طريقة في القول مخصوصة تجري على غير نظام النثر ومقتضيات المنطق"[3] وعليه فعلى محلل الخطاب أن يدرك ذلك.

---

[1]- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر، ص 182.

[2]- المرجع نفسه، ص 317.

[3]- نفسه، ص 362.

ولكنّها رغم ذلك سعت لإثبات وجود منطق خفي يربط أجزاء القصيدة العربية القديمة منطلقة من زاوية نظر حجاجية، فغاية النص الشعريّ عندها تتضح من خلال "تحديد نتيجة الخطاب التي يروم الشاعر قيادة المتلقي إليها"[1] فإستراتيجية الإقناع قائمة على استمالة السامع والتأثير فيه.

سعت الباحثة لتأكيد ذلك من خلال تحليلها لستة نماذج شعرية قديمة، نذكر منها تحليلها لقصيدة بائية لعلقمة الفحل فأكدت أنّها تخضع لوحدة حجاجية عامة، وقامت بالأمر نفسه في تحليلها قصيدة ميمية لتميم بن مقبل التي بلغ عدد أبياتها سبعة وأربعين بيتا.

استطاعت سامية الدريدي من خلال هذا العمل التطبيقيّ "أن تحلل نماذج من الشعر العربيّ القديم تحليلا حجاجيا، كشفت من خلالها زيف بعض المقولات التي صاحبت الشعر العربيّ القديم زمنا طويلا"[2] فبلاغة الحجاج إذن أظهرت أن الخطاب الشعريّ لا يخلو من مقصدية التأثير في المتلقيّ.

هاجمت سامية الدريدي الآراء النقدية التي تعتبر أنّ القصيدة العربية القديمة تتميز بتفكك أجزائها وتشتت موضوعاتها وتناقض أجوائها النفسية، ودعت هؤلاء إلى إعادة قراءة الشعر القديم وفق أفق حجاجيّ، فأجزاء القصيدة التي تبدو أنها متباينة هي "أجزاء توحد بينها غاية الخطاب وتجمع بينها رؤية واحدة وتجربة شعورية واحدة أيضا"[3] ويعني هذا أنّ المقاربة البلاغية الحجاجية تساهم في الوقوف على انسجام القصيدة العربية القديمة من خلال التركيز على غاية الإقناع التي توجه الشاعر في بناء عالمه الخطابي.

اعتبرت الدريدي أنّ نجاعة الحجج وطاقتها الإقناعية تستمد من نوعها ومن "الصياغة الفنية والمكانة التي تحتلها في الخطاب الحجاجيّ وعلاقاتها بغيرها من الحجج وشكل الروابط الحجاجية

[1]- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر، ص 372.

[2]- عمر بوقمرة، الحجاج في الشعر العربي القديم كتاب "الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني، بنيته وأساليبه لسامية الدريدي أنموذجا، مجلة التواصلية، العدد السابع، ص54.

[3]- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر، ص 421.

المجسمة لهذه العلاقات"[1] فكلّ هذه العناصر والمكونات تنصهر في الخطاب الإقناعيّ لتؤدي وظيفة تداولية تأثيرية.

استنتجت سامية الدريدي في عملها التطبيقي أنّ الشعر العربي القديم يمتاز بوفرة الحجج وتنوعها، ولاحظت أنّ بنية الحجاج في هذه المدونة التراثية "تنزع نحو التستر والخفاء فلا تكاد تبين عن مقصد الشاعر الحجاجي ولا تكاد تفصح عن نية اقتحام مناطق المتلقي والفعل فيها"[2] وهذه هي طبيعة الخطاب الشعريّ .

لم تهمل سامية الدريدي المستوى الصوتي للقصيدة في دراستها لحجاجية الشعر، معتبرة أن "الموسيقى رافدا من روافد الحجاج"[3] أي أنها تعين الشاعر على إقناع المتلقي وحمله على الإذعان، ويتحقق ذلك بفضل تحقيق اللذة في النفوس وتواشج الموسيقى مع الأقاويل التخييلية.

ولاحظت سامية الدريدي اضطلاع الأساليب الإنشائية بدور هام في العملية الحجاجية التي يتضمنها الشعر العربي القديم إذ "كثيرا ما تنبني الحجة بأسلوب إنشائي وكثيرا ما تعضد الأساليب الإنشائية حججا قائمة الذات بما توفره من إثارة وما تستدعيه من عواطف"[4] فالصيغ الإنشائية إذن لها طاقة حجاجية هامة.

ومثّلت الباحثة لذلك بعدة نماذج شعرية نذكر منها الاستفهام الحجاجي الوارد في المراثي القديمة كقول الخنساء:[5]

[1]- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر، ص 312.
[2]- المرجع نفسه، ص 311.
[3]- نفسه، ص 127.
[4]- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر، ص 139.
[5]- الخنساء، الديوان، دار صادر، بيروت، د.ت، ص13.

سقيا لقبرك من قبر ولا برحت جود الرواعد تسقيه وتحتـلب

ماذا تضمن من جود ومن كرم ومن خلائق ما فيهن مقتضب

وركّزت سامية الدريدي أيضا على الوظيفة الحجاجية لأسلوبي الأمر والنهي مستثمرة ما أنجزه الدرس التداولي حول الفعل التأثيري لهذين الأسلوبين.

تأثرت سامية الدريدي في اشتغالها الحجاجيّ بما أنجزه الغرب في هذا المجال، ويتضح ذلك من خلال ارتكازها في التحليل الحجاجيّ للشعر العربي القديم على المقولات الحجاجية التي أرسى معالمها العلماء الغربيين، ونذكر منها:

- نسبية الحجة واعتمادها على المحتمل، ويرى أوليفي روبو لأنّ "المحتمل ليس يتعلق بجهل، أو بانعدام كفاءة أو بأحكام السامع المسبقة، بل بالموضوع نفسه."[1] وهذا هو المجال الخصب للحجاج .

- اعتماد الحجاج على حسن الاختيار، وهذا ما أكده أوريلان Oleran قائلا: "الحجاج انتقائي باعتبار الأهداف المرصودة إذ يقع اعتماد ما يمكّن من تدعيم أو تأكيد النظرية بل ما يعدّ أقوى الحجج وأوكد البراهين وفي المقابل يستبعد ما سوى ذلك"[2] فكل خطاب يعتمد على الانتقاء هو خطاب يروم التأثير في المتلقي.

- علاقة الحجاج بالبلاغة، وهذا ما أكد عليه أوليفي روبول قائلا: "القدماء لم يخطئوا حين وحدوا في مجموع واحد بين البلاغة والعناصر العقلية للحجاج بمكوناته الوجدانية والجمالية. لا

[1]- أوليفي روبول، مدخل إلى الخطابة، تر: رضوان العصبة، إفريقيا الشرق، 2017، ص 123.

[2]–Pierre Oléran; l'argumentation, presses universitaires de France; 1993; p 87.

مفر من البلاغة لأي حجاج"[1] وهذا يعطي المشروعية لبلاغة الحجاج في اقتحامها لأنواع خطابية مختلفة.

- علاقة الحجاج بالأهواء والعواطف، وهذا ما أكده أوليران قائلا: "الأمر والتهديد وإثارة مشاعر الخوف كلها حجج لأنها دون أن تحدد آليا الموقف توفر الأسباب الداعية لاختيار هذا الموقف"[2] ومادام الخطاب الشعري قائم على المشاعر، فإنه يستعين لا محالة بحجج الباتوس للتأثير في الجمهور.

- اعتماد الحجاج كلى فكرة المواضع، ويرى أوليفي روبول أنّ "الموضع" يمكن أن يدل على ثلاثة معاني[3]: **المعنى الأول**: حجة جاهزة يلجأ إليها المترافع في أي لحظ، **المعنى الثاني**: صنف حجة، وأمّا **المعنى الثالث**: سؤال صنف يسمح بإيجاد الحجج ونقائضها.

نستنتج مما سبق تأثر سامية الدريدي في تحليلها لاستراتيجيات الإقناع في الخطاب الشعري العربيّ بنظرية الحجاج الغربية واعتمادها – بشكل واضح – على الجهاز المفاهيمي الذي أنتجته، وقلة استعانتها بالمصطلحات العربية التراثية، رغم أنه "كان بإمكان سامية ومن قبلها من الباحثين العرب المحدثين استثمار الحقل المصطلحي الثري المكنون في المدونة العربية في تحليل النصوص حجاجيا"[4] ويمكن أن نبرر ذلك بحداثة استثمار المقاربة البلاغية الحجاجية في تحليل الخطابات وخاصة الخطاب الشعري، ولذلك لم يجد الباحثون العرب المهتمين بلاغة الإقناع ضالتهم إلّا في المنجز الحجاجي الغربي الذي سعى مبكرا لربط مقولات الحجاج بحقل تحليل الخطاب.

---

[1]- أوليفي روبول، هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغي، تر: محمد العمري، ضمن كتاب البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص 234.

[2]-pierre Oléran; l'argumentation, p21.

[3]- ينظر، أوليفي روبول، مدخل إلى الخطابة، تر: رضوان العصبة، ص ص 79-80.

[4]- عمر بوقمرة، الحجاج في الشعر العربي القديم كتاب "الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني، ص 52.

5- الخطاب القانونيّ:

امتدّ التحليل اللغويّ المعاصر ليشمل مختلف الخطابات التواصلية، واتسع مجال البحث ليشمل النصوص غير الأدبية كالخطاب القانونيّ مثلا، وظهر توجه منهجي واضح لاستثمار مقولات التداولية في قراءة هذا النوع من الخطاب باعتباره "ذو طابع تداولي يفترض متكلما "المُشرِع" ومُخاطَبا "المواطن" أو "القائم على تطبيق القانون" بحسب طبيعة القانون الموجه، يضاف إلى ذلك بعده الإنجازي"[1] فاللسانيات التداولية تعين القارئ على فهم النصّ القانونيّ .

اهتمّ الباحث التونسي "عز الدين الناجح" بحجاجية الخطاب القانونيّ منطلقا من سماته التداولية وبعده التأثيري وارتباطه بالاستعمال اللغوي، و"نظرا لخصائصه الإنجازية ومقاصده الخطابية وأبعاده التأويلية والحضارية أيضا، فإنه يستدعي من منشئه ومن مؤوله ومن الباحث عن المعنى فيه بصفة عامة، كفاية لسانية لها مرجعيات تداولية"[2] وفي هذا دعوة صريحة لاستثمار المنجز الحجاجيّ التداولي في قراءة النصوص القانونية.

اهتمّ عز الدين الناجح في تتبعه للإستراتيجية الإقناعية للخطاب القانونيّ بدور الروابط والعوامل الحجاجية في توجيه الملفوظات، ونمثل على ذلك بعامل النفي الذي اعتبره الباحث "تلفظ على تلفظ فهو توجيه على توجيه لذلك بمجرد إدماج عامل النفي تتحدد النتيجة "ن" بسرعة ولا يجد المتقبل حرجا أو كد ذهن في إدراك المفهوم"[3] وهذا يظهر حجاجية رابط النفي.

لقد رصد "عز الدين الناجح" مدى حضور رابط النفي في المدونة القانونية ليؤكد على دوره الهام في المحاجة القانونية "ولعل طغيان استعماله أسلوبا مميزا ومطردا في المدونة التشريعية خير دليل

[1]- مرتضى جبار كاظم، اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2015، ص153.
[2]- عز الدين الناجح، الحجاج في الخطاب القانوني، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 2013، ص ص46-47.
[3]- عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين للنشر والتوزيع، ط1، 2011، ص50.

على ذلك"[1] فهو ذو وظيفة حجاجية. اهتمّ عز الدين الناجح أيضا بحجاجية المفردة المعجمية ويمكن التمثيل على ذلك بالخاصية الإقناعية للعموم المعجمي، فهو وسيلة حجاجية تضمن قبول الجمهور، ومما سبق نستنتج أنّ الخطاب القانونيّ يوظف آليات وتقنيات الإقناع في توجهه إلى المخاطَب .

[1]- عز الدين الناجح، الحجاج في الخطاب القانوني، ص114.

رابعا –نظرية الحجاج وتطبيقاتها عند "عبد الله صولة":

1– الخلفية المعرفية لنظرية الحجاج عند "عبد الله صولة:

اهتمّ عبد الله صولة بمنجز البلاغة الجديدة، خاصة المفاهيم الحجاجية المهمة التي أرسى معالمها برلمان الذي "استطاع أن يخلص الحجاج من ربقة المنطق ومن أسر الأبنية الاستدلالية المجردة مقربا إياه من مجالات استخدام اللغة مثل مجال العلوم الإنسانية"[1] وأعطى هذا الطرح المنهجيّ مشروعية أكبر لتوسيع تطبيق التحليل الحجاجيّ على مختلف الخطابات اللغوية .

انشغل "عبد الله صولة" مبكرا بعرض نظرية الحجاج عند برلمان وتيتيكاه باعتبارها النظرية الأكثر شهرة في هذا المجال حيث استطاعت أن تميز الحجاج عن الخطابة والجدل، وهذا ما يحقق للحجاج طابعه العقلي ويضمن "حصول التسليم برأي الآخر بعيدا عن الاعتباطية واللامعقول الذين يطبعان الخطابة عادة وبعيدا عن الإلزام والاضطرار اللذين يطبعان الجدل"[2] وهذا هو أساس البلاغة الجديدة .

حاول "عبد الله صولة" تخليص الحجاج من المفاهيم التي تقاطعت معه خاصة الجدل المرتبط بصناعة المنطق والحجاج الخطابيّ المرتبط بالمغالطة والإيهام، فكلا هذين النوعين لم يكن ليفيا بالحاجة إلى دراسة الكثير من الخطابات التواصلية اليومية.

ميّز عبد الله صولة بين الإقناع la persuation والاقتناع la conviction فإذا كان الإقناع لا يكون إلا بمخاطبة الخيال والعاطفة فإن الاقتناع "يقع في منطقة وسطى بين الاستدلال la démonstration والإقناع la persuasion" [3] وذلك هو غاية كل حجاج.

---

[1]– عبد الله صولة، في نظرية الحجاج: دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر، تونس، ط1، 2011، ص66.

[2]– المرجع نفسه، ص 12.

[3]– المرجع نفسه، ص14.

إنّ وجوه الجدة في بلاغة برلمان وتيتيكاه الجديدة على حد قول "عبد الله صولة" هو توسيع مفهوم الجمهور فقد يكون خاصا وقد يكون جمهورا كونيا Auditoire universel "هذا بالإضافة إلى عدم اقتصارهما على ما هو شفوي بل هما يلحان على ضرورة أن تكون مدونتهما كتابية أساسا."[1]ومع هذا التصور، صار الخطاب الحجاجيّ حاضرا في مختلف الخطابات الإنسانية.

أكّد "عبد الله صولة" أنّ أهم منجز تركه "برلمان" في "نظرية الحجاج" هو تعريفه للحجاج نفسه حيث اعتبر أنّ الغاية منه هو "أن يجعل العقول تذعن لما يطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان، فأنجع الحجاج ما وفق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب إنجازه أو الإمساك عنه، أو هو ما وفق على الأقل في جعل السامعين مهيئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة"[2] هذا التعريف هو الذي حدّد ملامح النظرية الحجاجية عند برلمان.

استفاد "عبد الله صولة" من التقنيات الحجاجية التي فصل فيها برلمان القول، واعتبر أنّ مفهوم الوصل والفصل الحجاجين من أهم المفاهيم التي "يمكن أن تفيدها البلاغة العربية في ممارستها لتحليل الكلام البليغ بيانه وبديعه ومعانيه"[3] ويتضح ذلك من خلال حضور المكون الحجاجي في مختلف الظواهر البلاغية العربية كأسلوب القصر، الإعتراض، والتتميم.

لم يكتف"عبد الله صولة "بعرض نظرية برلمان وتيتيكاه فقط بل حاول مناقشة ما جاءت به من أفكار وتصورات، فذكر مثلا أن مكون "الحوارية" في الحجاج لم يلق الاهتمام الكافي عندهما كما أنّ الحديث عن اعتبار الحجاج فضاء اتفاق بين المتكلم وجمهوره "هو أيضا لم يتضح عندهما ويتبلور

[1]– عبد الله صولة، في نظرية الحجاج: دراسات وتطبيقات، ص 75

[2]– Perelman et Tyicca, traité de l’argumentation: la nouvelle rhétorique, p 59.

[3]– عبد الله صولة، في نظرية الحجاج: دراسات وتطبيقات، ص 100.

بما فيه الكفاية... قبل أن يتعمق الدرس اللساني الحديث قضايا المقتضى le présupposéمع ديكرو خاصة"[1] وهذا يدل على انفتاح نظرية الحجاج على العلوم الحديثة .

وأشار "عبد الله صولة" إلى إلحاح برلمان على الوسائل الخطابية التي تحقق فعل الإقناع، لأنّها أساس البنية الحجاجية للخطاب، ورغم أهمية هذه التقنيات في فهم النصوص الحجاجية إلّا أنّ فيها إهمال شبه تام لحجتي الايتوس والباتوس .

انفتح "عبد الله صولة" على نظرية الحجاج اللغوي عند ديكرو، ويتضح ذلك من خلال تبنيه لمفهوم التوجيه الحجاجي، فالعمل الإقناعي يفرض على المتلقي النتائج التي يروم حصولها لدى المتلقي وذلك بفضل المسار الحجاجي والروابط والعوامل الحجاجية التي تشكله.

حاول "صولة" أن يبحث عن نقاط اشتراك بين نظرية ديكرو ونظرية برلمان، ووجد أنّ كلا النظريتين خاضعة "لقانون واحد هو قانون الأنفع أو الأجدى، ولأشكال واحدة أو طريقة واحدة في الهيكلة هي الهيكلة الحجاجية بالوصل procédé des liaiso والهيكلة الحجاجية بالفصل الحجاجي procédé de dissociation"[2] ويظهر هذا التحليل أنّ عبد الله صولة لم يكتف بعرض النظريات الحجاجية فقط، بل سعى لإثرائها بالبحث والمناقشة .

إنّ أهم ما يميز الفكر البلاغيّ لعبد الله صولة هو انفتاحه على المنجز الغربيّ في مجال النظرية الحجاجية من جهة، ومناقشته لهذا المنجز من جهة أخرى، فبعد أن عرض "عبد الله صولة" مفهوم الحجاج عند برلمان وتيتيكاه، اعتبر أنّ حصرهما تقنيات الإقناع في طرائق الوصل أو الفصل من شأنه أن يضيق أفق الدرس الحجاجيّ. وأمّا الحجاج اللغويّ الذي تبناه ديكروو أوسكمبر فهو أيضا يطرح مشاكل منهجية في مجال الدراسات الحجاجية عامة لأنه يوسع من دائرة الحجاج ليصير كل قول حجاج.

[1] – عبد الله صولة، في نظرية الحجاج: دراسات وتطبيقات، ص68.

[2] – المرجع نفسه، 78.

رام "عبد الله صولة" الوقوف موقفا وسطا بين هذين الطرفين، فالرأي عنده أنه "ما كل حجاج بفصل أو وصل.كما أنه ما كلّ قول بحجاج، وليست اللغة بكلّ وحداتها المعجمية ذات طاقة حجاجية في ذاتها. وفوق هذا وذاك فإن لطبيعة النصّ دورا أساسيا في إكساب لغته بعدا حجاجيا أو عدم إكسابها إياه"[1] ويدلّ هذا الطرح أنّ "عبد الله صولة" لم يكتف بعرض نظرية البلاغة الجديدة عند برلمان وتصور ديكرو حول الحجاج في اللغة فقط، بل سعى لمناقشة جهازهما المفاهيمي مقترحا عدم حصر الحجاج في تقنيات الوصل أو الفصل من جهة، وعدم توسيع الحجاج لكلّ قول من جهة أخرى .

لم يهمل "عبد الله صولة" التراث البلاغي العربي في تنظيره للحجاج، بل سعى لإعادة قراءته من جديد في ضوء البلاغة الجديدة، فتوصل إلى أنّ البلاغيين العرب القدامى تفطنوا مبكرا للبعد التداولية الإقناعيّ لبعض الظواهر البلاغية، فالاستعارة والتشبيه أسلوبان يحملان طاقة حجاجية لكونهما يرجعان إلى أصل واحد: "وهو أن يُعدل عن (ب) التي هي معلومة جديدة إلى (أ) التي هي معلومة قديمة إذا كانت (ب) تمثل إجمالا حكما هو موضع اعتراض"[2] فهذا المسار الاستدلالي يضمن قبول المتلقي.

والمجاز المرسل أيضا يساهم في بناء الإستراتيجية الإقناعية للخطاب وتوجيه الملفوظات نحو النتيجة المقصودة من خلال تبئير جانب من جوانب الخطاب، والمقصود من التبئير هنا "هو تسليط الضوء على ما هو أهم في المعلومة، فهو الجديد والذي يريد المتكلم إيصاله إلى المخاطب"[3] ويضرب "عبد الله صولة" مثالا على ذلك في قولنا: نشر الوالي عيونه في الأرض: فهو تبئير للعضو المهم في عملية الجوسسة، فلا يمكن أن تتم مهام الجاسوس إلا بالعيون.

[1]- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص40.

[2]- عبد الله صولة، في نظرية الحجاج: دراسات وتطبيقات، ص91.

[3]- المرجع نفسه، ص95.

وأما العدول من الخبر إلى الإنشاء أو من الإنشاء إلى الخبر فهو خاضع لمبدأ الأنفع حجاجيا.

وتجدر الإشارة إلى محاولة عبد الله صولة تطبيق أشكال الوصل والفصل الحجاجية على البلاغة العربية منطلقا من أن "معظم الوجوه البلاغية في البلاغة العربية إن لم نقل كلها مبنية على شكلي الوصل والفصل هذين فهي إما الوصل أو للفصل الحجاجيين"[1] وهذا ما يؤكد على حجاجيتها.

إنّ ظاهرة الوصل بين الحجج على حد زعم عبد الله صولة واضحة في البيان لذلك لم يستعن لتوضيحها بشواهد كثيرة، ولكن هذا الوصل الحجاجيّ يحتاج إلى جهد أكبر للوقوف عليه في المعاني والبديع ففي المعاني مثلا ذكر ظاهرة التذييل المتواترة في القرآن الكريم والتي مثّل لها عبد الله صولة من القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[2].

ثم انتقل إلى الوصل الحجاجي الوارد في المقابلة: ففي قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾[3] اعتبر عبد الله صولة أن حجة القدرة على الإماتة وصلت بالقدرة على الإحياء "فبدون حصول الطباق لا تتمّ في أعين المشركين الحجة على قدرته المطلقة"[4].

ربط عبد الله صولة أسلوبي الوصل والفصل الحجاجيين المميز للظواهر البلاغية بالأبعاد التواصلية للخطاب، فهما يردان إما للتأييد أو الاعتراض "أما التأييد فتتخذ فيه طريقة في الحجاج هي الوصل... وأما الاعتراض فتتخذ فيه طريقة في الحجاج هي الفصل وقد جسّدته البلاغة العربية في وجوه مثل القصر والاحتراس والتتميم والاعتراض والطباق والمقابلة وغيرها كثير"[5] فالوجوه البلاغية تنصهر ضمن البناء الحجاجي للخطاب.

---

[1]- عبد الله صولة، في نظرية الحجاج: دراسات وتطبيقات، ص100.

[2]- سورة الإسراء، الآية81.

[3]- سورة النجم، الآيتين: 43-44.

[4]- عبد الله صولة، في نظرية الحجاج: دراسات وتطبيقات، ص103.

[5]- المرجع نفسه، ص108.

2- تطبيقات نظرية الحجاج على القرآن الكريم:

تأثرت بعض المحاولات التأويلية للنص القرآني بالنظرية الحجاجية، انطلاقا من أنّ هذه النظرية تساعد القارئ في محاولته الوصول لمقصدية الخطاب، ومن أهم هذه المحاولات ما أنجزه عبد الله صولة من خلال دراسة تطبيقية وسمها بـ "الحجاج في القرآن من خلال أهم مظاهره الأسلوبية "الصادر في طبعته الأولى سنة 2001. انطلق فيها من منجز النظرية الحجاجية واستثمر آليات المنهج الأسلوبي منتقلا من المفردة القرآنية إلى المستوى التركيبي ثم مستوى الصورة .

اعتبر عبد الله صولة أنّ معاني القرآن هي معاني حجاجية انطلاقا من ما يلي:[1]

- القرآن خطاب موجه إلى متلق فعلي أو محتمل.
- القرآن مسرح عليه تتحاور الذوات وتتجادل ويحاجّ بعضها بعضا .
- القرآن كتاب إصلاح بمعنى أنه يرمي إلى تغيير وضع.
- القرآن في مواضع غير قليلة جواب صريح للأمة عن سؤال.

اهتم عبد الله صولة بالتوجيه الحجاجي للخصائص الأسلوبية للقرآن الكريم من خلال مستويات ثلاثة : المعجم والتركيب والصورة، ورغم أن الإيقاع أحد المكونات الأسلوبية، إلاّ أنّ عبد الله صولة لم يهتم بحجاجية هذا المكون في محكم التنزيل؛ يقول: "رغم تسليمنا بأن الإيقاع شكل له معناه وليس هو مساعدا فحسب على جعل الكلام ذا تأثير وإقناع، فإننا لم نهتد إلى الطريقة التي يمكن لنا أن نوجه بها هذا المعنى توجيها حجاجيا"[2] أي أنه يقر بصعوبة دراسة مكون الإيقاع دراسة حجاجية.

[1]- ينظر، عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص ص 41-45.
[2]- المرجع نفسه، ص ص 50-51.

وهذا الإقرار يدلّ على أنّ النظرية الحجاجية لم تكتمل بعد جميع مفاهيمها ، لذلك كان من الصعب تطبيق بعض جوانبها في تحليل الخطاب، فضلا على أنّ الخطاب القرآني هو خطاب إلهي لا يمكن للدارس أو الباحث أن يتنكر لخصوصيته.

سعى البلاغي التونسي "عبد الله صولة" من خلال تتبعه للحجاج في القرآن إلى تحقيق ثلاث غايات:[1]

- أولاها إثبات أن الكلام القرآني كلام حجاجيّ في مجمله، دون نفي وجود وظائف أخرى في الخطاب القرآني.
- والثانية هدم الثنائية الضدية التي قامت عليها البلاغة الغربية وهي بلاغة الحجاج وبلاغة الأسلوب والبلاغة العربية وهي بلاغة الحجاج وبلاغة النظم، والربط بين البلاغتين، أي البحث في الحجاج والإقناع من خلال الأسلوب وجماليات التعبير القرآني.
- والثالثة الكشف عن جوانب قدرة القرآن الكريم على التأثير في متلقيه تأثيرا حجاجيا ثم عقليا وهذا هو مقصد الخطاب.

وللوصول إلى هذه الغايات، كان لا بدّ من الاستعانة بمفاهيم الحجاج واستراتيجياته للوقوف على حجاجية الخطاب القرآني وقدرته على التأثير في المتلقين، ومن هنا نستنتج أنّ بلاغة الحجاج أفادت القارئ في فهم مقاصد الخطاب المقدس.

[1]- عبد الرحمن بوكرع، التأويل وموقع البيان من بلاغة الخطاب القرآني، ضمن المؤلف الجماعي: بلاغة الخطاب الديني، منشورات الاختلاف، ط1، 2015، ص ص 103-104.

اعتمد الباحث البلاغيّ "عبد الله صولة" في فهمه للخطاب القرآني على مجموعة من المقولات الحجاجية، نحصرها في:

أ- حجاجية المفردة القرآنية :

إنّ تعريف الكلمة تعريفا حجاجيا يقتضي عند عبد الله صولة "أن نأخذ بعين الاعتبار دورها الدلاليّ في التأثير والإقناع"[1] ويعني ذلك مساهمتها في حمل المتلقي على التسليم بالأطروحات المعروضة عليه.

فلا يمكن الوقوف على ما تحملة الكلمة الحجاجية من طاقات إقناعية إلاّ بمراعاة الخصائص الاقتضائية والتقويمية المرتبطان برافد اللغة، فضلا عن الخصائص التداولية للكلمة المرتبط بمجال استعمالها لدى المتكلمين.

يعتبر عبد الله صولة أنّ الحديث عن الأبعاد الحجاجية للكلمة القرآنية مرتبط بالحديث عن حركة الكلمة الحجاجية في القرآن الكريم، ولا يتأتى فهم ذلك إلاّ بتعويضها واستبدالها بما يندرج ضمن مجالها المعجمي، ولقد "خصّت الأسلوبية المعاصرة هذه الحركة بمصطلحين اثنين عليهما إجمالا مدار تعريف الأسلوب وهما مصطلح العدول... ومصطلح الاختيار"[2] وهذان المصطلحان يعينان القارئ على فهم حجاجية المفردة القرآنية .

اهتم عبد الله صولة بدرس حركة الكلمة الحجاجية من خلال عدول القرآن الكريم عن كلمة إلى كلمة أخرى أو اختياره لكلمة دون أخرى، واستعان في ذلك باجتهادات المفسرين القدماء، فعلى سبيل المثال في معرض حديثه عن ذكر "بنو إسرائيل" عوض "بنو يعقوب" وعوض "اليهود" أورد قول الزركشي التالي: "قد يكون للشخص اسمان، فيقتصر على أحدهما لنكتة، منه قوله تعالى في مخاطبة

[1]- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص68.
[2]- المرجع نفسه، ص170.

الكتابيين «يا بني إسرائيل» ولم يذكروا في القرآن بهذا دون «يابني يعقوب». وسرّه أن القوم لما خوطبوا بعبادة الله، وذكروا بدين أسلافهم، موعظة لهم، وتنبيها من غفلتهم، سموا بالاسم الذي فيه تذكرة بالله، فإن «إسرائيل» اسم مضاف إلى الله سبحانه في التأويل".[1]

وسار عبد الله صولة على الطريقة نفسها في البحث عن الأبعاد الحجاجية من إيراد كلمة "الرحمن" عوض كلمة "الله"، ففي تعليله قول إبراهيم لأبيه: قال تعالى:﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ....﴾[2] نقل قول الزركشي التالي: "لم يخل هذا الكلام من حسن الأدب مع أبيه، حيث لم يصرح فيه بأنّ العذاب لاحق له ولكن قال: «إني أخاف» وذكر الخوف والمسّ وذكر العذاب ونكّره ولم يصفه بأنه يقصد التهويل، بل قصد استعطافه، ولهذا ذكر الرحمان ولم يذكر المنتقم ولا الجبار"[3] ولا يخلوا هذا القول من تدبر في البعد الحجاجي للمفردة القرآنية.

وتجدر الإشارة لاستثمار عبد الله صولة للدرس الحجاجي المنجز حول أنواع الحجج في سعيه للوقوف على البعد الحجاجي لبعض المفردات القرآنية، ففي معرض حديثه عن لفظة «المشركين» والعدول عنها إلى «الكافرين » و«الظالمين » و«المجرمين » و«الفاسقين» و«الفجار» اعتبر أن ذلك محاجة بالنتيجة Argumentation par conséquence أو ما أطلق عليه برلمان الحجة البراغماتية l'argument pragmatique.

ب- العدول ووظيفته الحجاجية:

عرض عبد الله صولة في مناقشته لأوجه الحجاج في التركيب القرآني مصطلح العدول عن متعارف الأوساط الذي ارتكز عليه السكاكي في تحديد مفهومي الإيجاز والإطناب، لكن عبد الله صولة لم يطمئن لهذا المقياس، "ذلك أن الإطناب والإيجاز مما يمكن أن يوجد في كلّ خطاب، مهما

[1]- الزركشي، البرهان في علوم القرآن،ج1،تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، 1972، ص ص160-161.
[2]- سورة مريم، الآية 45.
[3]- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص381.

كان منشؤه، بما يمليه ويحتمه مقام الخطاب وخطته وغاياته"[1] لذلك اقترح مقياسا آخر أكثر دقة مرتبط بالمقام . فالجملة "إذا زيدت بتأثير المقام أو لخلق مقام لفظا لإفادة معنى زائد على معناها الأصلي الذي لها في صورتها الخبرية الابتدائية تلك سمى ذلك عندنا عدولا كميا بالزيادة وإذا أنقض منها بفعل المقام أو لصنع مقام أيضا لفظ لفائدة معنوية ما سمينا ذلك عدولا كميا بالنقصان" [2] واستثمر التحليل الحجاجّي هذه الظاهرة الأسلوبية لفهم الإستراتيجية الإقناعية المتحمكة في نظام الخطاب، فعدول الكلام في الخطاب المؤثر بالزيادة أو النقصان يحمل طاقة حجاجية تسهم في التأثير على المتلقي .

إنّ هذا الحدث الأسلوبي المبثوث في الخطاب الإقناعي غير مرتبط بالكم فقط لأنه يؤدي إلى ظاهرة نوعية في المستوى الدلالي، ففيه ننتقل "من طريقة في الكلام هي الإبلاغية l'informativité إلى طريقة أخرى هي الحجاجية l'argumentativité"[3] فالعدول في هذه الحالات لا يكون بالقياس إلى الجملة في مظهرها الخبري الابتدائي البسيط. وإنما يكون بفعل الاعتبارات الخطابية والمقامات التلفظية، ومن أجل هذا اعتبر عبد الله صولة أن هذه المقاربة الأسلوبية ذات طابع تفاعلي، يكون الحدث الأسلوبي فيها "لغاية تخاطبية فهو للإقناع ولتوجيه الملفوظ وجهة معينة"[4] فالظواهر الأسلوبية إذن هي عناصر خطابية مهمة في البناء الحجاجي للنص الإقناعي.

إنّ ظاهرة العدول الكمي بالزيادة والنقصان في القرآن الكريم ليست الظاهرة الأسلوبية الوحيدة في هذا الخطاب المعجز، فهناك أيضا ما أطلق عليه عبد الله صولة بـ "العدول النوعيّ" ويقصد بهذا الضرب من العدول "العدول عن جدول في التعبير إلى جدول آخر مثل العدول عن التعبير بالخبر إلى التعبير بالإنشاء وعكسه، ومثل العدول عن التعبير بالجملة الفعلية إلى التعبير بالجملة الاسمية. كما

[1]- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص242.
[2]- عبد الله صولة، في نظرية الحجاج: دراسات وتطبيقات، ص 116.
[3]- المرجع نفسه، ص 113.
[4]- المرجع نفسه، ص 128.

يمكن أن يكون هذا العدول النوعي عدولا نسقيا، ويحصل داخل الجملة الواحدة، وهو كثير، نقتصر منه على التقديم والتأخير...كما يحصل هذا الضرب من العدول بين الجملتين أو بين الجمل مثل الالتفات"[1] ويمكن أن نمثل ذلك بالخطاطة التالية:

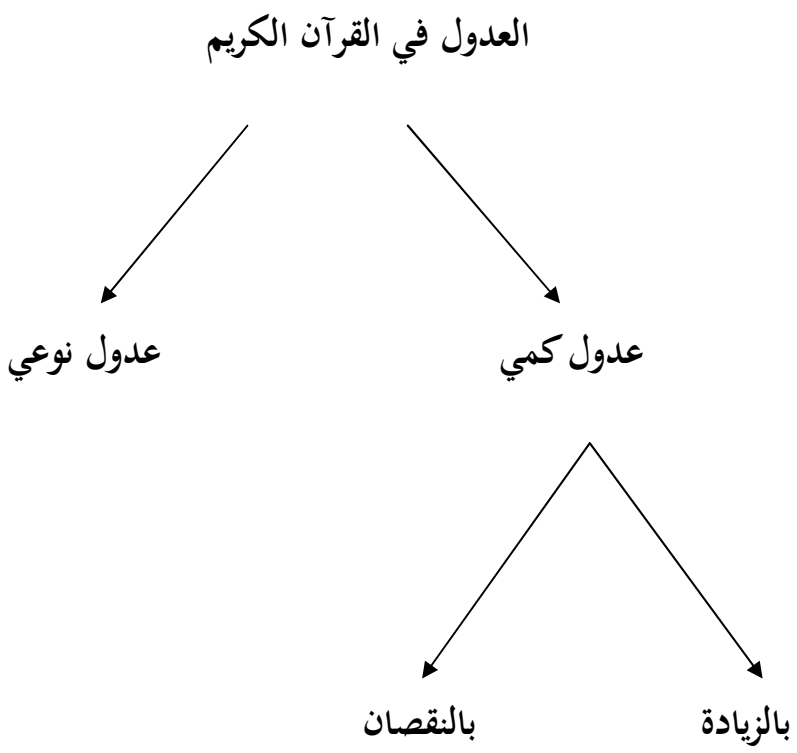

إنّ هذا المقياس الذي حدده عبد الله صولة للعدول يساهم في استيعاب مختلف الظواهر الأسلوبية الواردة في النصّ القرآنيّ، كما أن ربط هذا العدول بأثر المقام وتأثير الكلام على المتلقين يمهد الحديث للانتقال من الوظيفة الجمالية للعدول إلى "العدول بما هو مدار حجاج ومناط إقناع."[2] وهذا يظهر القيمة الحجاجية لهذه الظاهرة الأسلوبية.

[1] – عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص249.
[2] – المرجع نفسه، ص251.

اهتمّ "عبد الله صولة" بالأبعاد الحجاجية للعدول الكمي بالزيادة؛ ومثّل على ذلك بقوله تعالى ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾[1].

انطلق عبد الله صولة في التحليل الحجاجي لهذه الآية القرآنية من اعتبار الأسلوب فيها حدثا لغويا كميا نوعيا ينقل الكلام من مجرد الإخبار والإبلاغ إلى التأثير والإقناع، فالإطناب الوارد في المثال السابق يوجه المتلقي نحو الإقرار بوحدانية الله، ويمكن أن نمثل ذلك بـ:

قل لا أشهد (أن مع الله آلهة أخرى)
قل إنما هو إله واحد
إنّني بريء مما تشركون
} النتيجة (ن) : قصر العبادة على الله وحده

"ومن هذه الناحية نلاحظ ترقيّا graduation في الجمل الثلاث من الدفاع إلى الهجوم من "لا أشهَدُ" إلى "إنّني بريء مما تشركون" مرورا بـ "إنّما الله إله واحد" "[2] وساهم هذا الانتقال في التأثير في المتلقيّ.

اهتمّ عبد الله صولة بالأبعاد الحجاجية للعدول الكمي بالنقصان، وذكر أنّ الحذف من أهم مظاهره،ومثّل عبد الله صولة لذلك بعدة شواهد قرآنية، منها قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[3].

[1]- سورة الأنعام، الآية 19.
[2]- عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، ص ص 130-131.
[3]- سورة الأنعام، الآية 14.

فحذف الفاعل في قوله: لا يُطعم وفي قوله أُمِرت ذو غاية حجاجية تتحقق بفضل "تبئير Focalisation الفعل أو الحدث دون فاعل ذلك الحدث"[1] والملاحظ أنّ هذا العدول ساهم ساهم في تحقيق التأثير لدى متلقي الخطاب القرآني .

يتضح مما سبق أنّ عبد الله صولة اهتمّ بالخصائص الأسلوبية للقرآن الكريم لفهم الوظيفة الحجاجية التي تميز معجمه وتراكيبه وصوره، وربط التراكيب القرآنية بالسياق القولي العام للوقوف على المعاني الحجاجية المميزة لهذا الخطاب الديني .

ج–الحجاج التداولي:

استثمر عبد الله صولة مقولات التداولية للوقوف على الحجاج في النص القرآني، ومن هذه المقولات "المفهوم اللاقولي" الذي يركز على المفهوم المضمن في القول، فالمفهوم الدلالي للقول يفضي إلى مفهوم لاقولي، ويماثل هذا المسار الانتقال من المقدمة إلى نتيجة محددة، ويمكن التمثيل على ذلك بالمثال التالي:[2]

المثال	المفهوم الدلالي (الرابط إذن)	المفهوم اللاقوليّ (الرابط إذن)
﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾[3] تُبْعَثُونَ﴾[3] ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آَتِيَةٌ﴾[4] ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآَتِيَةٌ﴾[5]	ليس البعث كذبة تقال.	أمنوا بالبعث .

[1]– عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، ص 132.

[2]– عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص291.

[3]– سورة المؤمنون، الآية 23.

[4]– سورة طه، الآية 20.

[5]– سورة غافر، الآية 59.

ويظهر جليا أن هذا المسار المضمر يزيد من الطاقة الحجاجية للقول، لذلك نجد النص القرآنيّ يعتمد على السبل الضمنية في الدعوة إلى الإيمان أكثر من السبل الصريحة باعتبار أن "إقامة الدليل على وجوب الشيء دون إيجابه يكون ألزم بالحجة من صريح الدعوة إلى وجوبه بواسطة الأمر... الأمر لا طاقة حجاجية له على عكس ما يتبادر إلى الذهن"[1] فللإضمار طاقة حجاجية أكبر من التصريح .

اهتمّ أيضا عبد الله صولة بحجاج القرآن بواسطة المقتضى، واعتبر أنّ هذه الإستراتيجية الاقناعية قائمة على استدراج المخاطب من خلال المقتضى البرغماتي الذي يساعد على تحقيق العمل اللاقولي، واستعان عبد الله صولة بأركيوني Orecchioni في تحديده لهذا المصطلح معتبرا أنه ضرب من الحجاج ومثّل "عبد الله صولة " على هذه الظاهرة الأسلوبية بالبعد الاقتضائي للجمل المؤكدة في القرآن الكريم ، ونذكر منها :[2]

الآية	منطوقها	إخضاعها للنفي والاستفهام	المقتضى
مثال1: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ﴾[3]	مجيء الساعة يقين قاطع	– ليس مجيء الساعة يقين قاطع – هل مجيء الساعة يقين قاطع	مجيء الساعة يقين

إن الوظيفة الحجاجية للتوكيد تتحقق من خلال المقتضى الذي يقدم المسائل للمتلقي كحقائق غير قابلة للمجادلة ولا يمكن الاعتراض عليها، والمقتضى الذي من هذا القبيل نجده أيضا في القسم والنعت والمفعول المطلق .

[1]– عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 296.
[2]– ينظر، المرجع نفسه، ص 306.
[3]– سورة غافر، الآية 40.

اعتمد عبد الله صولة على تصنيف الموجهات إلى ضربين :

الموجهات التقريبية Modalisateurs approximatifs أو موجهات الشك Modalisateurs d'incertitudes: التي تعبر عنها ألفاظ من قبيل يبدو أن قليل بعض، ولا يمكن الوقوف على وظيفتها الخطابية إلا بربطها بمقام القول، فلا يمكن القول إنها تنفر من القضايا المعروضة، بل قد تؤدي في بعض المواضع إلى زيادة التصديق وتحقيق فعل الإقناع، ويمثل عبد الله صولة لهذه الحالة بقولة تعالى ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾[1] فاستخدام لفظة (بعض) ساهم في التأثير على السامعين عن طريق الإنصاف والملاطفة في القول لتسهل عملية استدراجهم إلى النتيجة المتوخاة .

وأمّا الموجهات اليقينية فهي كثيرة الورود في القرآن الكريم، ويرى عبد الله صولة أنها " الضمان لحقيقة الكلام ولإمكان أن يكون هذا الكلام مقنعا رغم شديد اصطباغه بالذاتية "[2] ويعتبر القسم من أهم هذا النوع من الموجهات .

د- الحوارية و الإقناع في القرآن الكريم:

استثمر عبد الله صولة هذه الخاصية في حديثه عن الحجاج في المدونة القرآنية، ففي سعيه لإثبات حجاجية الجملة الاعتراضية في القرآن الكريم، اعتبر أن الكلام يدور بين طرفين أو صوتين "أحدهما يتهم والآخر يبطل التهمة، وهو مظهر من مظاهر حيوية الكلام القرآنيّ في تفاعله مع المحيط

[1]- سورة غافر، الآية: 40.

[2]- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 320.

الذي نزل فيه ذلك أن المعركة الدائرة بينه وبين خصومه قد نقلها من السياق التاريخيّ الذي يدور فيه إلى السياق اللغوي في النصّ" [1] وهذا ما يعطي لأسلوب الاعتراض طاقة حجاجية.

ولتوضيح ذلك استعان عبد الله صولة بمجموعة من الآيات القرآنية التي اشتملت على أسلوب الاعتراض، منها قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾[2].

ويمكن تمثيل المسار الحجاجي فيها بالخطاطة التالية :

المثال : ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون

الجملة الأصلية — الجملة المعترضة

ويجعلون لله البنات — سبحانه (تنزّه الله أن يجعل بناتا)

– **المواضع:** وهي مفهوم حجاجي اعتمد عليه أرسطو في تأسيسه لبلاغة الحجاج، كما عوّل عليه برلمان في مشروع البلاغة الجديدة حيث قسّمها إلى مواضع الكم المرتبطة بالعدد ومواضع الكيف المتعلقة بالنوع، وتتميز هذه المواضع بكونها محل إجماع الجمهور لذلك تساهم في الإقناع والتأثير على المتلقين.

اعتبر عبد الله صولة أن المدونة القرآنية لا تخلو من اعتمادها على المواضع للتأثير على السامعين، ومن أهم هذه المواضع: موضعي اللون والاتجاه، ومن الآيات القرآنية التي تضمنت ذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾[3] فالقيمة الحجاجية للفظ فوق في هذا التعبير القرآني "لا تكمن في وروده على وجه الاستعارة التمثيلية فحسب وإنما قيمته الحجاجية كامنة

[1] – عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 355.

[2] – سورة النحل، الآية: 16

[3] – سورة الأنعام، الآية: 06.

في كونه لفظا من الألفاظ التي يعبر بها عن موضع هو العلو الذي هو عند العرب خاصة وعند غيرهم من الشعوب ربما، ذو قيمة إيجابية فهو من أجل ذلك داخل في موضع أشمل منه هو موضع المؤثر "[1] فمفهوم "الموضع الحجاجيّ" يمكن القارئ من فهم حجاجية الخطاب.

ومثّل "عبد الله صولة" على مواضع اللون بقوله تعال:﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[2] فالقيمة الحجاجية لاستعارة البياض والسواد في هذا المثال تتحقق بكونهما موضعان يحملان غاية "إشعار المتلقين بمدى أهمية يوم القيامة وبعظيم الأمور التي تقع فيه للكافرين من ناحية وللمؤمنين من ناحية أخرى."[3] ويظهر هذا المثال أهمية مفهوم "المواضع" في فهم مقصدية الخطاب القرآنيّ .

هـ- حجاجية الأساليب البلاغية:

استعان عبد الله صولة كعادته في تحليله للآليات الحجاجية الواردة في المدونة القرآنية بالمنجز الغربي حول حجاجية الظواهر الأسلوبية، فنقل قول بلونتين Plantin في حديثه عن الاستفهام الحجاجي question argumentative واعتمد على رأي ديكرو وأنسكومبر في تحديد الغاية من هذا النوع من الاستفهام ففيه "نفرض على المخاطب به إجابة محددة يمليها المقتضى الناشئ عن ذلك الاستفهام فيتم بذلك توجيه دفة الحوار الذي نخوضه معه الوجهة التي نريد"[4] وهذا التوجيه هو أساس نجاح الخطاب الإقناعي.

---

[1]- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 538.

[2]- سورة آل عمران، الآيتين: 106-107.

[3]- المرجع نفسه، ص 534.

[4]- Anscombre J .C .et Ducrot O, l'argumentation dans la langue, éditions Mardaga, Liège – Bruxelles, 2ème édition, 1988, p30.

ولم يهمل عبد الله صولة في معالجته لهذه المسألة آراء المفسرين، ففي تفسير قوله تعالى:﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾[1].

أورد عبد الله صولة قول ابن عاشور في تفسير هذه الآية :

"والاستفهام إنكار وتقرير بإنكار ذلك إذ ليس المتكلم... للجواب ولا يسعهم إلّا الاعتراف بذلك فهو بمعنى نفي أن يكون من آلهتهم من يبدأ الخلق ثمّ يعيده فلذلك أمر النبي (صلى الله عليه وسلم) بأن يرتقي معهم في الاستدلال بقوله (اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ) فصار مجموع الجملتين قصر لصفة بدء الخلق قصر إفراد، أي دون شركائهم ، فالأصنام لا تستحق الإلهية والله منفرد بها . وذكر إعادة الخلق مع الموضوعين مع أنهم لا يعترفون بها ضرب من الإدماج في الحجاج"[2] ويظهر هذا التحليل مدى تفطن "عبد الله صولة" لحجاجية الأساليب الإنشائية .

و- حجاجية الصور:

لم يركز بحث عبد الله صولة في موضوع صور القرآن الكريم على مساهمتها في حسن هذا الكلام المقدس، بل كان الاهتمام منصبا على فاعليتها الحجاجية، خاصة أن الأسلوب القرآني يمتاز بحضور المجازات والاستعارات والكنايات التي تحمل معاني تؤثر على السامع وتزيد في إيمانه.

اعتبر عبد الله صولة أن الحجاج بواسطة الصورة في القرآن الكريم مداره على "مادة هذه الصورة من ناحية وعلى شكل الصورة من ناحية أخرى."[3] ويقصد بذلك أنّ بناء الصورة ومضمونها هو الذي يحدد البعد الإقناعيّ لها، وأقرّ الباحث صعوبة استقصاء جميع المواد التصويرية المشكلّة

[1]- سورة يونس، الآية: 10.

[2]- ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج11، الدار التونسية للنشر، ص 161.

[3]- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 496.

للصورة القرآنية لتنوعها وكثرة ورودها، ولكنّه رغم ذلك سعى لتصنيفها إلى أنواع كبرى، فاهتدى إلى أنّ الصورة في القرآن الكريم من حيث مادتها تنقسم إلى نوعين هما:[1]

-صورة منتزعة من المجال الماديّ الحسيّ.-صورة مستمدة من تكون ثقافية رمزية.

ويمكن تمثيل ذلك بالخطاطة التالية :

الصورة في القرآن الكريم من حيث مادتها

منتزعة من المجال الحسي

مستمدة من المقومات الثقافية والرمزية

المجال الزراعي والحيواني

المجال التجاري-المجال الاجتماعي

يعتبر عبد الله صولة أن "النجاعة الحجاجية التي للصورة في القرآن بما في ذلك التشبيه والاستعارة والكناية والتمثيل مستمدة كما هو الشأن في الصورة عامة، من ظاهرة دفعها المتلقي إلى الإسهام في إنتاج قسم من كلام الصورة هو القسم الضمني، وذلك بالانطلاق من القسم المصرح به فيها."[2] فحجاجية الصورة إذن مستمدة من استنادها على ما يتضمنه هذا الأسلوب من معاني ضمنية تؤثر على المتلقيّ .

ترد الصورة في القرآن الكريم في أحيان كثيرة حسمًا للاعتراض الصادر من المخالفين لرسالة الإسلام، ويرى الباحث البلاغي التونسي عبد الله صولة أن النجاعة الحجاجية لهذه الصور مستمدة

[1]- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 502.

[2]- المرجع نفسه، ص 576.

من المعنى الضمني الذي تحيل إليه، فضلا عن "اضطرارها المتلقي إلى إرجاء لحظة اعتراضه على الحكم الذي يأتي به الكلام"[1] ويمكن التمثيل على ذلك بقوله تعالى ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا، بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[2] فاليهود قد ينكروا أنهم يجهلون مضمون التوراة، لكنهم سيربطون لفظ الحمار بالبلادة، وهذه حجة ضمنية تتوخى التأثير.

وإجمالا، يمكن القول إن دراسة عبد الله صولة لحجاجية الخطاب القرآني تميزت بالملامح العامة التالية :

- لم يقتصر عبد الله صولة في تتبعه للحجاج في القرآن الكريم على عرض المنجز الغربي في النظرية الحجاجية، بل كان أحيانا يقرّ بضيق أفق تصوراتها، ففي إشارته لوظائف الالتفات الحجاجية في المدونة القرآنية أشار إلى "ضيق نظرة برلمان وتيتيكاه اللذين يحصران وظيفته الحجاجية في الإشعار بقوة الفكرة"[3].

- الاعتماد على الإحصاء في تحديد تواتر ظاهرة أسلوبية ما ثمّ الوقوف على حجاجيتها ومدى مساهمتها في إقناع المتلقيّ .

- عدم إنكار فضل العرب في التأسيس للدرس الحجاجي، فحديثهم مثلا عن حجاجية الصورة الفنية ووظيفتها الإقناعية "لا يكاد يختلف كثيرا عن حديث علماء الحجاج المحدثين في الغرب."[4] ويؤكد ذلك على حضور مباحث الحجاج في التراث البلاغي.

[1]- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 576.

[2]- سورة الجمعة، الآية: 05.

[3]- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 461.

[4]- المرجع نفسه، ص 482.

- مناقشة آراء سابقيه الأقدمين والمعاصرين بعد عرضها، ومن النماذج التي نستشهد بها حديثه عن وظيفة الاستعارة. يقول عبد الله صولة "ليس صحيحا ما يقوله أحمد بدوي من أن الأغلب على دراسة القدماء للاستعارة في القرآن اقتصارهم على ذكر أنواعها وإحصاء ما ورد منها فيه دون تدبر لبعدها التأثيري"[1].

- الإقرار بحداثة البحوث الحجاجية، مما يجعل البحث في الحجاج القرآني عاجزا عن الإلمام بكل القضايا المتعلقة بالنظرية الحجاجية، ويمكن التمثيل على ذلك بقول عبد الله صولة: لا ندعي "أننا نلم بكل القضايا المتعلقة بالصورة القرآنية، من زاوية نظر حجاجية... وكيف لا تكون إشارتنا إلى هذه السبل إشارة بسيطة ونحن نروض القول فيها على الابتداء وذلك في غياب الدراسات المنهجية الصارمة لحجاجية الصورة "[2] وفي هذا إشارة واضحة لحداثة مثل هذه المفاهيم .

- رفض الفصل بين بلاغة الأسلوب وبلاغة الحجاج، والسعي لإيجاد تقاطعات بين هذين البلاغتين، وهذا ما جعل عبد الله صولة يرفض ربط عبد القاهر الجرجاني الإعجاز القرآني بالنظم فقط وإهمال الأبعاد الحجاجية. إن هذا التوجه المنهجي يمكن أن يكون مناسبا في النصوص الأدبية لا النصوص الدينية "فالجمال في النص الأدبي قد يكون مطلوبا لذاته ولغاية أن يمتع أساسا، في حين أنه في النص الديني ثانوي بالنظر إلى غايات أخرى"[3]وفي هذا تأكيد على دور الإقناع في النصّ المقدس.

كما استند عبد الله صولة في إبطاله مقولة ربط إعجاز القرآن بنظمه بالتأكيد على أن القرآن موجه للجمهور الكوني وهذا ما يتنافى ما نظرية النظم التي تستدعي جمهورا ضيقا جدا وأورد قول ابن

[1]- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص493.
[2]- المرجع نفسه، ص 497.
[3]- نفسه، ص 610.

القيم الجوزية "وقال قوم إعجازه بمجموع هذه الوجوه الثلاثة أي الإيجاز وحسن النظم وغرابة الأسلوب. وهذا الكلام يحتاج إلى نظر لأن مجموع هذه الأقسام الثلاثة إنما تكون معجزة في حق العرب خاصة لأن الفصاحة والبلاغة فيهم جبلة وخلقة وهم فرسانها... وأما الأعاجم ومن يجري مجراهم فلا تقوم عليهم بذلك حجة ولا تصح فيهم معجزة"[1].

إنّ أطروحة صولة تقوم على نقطة قوة هي نفسها نقطة ضعف "إنها المزاوجة بين التحليل الأسلوبي وبين المنهج الحجاجي التداولي"[2] فالتوفيق بين هاتين المقاربتين يطرح مشكلة صعوبة الجمع بين جمالية الخطاب وفعاليته التواصلية .

وتجدر الإشارة أيضا أن مباحث الحجاج ارتبطت بالخطاب الذي ينجز باللغة الطبيعية، ولكن التحليل الحجاجي في النقد المغاربي لا يتحرج غالبا في تطبيق منجز هذه النظرية على محكم التنزيل وسبق أن رأينا ذلك في ارتكاز محمد مشبال على النظرية الأرسطية خاصة ما ارتبط بحجة الإيتوس رغم أنّ هذه المفاهيم لا زالت في طور التشكل.

3- حجاجية الخطاب الأدبيّ عند "عبد الله صولة": كتاب "الأيام" لطه حسين أنموذجا:

ركّز معظم النقاد في تحليل كتاب "الأيام" لطه حسين على الوظيفة التعبيرية، انطلاقا من إدراج الكتاب ضمن جنس السيرة الذاتية، لكن عبد الله صولة لم يسر على هذا المنحى، بل ركّز على الوظيفة التأثيرية، خاصة أنّ طه حسين نفسه ركز في عمله على المتلقي، فمؤلفه "طريقة لتوثيق الصلة بالحاضر ووسيلة دائمة لوضع العالم و الإنسان موضع التساؤل"[3].

[1]- ابن القيم، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن، إشراف لجنة تحقيق التراث، مكتبة الهلال، بيروت، ص338.

[2]- صابر الحباشة، محاولات في تحليل الخطاب، ص138.

[3]- عبد الكريم الخطيبي، في الكتابة والتجربة، تر: محمد برادة، دار العودة، بيروت، لبنان، ط1، 1980، ص 108.

تتبّع عبد الله صولة حضور الوظيفة الإقناعية في مدوّنة الأيام ، وحصرها في النقاط التالية :[1]

- الحديث بضمير المتكلم الجمع "نحن ".
- مخاطبة جنس الإنسان عامة.
- اعتبار النص خطابا حواريا.
- توفر مقصد التأثير في المستمع.
- البناء الحجاجي للملفوظ.

اعتمدت هذه الممارسة التطبيقة الحجاجية في هذا النص السرديّ على استثمار مقولات البلاغة الجديدة التي أرسى برلمان أهم معالمها، ولم تهمل هذه المقاربة نظرية الحجاج في اللغة التي تركز حضور الوظيفة الإقناعية داخل النص، فالملفوظ الحجاجي مبني على توجيه المتلقي لنتائج محددة انطلاقا من المقدمات المبثوثة في الخطاب.

ارتكزت العملية الحجاجية في الأيام على القياس الناقص المعتمد على الاعتبارات الخطابية، ولاحظ صولة أن مدوّنة طه حسين قائمة على حضور الوظيفة التصديقية أو الوظيفة الإيقاعية أو هما معا، يقول: "على هذا النحو يكون كتاب "الأيام" ملفوظا صريحا له مفهوم هو جزء منه أي مقدمات لها نتائج تشكل معها عالم الخطاب تشكيلا حجاجيا ذا وظائف ثلاث:

- وظيفة تصديقية مجردة في بعض ملفوظه.
- وظيفة إيقاعية إنشائية في بعضها الآخر.
- الوظيفتان معا في الملفوظ الواحد أحيانا."[2]

[1]- ينظر، عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، ص ص 142-144.

[2]- المرجع نفسه، ص 146.

وانطلاقا من هذه الوظائف الثلاث، يظهر جليا مدى حضور الغاية الإقناعية في كتاب الأيام لطه حسين، فما يميز هذا المؤلَف هو جمعه بين الوظيفة الأدبية التخييلية والوظيفة الحجاجية التداولية.

تأثّر عبد الله صولة بالمنهج الأسلوبي في تحليله الحجاجي لمدونة الأيام، وظهر ذلك من خلال تركيزه على إحصاء وتحليل الظواهر الأسلوبية المهيمنة على الخطاب الأدبيّ، فتتبع مثلا الرابط المنطقي "لكن" الذي "يفتح على الخفي والضمني والملمح إليه. ففي الفصل الرابع من الجزء الأول (حادثة المائدة) وهو يعرض حياة الصبي العائلية، تواتر هذا الرابط ست مرات. وفي الفصل السادس عشر من الجزء الثاني وهو يعرض حياة الصبي العائلية تكرر تسع مرات. وفي الفصل الثامن عشر من الجزء الثاني وهو يعرض حياة الصبي التربوية بالأزهر تكرر إحدى عشر مرة"[1] وفي جميع هذه المواضع يقود المتلقي إلى نتيجة معينة.

اهتمّ صولة في تحليله الحجاجيّ بالروابط الحجاجية: ومثّل لها بالرابط "لكن" من خلال الأمثلة التالية:

"لو أنني حدثتك بما كان عليه أبوك في ذلك الطور لخيبت كثيرا من ظنك ...

لكنني لن أحدثك بشيء مما كان عليه أبوك في ذلك الطور"[2].

كلا المقدمتين خدمت نتيجة مضمرة هي: تعظيم وإجلال الأب.

وأورد مثالا آخر يتجلى في قوله:

أبوك أو أنا ينفق اليوم والشهر والسنة لا يأكل إلا لونا واحدا ...

لكنه لا يشكو ولا يتبرم"[3].

[1]- عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، ص 157.

[2]- طه حسين، الأيام، ج1، دار الكتاب اللبناني، 1980، ص 142.

[3]- طه حسين، الأيام، ص 145.

فالقولان يخدمان نتيجة مضمرة تؤكد على عظمة الرجل.

والملاحظ تركيز عبد الله صولة على هذا الرابط الحجاجي (لكن)، وذلك من شدة تواتره في مدونة الأيام ولدوره الهام في بناء عالم الخطاب في هذه السيرة الذاتية، و"بالنظر إلى الفضاء الضمني المضمر الذي تفتحه أمام المتلقي"[1] وهذه الخصائص هي التي تشكل الطاقة الحجاجية لهذا الرابط.

استنتج عبد الله صولة أنّ هذا الاختيار الأسلوبيّ في كتاب الأيام أدّى وظيفة تصديقية تتعلق بتمجيد المتكلم واستبعاد تعييبه، وهذا ضرب من الحجاج يسعى لإقناع المتلقي بتقرير حجة المتكلم وإلغاء حجة الخصم المفترض.

استعان "عبد الله صولة" في تحليله لكتاب الأيام بتحديد وظائف الخطاب وتتبع أثرها في الإستراتيجية الإقناعية، فذكر مثلا الوظيفة التصديقية لحجة السلطة، ومثّل لك بقول السارد: "أنت في التاسعة من عمرك، في هذه السن التي يعجب فيها الأطفال بآبائهم (...) ويتخذونهم مثلا عليا في الحياة يتأثرون هم في القول والعمل ويحاولون أن يكونوا مثلهم في كل شيء"[2] وهذا القول يركز على سلطة الأب في التربية.

استفاد عبد الله صولة في تحليله للخطاب السير ذاتي عند طه حسين من نظرية الأفعال الكلامية التي تميز بين فعل القول acte locutoire والفعل المتضن في القول acte illocutoire والفعل الناتج عن القول acte perlocutoire، وانطلاقا من هذا التصور فالخطاب في الأيام ليس عملا قوليا مجردا، بل هو عمل لاقول يغير مرتبط بمسألة الصدق أو الكذب، إنه "يطلب تغييرا لوضع ويهيب بالمخاطبين أن يفعلوا شيئا وهذا في مستوى العمل اللاقولي المضمر الذي يؤدي إليه منطق بناء الملفوظ"[3] وهذا هو أساس البناء الحجاجي لخطاب الإقناعي في مؤلف "الأيام " .

[1]- عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، ص 148.

[2]- طه حسين، الأيام، ص 141.

[3]- عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، ص 160.

والملاحظ أيضا استثمار مقولة الجمهور الكوني التي نظر لها "بيرلمان"، فعبد الله صولة يرفض أن يحصر متلقي مدونة الأيام في قارئ محدد، بل يوسع من دائرة ذلك، فما دام هذا الخطاب يركز على القيم الإنسانية، فهو لا محالة "دعوة تظلّ قائمة في الزمان وموجهة إلى المخاطب حيثما كان"[1] وفي هذا التوسيع تأكيد لحجاجية خطاب "الأيام" .

اعتبر عبد الله صولة أنّ ظروف تأليف كتاب "الأيام" تفسر لجوء "طه حسين" للإستراتيجية الإقناعية المضمرة، بدل الطريقة المباشرة في الدعوة إلى تغيير الواقع الاجتماعيّ وإصلاح الواقع الثقافيّ والتعليميّ، فالطريف حقا هو أنّ كتاب الأيام كتب في ظرف "الصد العنيف من المتلقين بمختلف شرائحهم على إثر صدور كتابه في الشعر الجاهلي وكذلك كتابه مستقبل الثقافة في مصر مع بعض الاختلاف في حجم رد الفعل ونوعه في كل مرة".[2] فبعد الصدّ العنيف الذي لاقاه "طه حسين" من خطابه المباشر الصريح في كتاب "الشعر الجاهلي" وكذلك في كتاب "مستقبل الثقافة في مصر"، عمد في مدونة الأيام إلى استعمال أسلوب سردي حجاجي للتأثير على المتلقي ودفعه للقبول بالطرح الجديد.

ولعلّ هذه الملابسات التاريخية هي من دفعت طه حسين لتجاوز الحديث بضمير المتكلم كما كان معهودا في كتابة السيرة الذاتية، فاختار هذا الكاتب ضمير الغائب الذي له بضمير المتكلم "علاقة تبادل إرسال الخطاب بحيث يترك أحدهما المجال للآخر، لا ليلقي علينا الحدث من رؤية سردية مغايرة ولكن فقط لإيهامنا بأن هناك خطابين متضافرين ومتمايزين"[3] لكنه في حقيقة الأمر هو خطاب الذات المتكلمة التي تسعى لتحقيق التأثير في المتلقيّ.

[1]- عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، ص161.

[2]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]- سعيد يقطين، القراءة والتجربة، دار الثقافة، المغرب، ط1، 1985، ص ص 98-99.

اعتمد عبد الله صولة صولة في تحليله للنص السير ذاتي على مجموعة من المفاهيم التداولية كالإضمار الذي أقرّ بنجاعته في الخطاب الإقناعيّ، فالنتيجة المضمرة في الملفوظات الحجاجية هي أكثر تأثيرا في المتلقي من النتيجة الصريحة، مستدلا بروجي بوتييه Roger Bautier في قوله "النتيجة الضمنية التي يترك أمر استنباطها للمتلقي نفسه أبلغ أثرا في نفسه من النتيجة المصرح بها من حيث أن المساهمة المطلوبة إليه في استخراجها تؤدي إلى جعله لا يعتبر النتيجة مفروضة عليه من الخارج وإنما يعتبرها نتيجته هو شخصيا"[1] وبناء على ذلك، فالمسار الخطابيّ الذي يضمر نتائجه يكون أكثر إقناعا من الخطاب الصريح .

وإجمالا، لم يهمل هذا الطرح المميز خصوصية النوع الخطابي، فمقاربة عبد الله صولة تراعي ذلك في اشتغالها الحجاجي على مختلف الخطابات، وظلت ممارساته التطبيقية "تنطلق من السمات المهيمنة في النص لتكشف بنيته وطرائق اشتغاله، وأساليبه الإقناعية، ذلك أن النصوص الحجاجية وإن كانت تتحد في المقصد والغاية، إلا أنها تسلك في ذلك مسالك استدلالية متنوعة"[2] واتضح ذلك بوضوح من خلال اختلاف التعامل بين النصّ القرآنيّ وخطاب السير ذاتية.

رغم تأثر "عبد الله صولة" بالأسلوبية وانشغاله بأوجه التعبير الفنيّة إلّا أنه سعى لربطها بالتأثير الذي تحدثه لدى المتلقي، وفي هذا ربط واضح بين الأسلوب والحجاج، وهذا من تجلى من خلال عمله التطبيقي الذي درس فيه الخطاب وفق زاوية نظر حجاجية، فالنصّ الأدبيّ لا يقوم على وظيفة تخييلية صرفة، بل يسعى في معظم الأحيان لإيقاع التصديق في نفوس المتلقين، ولذلك يستعين بأساليب الحجاج.

[1]– Roger Bautier, recherches expérimentales américaines sur la communication persuasive, in l argumentation, p 203-2018.

[2]– عبد العزيز لحويذق، الحجاج في المناظرة – مقاربة حجاجية لمناظرة أبي حنيفة مع الملحدين–، ضمن الكتاب الجماعي الحجاج مفهومه ومجالاته، الجزء الرابع الحجاج والمراس، إعداد وتقديم حافظ إسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط1، 2010، ص331.

إنّ دراسة هذه السيرة الذاتية وفق هذا الأفق يؤكد اقتناع "عبد الله صولة" برحابة حقل الحجاج وقدرته على مقاربة الخطابات التي لا تصرح باستراتيجياتها الإقناعية، فبلاغة الحجاج إذن لم تعد مقاربة نصية مقتصرة على الجنس الخطابي فقط، بل امتدت إلى مختلف الخطابات التي تقوم في بنائها على تظافر المكونين التخييلي والحجاجيّ.

اعتمد التحليل الحجاجي لمدونة "الأيام" عند"عبد الله صولة" على ربط الإقناع بالمكونات الدلالية باعتبار "الحجاج بنية دلالية تستعمل لأغراض بلاغيّة تداوليّة اعتمادا على أبنية نحويّة معينة"[1] ويؤكد هذا التوجه المنهجي سعيا واضحا لربط دراسة الحجاج بجميع المستويات اللغوية. والحقّ أنّ المقاربة البلاغية الحجاجية التي انتهجها "عبد الله صولة" تمتاز بالرحابة واتساع الأفق، فهو إذن لم يعتمد في تحليله للخطاب على التطبيق الصارم لخطاطة جاهزة، بل كان منفتحا على كلّ المفاهيم والمقولات التي يمكنها أن تساعد في تحليل الإستراتيجية الإقناعية التي اعتمدها منتج النصّفي بناء وتشكيل خطابه.

إنّ المشروع البلاغي لعبد الله صولة قائم على ربط بلاغة الخطاب بالحجاج، وتسعى هذه المقاربة للانتقال من بلاغة مختزلة إلى بلاغة رحبة قادرة على استيعاب مختلف الخطابات، ويرفض هذا المسعى المنهجي تطبيق مقولات جاهزة على النصوص، وينفتح على كل الأدوات والتقنيات الإجرائية التي تساهم في الوقوف على الإستراتيجية الخطابية.

استطاع "عبد الله صولة" من خلال أبحاثه العلمية أن يستثمر بلاغة الحجاج في قراءة الخطاب وتأويله، ولم تتسم أعماله التطبيقية في هذا المجال بتطبيق خطاطة نمطية ، بل كان ينفتح كلّ مرة على جميع التقنيات الإقناعية الممكنة، مؤكدا غلى ضرورة ربط آليات اشتغالها بخصوصية النصوص المدروسة.

[1] – عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، ص07.

انطلق "عبد الله صولة" من تصور منهجي يؤسس لبلاغة رحبة ترفض الفصل بين الأسلوب والحجاج لأن هذا الفصل هو الذي أوقع البلاغة في ركود وجمود لقرون طويلة، ولذلك يجب التأسيس لبلاغة جديدة تستوعب جميع المكونات التخييلية والتداولية.

الفصل الرابع: بلاغة الحجاج في الجزائر.

- أولا: الدرس البلاغي المعاصر في الجزائر.

- ثانيا: بلاغة الحجاج وآفاق تحليل الخطاب في الجامعة الجزائرية.

- ثالثا: حجاجية الخطاب التراثي في النقد الجزائري المعاصر: حجاجية الشروح البلاغية أنموذجا.

- رابعا: تجليات التحليل الحجاجيّ عند "هاجر مدقّن".

عرفت البلاغة العربية مع الفترة التي تلت أواخر القرن العشرين مسارات هامة، منها ما ارتبط بالاهتمام بالمكونات الأسلوبية والجمالية للنصوص، ومنها ما ركّز على الجوانب التداولية والتأثيرية للخطاب، وفي سياق هذا التطور استُثمرت النظريات والمناهج الغربية في مسعى واضح لتوسيع البلاغة العربية والانفتاح على حقل الأدب بمختلف أجناسه، وظهر توجه منهجيّ لاستثمار هذا المنجز في تحليل الخطاب.

امتدّ هذا المشروع لكافة أقطار الوطن العربي، وكان لدول المغرب العربي الفضل الكبير في ازدهار هذه البلاغة الرحبة خاصة في بعدها الحجاجي، ولم تكن الجزائر بمعزل عن هذا التطور، وهذا ما ظهر من خلال مختلف المحاولات الجادة التي سعت لتطوير البلاغة تشغيل مقولاتها في قراءة النصوص وتأويلها.

لقد سعى البحث البلاغيّ المعاصر في الجزائر لاستيعاب منجز النظرية الحجاجية في الغرب تنظيرا وممارسة، وظهرت الكثير من البحوث الأكاديمية التي اهتمت بترجمة المصطلح الحجاجي الغربي محاولة رصد المفاهيم المرتبطة بالخطاب الإقناعي.

كانت هذه المحاولات الجادة تروم بعث البحث البلاغي من جديد بعد الركود و الجمود الذي هيمن على البلاغة لقرون طويلة، فالغاية إذن من هذه الدراسات تمحورت حول ربط مقولات البلاغة بالخطابات التواصلية اليومية، وفي ظلّ هذا التطورات المنهجية، تعالت الأصوات المنادية بوصل بلاغة الحجاج بحقل تحليل الخطاب .

حاول البلاغيون الجزائريون توظيف مقولات النظرية الحجاجية في تحليل مختلف الخطابات الإقناعية، ولم يقتصر الاهتمام على النصوص التي تصرح مباشرة بقصدها التأثيري، بل امتدّ البحث إلى الخطابات التي تضمر قصدها الإقناعيّ.

أولا– الدرس البلاغي المعاصر في الجزائر:

عرف العصر الحديث في الجزائر اهتمام الباحثين بالعلوم اللغوية "ولعل البلاغة العربية من العلوم التي استقطبت أقلامهم واستحوذت على اهتمامهم وانشغالاتهم، ولا غرابة في ذلك طالما أنها علم شريف، حظي بالقداسة والتبجيل"[1] فالبحث البلاغيّ إذن ارتبط في بعض مواضيعه بالبحث عن اعجاز القرآن وأسراره البيانية.

والحقيقة أنّ الاطلاع على بحوث الأكاديميين الجزائريين المعاصرين في البلاغة، يظهر اهتمامهم بفروع البلاغة المختلفة، وانقسامهم جهودهم إلى توجهين:

- توجه تراثي: اهتم أصحابه بالمسائل والقضايا البلاغية التراثية كالنظم والإعجاز.
- توجه جديد حاول تجديد البلاغة العربية من خلال الاستفادة من المنجز الغربي والانفتاح على مختلف المناهج اللسانية التي اهتمت بالخطاب، و"من الآفاق المعرفيّة التي يمكن أن توظف وتستثمر في إثراء الدرس البلاغيّ المعاصر:

✓ الأفق التداوليّ التواصلي

✓ الأفق الحجاجي الإقناعي

✓ الأفق الفنيّ الأسلوبيّ

✓ الأفق النصي"[2].

[1]– فاطمة صغير، إسهامات العلماء الجزائريين في البلاغة العربية، مجلة رفوف، مجلد السادس، عدد الأول، سبتمبر 2018: ص154.

[2]– مسعود بودوخة، البلاغة العربية بين الإقناع والإمتاع،دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2018، ص175.

استطاعت هذه المجالات المعرفية أن تمنح الباحث البلاغي في الجزائر آفاقا رحبة لاقتحام مواضيع بحث جديدة، وأمام هذا الوضع الجديد تعالت الأصوات المنادية بوصل مفاهيم البلاغة بحقل تحليل الخطاب، و"توسيع الآليات البلاغية لتشمل تحليل النصوص بأنواعها (حوارية، حجاجية سردية، شعرية...)، فهذا الاتجاه هو الذي يلح عليه كثير من المحدثين الذين يرون ضرورة التعامل مع البلاغة العربية باعتبارها معارف وآليات منهجية وبيانية متلبسة بالنصّ، مهما كان شكله النهائي شعرا أو رواية أو خطابة أو مسرحية."[1] ومع هذا التحول أعيد الاعتبار للمكونات البلاغية .

ومع هذه التغيرات المنهجية، استطاعت البلاغة في الجزائر أن تفرض نفسها ضمن نظريات النص المعاصرة التي سعت لاكتشاف آفاق الخطاب باعتبارها "منهجا في تفسير النصوص، يكشف بناءها الحجاجي التواصلي من جهة، ويتلمس مكوناتها الجمالية التخييلية من جهة ثانية"[2] إنها مقاربة تسعى لإحداث تقاطع بين المكونين: الأدبي والإقناعي .

ويمكن القول إنّ واقع الدرس البلاغي المعاصر في الجزائر يظهر عدم انحصار اهتمام الباحثين بالبعد الأسلوبي فقط، بل امتدّ التحليل البلاغي ليشمل الكشف عن مكونات الخطاب الإقناعي، وتندرج ضمن هذا الاتجاه النقدي الجديد الكثير من البحوث البلاغية المنجزة في الجامعات الجزائرية .

حاولت البلاغة الجديدة في الجزائر أن تعيد قراءة التراث الأدبي الشعري و النثري لتقف على مكوناته البلاغية القائمة على تظافر المكونين التخييلي والحجاجي، ولم يكن ذلك الاهتمام منصبا على نصوص محددة فقط،بل اتسع ليشمل مختلف الأجناس الأدبية التي يصرح أو يضمر مؤلفيها باستراتيجياتهم الإقناعية، وامتدت هذه البلاغة الرحبة لتقتحم الأشكال السردية المختلفة كالخبر والحكاية على ألسنة الحيوان، ومثّل هذا الإتجاه الجديد تمردا على البلاغة الإختزالية التي سادت لقرون.

[1] – مسعود بودوخة، البلاغة العربية بين الإقناع والإمتاع، ص 175.

[2] – هشام مشبال، البلاغة والسرد والسلطة في (الإمتاع والمؤانسة)، كنوز المعرفة، الأردن، ط1، 2015، ص 12.

انفتح البحث البلاغي الجديد على الأجناس الخطابية الحديثة كالمقالة والرواية والقصة والخطاب السياسي والخطاب الديني، وابتعد الباحثون في ذلك عن تطبيق خطاطة نظرية جاهزة لاقتناعهم أنّ المقاربة البلاغية الحجاجية "تظل مقاربة مجردة وعامة ما لم يستحضر المحلل السياقين النصي والنوعي في الكشف عن البلاغة المخصوصة التي ينطوي عليها النص المدروس"[1] أي أن نوع النصّ وسياقه يحددان الإستراتيجية الخطابية التي يعتمد عليها النصّ المدروس.

كان هذا التوجه المنهجي متأثرا بما أنجز على المستوى المغاربي من بحوث ودراسات، وتجلى ذلك بوضوح من خلال الاهتمام المباشر بالمشاريع البلاغية التي حاولت إرساء البلاغة الجديدة في المغرب وتونس، وتمّ ذلك بفضل تلة من البلاغيين المتميزين الذين بعثوا بلاغة الحجاج من جديد، ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: محمد العمري، محمد مشبال، حسن المودن، أبو بكر العزاوي، عبد الله صولة، عز الدين الناجح، وسامية الدريدي.

يعتبر البلاغي المغربي "محمد العمري" من أهم النقاد المغاربة الذي كان لهم حضورا في الدرس البلاغي في الجزائر،حيث استثمرت الكثير من البحوث الأكاديمية أفكار "العمري" تنظيرا وممارسة ونذكرفي هذا الصدد ما قام به الباحث الجزائري "بوعافية محمد عبد الرزاق" الذي ألّف كتابا موسوما بـ:"البلاغة العربية والبلاغات الجديدة قراءة في الأنساق بين التراث والمعاصرة" اهتمّ فيه بمفهوم البلاغة وخلفيات القراءة في مشروع العمري ومحاورها .

كان التأثر بهذا البلاغي المغربي واضحا من خلال امتداد اهتمام البلاغة الجديدة إلى الجوانب التداولية للخطاب، فلم يعد البحث مقتصرا على ما هو تخييلي فقط، بل توسع ليشمل دراسة فعالية الخطاب ولم يكن ذلك مرتبطا بأجناس خطابية محددة، أو بمقاربة منغلقة على ذاتها لأنّ "قصر البلاغة على التحليل الحجاجي التداولي، أو على التحليل الأسلوبي الجمالي، كلاهما ينطوي على مراهنة

[1] – محمد مشبال، بلاغة رسالة المفاخرة، ضمن بلاغة النص التراثي مقاربات بلاغية حجاجية، دار العين للنشر، الإسكندرية، 2013، ص116.

اختزالية تضيق الآفاق الرحبة للممارسة البلاغية، ومن ثم بدت الحاجة ملحة إلى بلورة الاتجاه الثالث أو المفهوم النسقي الذي يجمع بينهما"[1] وهذا الاتجاه الأخير يجمع بين التخييل والتداول.

كان للمصطلحات الحجاجية التي وضعها البلاغي المغربي "محمد العمري" حضورا في النقد الجزائري المعاصر المهتم بالبلاغة الجديدة، فظهرت بحوثا أكاديمية اهتمت بالمساهمات القيمة لمحمد العمري في وضع المصطلح البلاغي، ويمكن التمثيل على ذك بالمقال القيم الذي نشرته الباحثة الجزائرية "ابتسام بن خراف" والموسوم بـ "تلقي النصّ البلاغي عند الدكتور محمد العمري مقاربة وصفية تحليلية" والذي أشارت فيه لأهم المصلحات المنتجة من طرف "محمد العمري"، فذكرت منها:[2]

- **الخطابية**: وهو المصطلح المقابل لريطورية الأرسطية .
- **المستمَع**: المقام الخطابي بجميع مكوناته.
- **البلاغة العامة**: تسوعب ما هو شعري أو خطابي.
- **الصورة**: تتصل بكل ما له علاقة بالتصوير اللغوي وتقنيات التخييل .

وتظهر هذه المصطلحات سعي " العمري" لتوحيد المصطلح الحجاجي .

وتجدر الإشارة للتأثير الكبير الذي أحدثته الدراسات البلاغية لمحمد مشبال على بلاغة الحجاج في الجزائر، حيث تعالت الأصوات المنادية لاستثمار نظرية الخطاب الإقناعي في تحليل الخطاب، ويمكن القول إنّ الآليات الإجرائية التي سعى محمد مشبال لاستعمالها في بحوثه التطبيقية قد وجدت انتشارا واسعا في البحوث الأكاديمية الجزائرية التي اشتغلت على تحليل الخطاب الحجاجي.

[1] – عبد العزيز أيت بها وحسين أحمد كتانة، أية بلاغة لأي أدب محاورة لكتاب البلاغة والأدب من صور اللغة إلى صور الخطاب، ضمن كتاب من البلاغة المختزلة إلى البلاغة الرحبة –قراءات في أعمال الدكتور محمد مشبال–، تنسيق عبد الواحد المرابط، عالم الكتب الحديث، الأردن،ط1، 2017، ص187.

[2] – ينظر، ابتسام بن خراف، تلقي النصّ البلاغيّ عند الدكتور محمد العمري مقاربة وصفية تحليلية، مجلة قراءات، جامعة بسكرة، العدد الخامس، 2013، ص ص 56-57.

إنّ الصدى الذي أحدثته أعمال محمد مشبال يرجع لكونها تحمل مشروعا بلاغيا مميزا يرفض المفاهيم الجاهزة ويسعى لتطوير أدوات البلاغة لتستوعب كل الخطابات التي تركز على إيقاع التأثير في المتلقي ولقد تمّ ذلك انطلاقا من ردم الهوة بين التخييل والإقناع وهكذا صارت "البلاغة قادرة على استيعاب المقاربتين التخييلية والحجاجية معا، باعتبارها نظرية عامة وشاملة لدراسة النصوص في كليتها وتكامل وظائفها، وقد اقترح بعض المنظرين الغربيين مفهوم "درجات الحجاجية" لتجاوز الإشكال القائم بين بلاغة الحجاج وبلاغة التخييل"[1] وهذا ما منح البلاغة أفقا رحبا لتحليل مختلف الخطابات.

إنّ تأثر البحث البلاغي في الجزائر بالمنجز المغاربي المنفتح على بلاغة رحبة تستوعب التخييل والتداول جاء كرد فعل على واقع البلاغة العربية، فيمكن القول: إن "مسار الدرس البلاغي وواقعه اليوم – لاسيما في المرحلة الجامعية – غير مرتضى من قبل الدارسين والباحثين، وهناك شبه إجماع منهم على وجود خلل ما في الطريقة التي لا يزال يقدم بها هذا الدرس"[2] وعليه ظهرت الدعوات لتجديده.

إنّ هذا المسعى المنهجي ارتكز على رفض النظرة المدرسية الضيقة للبلاغة من خلال الدعوة الصريحة لوصل الشعرية بالخطابية وبلورة بلاغة عامة تستوعب الخطاب التخييلي والتداولي، ولا يعني ذلك إهمال الإطار النوعي للخطاب ما دام أنّ "في ربط البلاغة بأنواع الخطاب وبحقول نظرية مختلفة (الشعرية والتداوليات ومناهج تحليل الخطاب وعلوم الاتصال...) ثراءا نظريا وإجرائيا. فلم تعد البلاغة – في تفاعلها مع الخطابات الملموسة – جهازا مقفلا وحقلا ضيقا"[3] وبفضل هذا الانفتاح استطاعت البلاغة أن تقدم نفسها بأنها معرفة جديرة بتحليل الخطاب بأنواعه المختلفة، ومع هذا التوجه المنهجي

[1] – عبد العزيز أيت بها وحسين أحمد كتانة، أية بلاغة لأي أدب محاورة لكتاب "البلاغة والأدب من صور اللغة إلى صور الخطاب للدكتور محمد مشبال، ضمن كتاب من البلاغة المختزلة إلى البلاغة الرحبة قراءات في أعمال الدكتور محمد مشبال، ص190.

[2] – مسعود بودوخة، البلاغة العربية بين الامتاع والإقناع، ص 162.

[3] – محمد مشبال، بلاغة النصّ التراثي، ص 08.

تخلت البلاغة عن سمعتها السيئة التي لازمتها لقرون، وأضحت مقاربة نصية قادرة على تحليل النصوص.

إنّ المتتبع لظهور بلاغة الحجاج في النقد البلاغيّ العربيّ الحديث، يجد أنّ بدايات الاهتمام بهذا المجال المعرفي الرحب كانت محتشمة "ممثلة في مقالات متفرقة هنا وهناك لا يؤبه لها، ولكن مع مطلع القرن العشرين حَمي البحث في هذا المجال، وظهرت دراسات متنوعة وجادة منها المقالات العلمية والأطاريح الأكاديمية والكتب... تبشر بالنظرية وتنظّر لها في الدرس العربي"[1]وامتدّت بعض الدراسات العربيّة البلاغيّة لمستوى الممارسة وسعّت لتطبيق المنجز النظري في تحليل مختلف الخطابات.

لم يكن البحث البلاغيّ في الجزائر بمعزل عن هذا الواقع الجديد، وتجلّى ذلك من خلال اهتمام الباحثين الجزائريين المعاصرين ببلاغة الإقناع، ولم يكن ذلك الاهتمام منصبّا على الأجناس الخطابيّة المعروفة بوظيفتها الحجاجية فقط، بل امتدّ التطبيق الإجرائيّ لمفاهيم البلاغة الجديدة في جانبها الحجاجيّ ليشمل مختلف الخطابات كالخطاب السياسيّ والخطاب التعليميّ والخطاب الشعريّ.

والحق إنّ الإمعان في هذه المحاولات الجادة لتحليل الخطاب الحجاجيّ، يظهر تأثرها بنظريات الحجاج الغربية الثلاث:

-نظرية أرسطو في الخطاب الإقناعيّ.

- البلاغة الجديدة عند بيرلمان.

- نظرية الحجاج في اللغة لديكرو.

[1]- عمر بوقمرة، أثر نظرية الحجاج اللغوي في تطوير مناهج تحليل الخطاب في الدرس اللساني العربي المعاصر، مجلة أمرات، المجلد1، العدد1، ديسمبر 2017، إصدار كلية الآداب والفنون، جامعة الشلف، ص08.

واللافت للانتباه هو ارتباط تطور البحث البلاغيّ الجديد في الجزائر بتطور الدرس التداوليّ خاصة أنّ الحجاج "هو مجال غني من مجالات التداولية يشترك مع العديد من العلوم الأخرى"[1] وهذا ما يبرر حضور بعض المقولات التداوليّة في التحليل الحجاجيّ.

وحين يتمّ الحديث عن علاقة الحجاج بالعلوم اللغوية الحديثة، فإن ذلك لا يعني إحداث قطيعة معرفية مع التراث، وهذا ما تجلّى من خلال انفتاح البحث البلاغيّ المعاصر في الجزائر على البلاغة العربية القديمة، حيث استفاد الباحثون الجزائريون من التجربة المميزة لحازم القرطاجني واستثمروا مفاهيم بلاغة الخطاب الإقناعيّ التي ارتبطت بنظرية البيان والتبيين عند الجاحظ واستطاع هذا التوجه أن يعيد الاعتبار للمكونات الحجاجية للخطاب التي تفطن لها العرب مبكرا من خلال تحليلهم لمختلف النصوصّ.

[1]– خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربيّ القديم، ص 105.

ثانيا –بلاغة الحجاج وآفاق تحليل الخطاب في الجامعة الجزائرية:

إنّ الحديث عن أسئلة الفكر البلاغيّ في الجزائر يطرح الكثير من الإشكالات حول وجود مشروع بلاغيّ واضح يؤسس للبلاغة في بعدها الحجاجيّ لأنّ كلمة مشروع تعني وجود "رؤية منسجمة لمجال معرفي ما وبرنامج لتنفيذ تلك الرؤية على مستوى التأليف أو التدريس وكثيرا ما لا تتبلور مشاريع في أعمال كافية، وكثيرا ما تظل مشاريع حبيسة في أذهان أصحابها"[1].

ورغم ذلك لا يمكن إنكار وجود محاولات جادة للتأسيس لبلاغة الإقناع في البحث الأكاديميّ الجزائريّ تنظيرا وتطبيقا، وقد توحدت هذه الجهود أحيانا في شكل مخابر بحث تعتني بهذا المجال المعرفي الرحب ونذكر كمثال على ذلك: مخبر الخطاب الحجاجيّ أصوله ومرجعياته وآفاقه التابع لكلية اللغات والآداب، جامعة تيارت والذي يصدر مجلة فصل الخطاب التي تأسست سنة 2012، والتي اهتمت بالنظرية الحجاجية وتطبيقاتها على النصّوص، ونشرت ضمن هذا الإنشغال مجموعة من المقالات القيمة نذكر منها:

- حجاجية الاستعارة في الشعر العربي القديم "أبو الطيب المتنبي أنموذجا".
- دور المقام في تحديد حجاجية الخطاب.
- وظيفة الإستراتيجية الإقناعية في العملية الحجاجية.
- الحجاج في التداولية اللسانية.
- حجاجية الصورة الشعرية في الشعر العربي "محمود سامي البارودي" أنموذجا.
- الخطاب الحجاجي في لافتات أحمد مطر.

[1]– محمد اليملاحي، أسئلة الفكر البلاغي في المغرب مقاربة أولية لمشروع محمد الولي، ضمن المؤلف الجماعي بلاغة الخطاب الديني، إعداد وتنسيق محمد مشبال، ص 390.

- الأبعاد الحجاجية في بلاغة الجاحظ.
- الحجاج في دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني.
- الإستراتيجية الحجاجية لبلاغة الصمت قراءة في حجاجية الحذف في القرآن الكريم.

ويظهر هذا الكمّ من المقالات مدى سعي المجلة للتنظير لبلاغة الحجاج واستثمار ذلك المنجز في تحليل الخطاب، وامتدّ هذا الاهتمام لمختلف أنواع الخطاب، ولم يقتصر هذا التحليل النصي على الأنواع الخطابية التي تصرح باستراتيجياتها الإقناعية .

اتّسمت بلاغة الإقناع في الجزائر بالانفتاح على المنجز الغربيّ خاصة ما طرحه ديكرو وبرلمان من مفاهيم مهمة حول الخطاب الحجاجيّ، ولا يعني ذلك إسقاطا مباشرا لهذه المقولات على النصوص العربية، بل سعى النقاد الجزائريون في معظم المواضع لمناقشة الجهاز المفاهيمي الغربّي وطرح الإشكالات المتعلقة بتطبيقه.

إن تأثر النقد الجزائريّ المعاصر بنظرية الحجاج الغربية لا يعني مطلقا التطبيق الحرفي لمفاهيمها وهذا ما يتضح من خلالها استعراض مفاهيم البلاغة الجديدة في الغرب والسعي الجاد لمناقشتها وإثرائها واختبار مدى نجاعتها في مقاربة النصوص العربية، ونضرب مثالا على ذلك رأي الباحث الجزائري عمر بوقمرة حول نظرية الحجاج اللغوي في قوله: "والمفارقة العجيبة أنّ ديكرو مكث أربعين عاما يدرس في اللغة الفرنسية الروابط والأدوات، ومكث ربع قرن من الزمن يدرس الفرق بين peu و un peu ليكتشف نظريته حسب زعمه. فهل يعقل أن يمكث ديكرو هذه المدة الطويلة جدا قبل أن يصل إلى هذه النظرية، ونسارع نحن إلى التسليم بها ونقلها وتطبيقها دون أن نتريث."[1] وفي هذا دعوة صريحة لمناقشة مفاهيم بلاغة الحجاج في الغرب قبل تطبيقها في النقد العربيّ .

[1]– عمر بوقمرة، الحجاج في الشعر العربي القديم كتاب "الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني بنيته وأساليبه" لسامية الدريدي أنموذجا، مجلة التواصلية، العدد07، ص 43.

إنّ أهم ما يميز البلاغة الحجاجية المعاصرة في البحث الأكاديمي الجزائري هو استفادتها من ما أنجزه الباحثين العرب المعاصرين في هذا المجال، وخاصة في تونس والمغرب، وأهم ما قام به هؤلاء هو "اختبار المقومات الحجاجية في دراسة أنواع أدبية متعددة كالنادرة والرسالة والخطابة... النصّ الأدبي متعدد المستويات والأبعاد، وأنّ المكون الحجاجي موجود في مختلف النصوص، يمكن استخلاصه من الخطابة والرسالة، كما يمكن استخلاصه من القصيدة الشعرية، ومن مختلف أنواع السرد"[1] واستطاع هذا الطرح المنهجي أن يعطي بعدا أوسع للتحليل الحجاجي.

إنّ تأثير هذه التجارب البلاغية الرائدة يظهر من خلال الرسائل والأطروحات والدراسات التي أنجزها الباحثون الجزائريون لرصد هذه التجارب المتميزة وتحديد معالمها والدعوة الصريحة للاستفادة منها في التحليل الحجاجيّ للخطاب .

دعا البلاغيون الجزائريون المتأثرون ببلاغة الحجاج إلى دراسة صور الأسلوب وفق أفق حجاجيّ ويقوم هذا الإجراء على "تحليل وظيفتها الإقناعية وتأثيرها في المتلقي بتدعيم أو تغيير معتقداته وقناعاته، وتأثيرها في قدرته على اتخاذ القرارات الملائمة لدعوى الخطاب. تحلل الصور في هذا المنظور بوصفها جزءا منصهرا في سياق تواصلي"[2] ويركز هذا الطرح على مساهمة صور الأسلوب في تحقيق الإقناع، فالصور ليس لها وظيفة جمالية فقط بل تساهم أيضا في تحقيق الإقناع.

كان الأكاديمي الجزائري "عبد ملك مرتاض" من الذين اهتمّوا بالتواشج الحاصل بين الأسلوبية وبلاغة الإقناع فالبلاغة الجديدة عنده "تقوم على توظيف طائفة من الإجراءات الأسلوبية مثل التكرار الذي يشمل ترداد عبارات بعينها يقع الإبتداءبها في الكلام ليمضي إلى شأن آخر

[1] – عبد الرحيم وهابي، البلاغة والتداول: قراءة في البلاغة العربية الجديدة، ضمن الكتاب الجماعيّ: من البلاغة المختزلة إلى البلاغة الرحبة، ص13.

[2] – محمد مشبال، بلاغة صور الأسلوب وآفاق تحليل المعنى، ضمن الكتاب الجماعيّ: البلاغة والخطاب، ص 106.

والتكرار كثيرا ما يظاهر الخطيب على إقناع المخطوب فيهم"[1] وفي هذا الطرح دعوة للبحث في حجاجية الظواهر الأسلوبية.

لم تعتمد المقاربة الحجاجية في الجزائر على نظرة ضيقة للحجاج، بل اتسعت لتشمل كل ما يساهم في تحقيق مقبولية الخطاب لدى المتلقيّ ، ومن الآليات المهمة التي شكلت الخطوط العريضة لهذه

المقاربة نذكر:

- التحليل الحجاجي لصور الأسلوب.
- تحليل الحجج التي ينبني عليها الخطاب الحجاجي.
- رصد كل مكونات الخطاب الإقناعي سواء أكانت داخل الخطاب أو خارجه.
- الاهتمام بمكون الحوارية.
- الوقوف على تداولية الخطاب الحجاجي من خلال الاهتمام بمقصديته وسياق إنتاجه وأفعال الكلام التي تحكم تناميه.

ولا يعني هذا أنّ المقاربة الحجاجية في الجزائر بقت حبيسة الأدوات الإجرائية سابقة الذكر ولكنّها ظلّت منفتحة على كلّ الآليات التي يمكنها فهم آلية اشتغال الإستراتيجية الإقناعية في الخطاب، وهذا ما جعل التحليل الحجاجيّ مستمرا في التشكيل والتبلور.

سعى البحث البلاغي المعاصر في الجزائر لاستثمار النظرية الحجاجية وتطويعها لتحليل الخطاب الإقناعيّ، خاصة أنّ الجهاز المفاهيمي للبلاغة الجديدة يمنح محلّل الخطاب العدة اللازمة

[1]- عبد الملك مرتاض، البلاغة الجديدة، مجلة سيميائيات، العدد04، 2013، ص17.

لمواجهة النصوص الحجاجية وفك طلاسمها، وهكذا صار ممكنا استثمار مقولات البلاغة في حقل تحليل الخطاب، و"لا شك أن ردم الهوة السحيقة بين الأدب والخطابة في الوعي النظري لمجموعة من الباحثين، وتراجع المناهج النقدية ذات المنزع الشكلاني والبنيوي، وانفجار وسائل التواصل الحديثة التي أتاحت ظهورا متزايدا لأنواع متعددة من الخطابات غير المعهودة مثل خطابات الحياة اليومية وخطابات الصالونات والشارع ومواقع التواصل الاجتماعي، عوامل أسهمت في إيجاد المناخ الملائم للحديث عن تحليل بلاغي للنصوص"[1] فالخطابات الإنسانية الراهنة لا تخلو من أبعاد حجاجيّة.

وبالعودة إلى اهتمام الباحثين الجزائريين ببلاغة الحجاج، نجد غلبة الدراسات التي اهتمت باستعراض المفاهيم النظرية الخاصة بالبلاغة الجديدة وبتطبيق مفاهيمها على مختلف الخطابات النثرية والشعرية وجاءت معظم هذه الدراسات في إطار بحوث أكادمية أنجزت على مستوى الجامعات الجزائرية، ومن البحوث التي اهتمت بالمستوى النظري للنظرية الحجاجية، نذكر:

"الحجاج بين الدرس البلاغي العربي والدرس اللساني الغربي دراسة تقابلية مقارنة "وهو أطروحة دكتوراه للباحث نور الدين بوزناشة، توصل فيها أنّ "الحجاج عند الغرب والعرب مرتبط بسياق تاريخي وثقافي خاص"[2].

ونذكر أيضا الدراسة الموسومة بـ: "نظرية البلاغة في المغرب مقاربة نسقية في ضوء البلاغة الجديدة" والتي اهتم فيها الباحث الجزائري "بوعافية محمد عبد الرزاق" ببنية النسق البلاغي في المغرب وبحثه الآخر المعنون بـ "البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة من خلال مشروع محمد العمري" وهو رسالة ماجستير تؤكد اهتمام الباحثين الجزائريين بالبلاغة الجديدة في المغرب وسعيهم الجاد لاستثمارها.

[1]- محمد مشبال، في بلاغة الحجاج نحو مقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات، ص67.

[2]- نور الدين بوزناشة، الحجاج بين الدرس البلاغي العربي والدرس اللساني الغربي، أطروحة دكتوراه، إشراف: خليفة بوجادي، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف، الجزائر، 2015-2016، ص 428.

بالإضافة إلى دراسة مهمة للباحث الجزائري "مسعود بودوخة" بعنوان: "البلاغة العربية بين الإقناع والإمتاع" خصّص فيه الفصل الأول لدراسة جدل التداول والتخييل في خطاب البلاغة العربية ومن خلال ذلك استنتج أنّ "مظاهر هذا الجدل والالتباس بين جانبي التداول والتخييل في أربعة مجالات مهمة:[1]

- في مصطلح البلاغة وحدها.
- في مفهوم النظم.
- في البيان والصور الفنية.
- في المفاضلة بين الشعر والنثر.

وهذا التقاطع بين مجالي البلاغة في التراث العربي القديم يؤكد أن البلاغة العربية القديمة في جميع مراحل تطورها ظلت تشتغل بين التخييل والإقناع.

خصّص "بودوخة" الفصل السابع لملامح الحجاج في مباحث البلاغة العربية للتأكيد على حضور المكون الحجاجي في تراثنا البلاغي العربي القديم.

وخصّص الفصل التاسع لمعالم تجديد الدرس البلاغي وأقرّ فيه الجمود الذي غلب على الدرس البلاغي منذ عقود لأنه "بعد أن كان الدرس البلاغيّ شبكة تنتظم عناصر المقام بأبعاده وتشعباته من متكلم ومخاطب وغرض ومقصد وظروف مختلفة، أصبحت البلاغة حينما تذكر ينصرف الذهن مباشرة إلى الخطاب أو النصّ اللغوي في حدّ ذاته دون النظر في الغالب إلى ما يتعلق بالمتكلم باعتباره منتجا لهذا النص، ودون النظر أيضا إلى ما يتعلق بالسامع"[2] وهذا ما أدى إلى جمود البلاغة.

[1]- مسعود بودوخة، البلاغة العربية بين الإقناع والإمتاع، ص 11.

[2]- المرجع نفسه، ص 162

ولذلك دعا "بودوخة" إلى تجديد هذا الدرس البلاغيّ، وذلك برفض التقعيد المجرد وإعادة الاهتمام بالجوانب التداولية للخطاب وجعل المقام أساس الكلام في جميع ظروف التلفظ وأحواله والانفتاح على جميع العلوم اللسانية للاستفادة من منجزها في تحليل الظاهرة اللغوية.

إنّ الهمّ المنهجي الذي كان يحمله الباحث الجزائري "مسعود بودوخة" هو إعادة الاعتبار للبحث البلاغي، معتبرا أنّ ذلك لا يمكن أن يتم إلّا بوصل علوم البلاغة الثلاث: البيان والبديع وعلم المعاني والسعي الجاد لوصل الدرس البلاغي بالعلوم الأخرى، والدعوة الصريحة لإعادة بعث المكون الحجاجي للخطاب، مادام أنّ "البلاغة العربية ظلّ يتجاذبها جانبان أساسيان هما جانب التواصل والإبلاغ، وجانب الفن والجمال، الدلالة والإبلاغ بما يعنيانه من دقة ومباشرة ووضوح وإقناع، والفن والجمال بما يفرضانه من غموض وتخييل وإمتاع"[1] وفي هذا دعوة لبعث البعد التواصلي للبلاغة .

وأمّا على المستوى التطبيقي، فيمكن الوقوف على العديد من البلاغيين الذين اهتموا بتطبيق المفاهيم الحجاجية على مختلف الأجناس الخطابية التي نذكر منها:

1- الرسائل:

يعتبر "بشير دردار" من الباحثين الذين اهتموا بهذا النوع الخطابي في بحث أكاديميّ عنوانه: "الكتابة ورهانات الإقناع مقاربة تداولية لرسائل الجاحظ من خلال مفهوم التعدد" وهي أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي تم مناقشتها بجامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان سنة 2013. حاولت هذه الدراسة دراسة الخطاب الرسائلي وفق مقاربة بلاغية حجاجية واستثمرت مفاهيم التداولية المندمجة وخاصة مفهوم التعدد الصوتي الذي عرفه ديكر بقوله عندما ينتج المتكلم ملفوظا مل –نعني بذلك قطعة من الخطاب تعادل جملة لغوية– فإنه يضعنا أمام عدة متلفظين وهم ينجزون أفعالا كلامية، وعندئذ يمكن للمتكلم اتخاذ أحد الموقفين التاليين:

[1]– مسعود بودوخة، البلاغة العربية بين الإقناع والإمتاع، ص ص126-127.

- أن يتماهى معهم (المتلفظين)، فيتبنى أفعالهم الكلامية-أو يباينهم، فيظهرهم بمظهر أشخاص آخرين مختلفين عنه، سواء حد هوياتهم أو لم يحددها" [1].

اهتم "بشير دردار" بحجاجية خطاب الرسائل عند الجاحظ، واعتمد في دراسته على مفاهيم التداولية ومقولات النظرية الحجاجية، فبعد عرضه هذه المبادئ المرتبطة بالخطاب الإقناعي كان يحاول تطبيقها على رسائل الجاحظ ، ففي هذه المدونة مثلا "يستعين الجاحظ بروابط مثل: لكن، لما، لكن إلخ وعوامل حجاجية مثل قلّما، إلا، إنما وغيرها"[2] وكلها مؤشرات لغوية داخلية تحمل وظيفة حجاجية، ويتحقق ذلك من خلال تأثيرها في المتلقي بتوجيهها الملفوظات نحو نتيجة معينة.

استطاع الباحث "بشير دردار"في هذه الأطروحة إظهار المكون الحجاجي لنصوص رسائل الجاحظ من خلال التركيز على الواسمات الأصواتية وظاهرة الحوارية، وتجدر الإشارة أنّ الاهتمام بالبلاغة الجديدة عند "بشير درار" يعود لاقتناعه أنه "قد لا يوجد، في النظريات الفلسفية واللغوية واللغوية، نظرية محفزة على التفاعل مع الثقافة الغربية، مثل نظرية البلاغة الجديدة، ونبرر نعت هذا التحفيز، الذي ألصقناه بهذه النظرية، بمزايا تنفرد بها، لا نجدها في غيرها من النظريات، فهي نظرية جادة في محاورة التراث بصورة يجتمع فيها الاعتراف بهذا التراث وتثمينه"[3] ويعني ذلك أنّ بلاغة الحجاج تفيد الباحث في قراءته للخطاب الأدبيّ التراثيّ، فهي تمده بمفاهيم وأدوات إجرائية مهمة تعين على ضبط مقصدية النصوص.

[1]-Ducot .O et Anscombre J-C, 1983, L'argumentation dans la langue, pierre Mardaga, éditeur, collection phylosophie et langage, Bruxelles, p175.

[2]- بشير دردار، الكتابة ورهانات الإقناع مقاربة تداولية لرسائل الجاحظ من خلال مفهوم التعدد، أطروحة دكتوراه، إشراف جيلالي بن يشو، جامعة تلمسان، 2012- 2013، ص168.

[3]-بشير درار، استلهام التراث البلاغي الغربي في التأصيل المعرفي لنظرية البلاغة الجديدة، مجلة التعليمية، ص 110.

2- الشعر العربي:

قرئ الشعر العربيّ في البحث البلاغيّ المعاصر في الجزائر وفق أفق حجاجيّ، وتمّ التركيز في ذلك على رصد الآليات الحجاجية التي يتوسّل بها الشاعر للتأثير في المتلقيّ، ولم تقتصر هذه الدراسات على الشعر العربيّ القديم، بل امتدت لتشمل الشعر الحديث والمعاصر، ويمكن التمثيل على ذلك بالدراسة الجادة التي قام بها الباحث "عبد الله بوقصة"، والموسومة بـ "استراتيجيات الخطاب الإقناعيّ في إلياذة الجزائر مقاربة تداولية" وهي أطروحة دكتوراه قدمت في جامعة سيدي بلعباس سنة 2012، والتي استنتج من خلالها الباحث أن "للحجاج بوصفه إستراتيجية خطابية حضورا في مدونة إلياذة الجزائر، يتمّ تحققه بمراعاة السياق والمقام، انطلاقا من رصد الواقع،فيجند الشاعر لذلك كافة الآليات التي تجعله ينطلق من الصريح إلى الضمني"[1] ويعني ذلك أن الشاعر يستعين أيضا بالأقاويل الحجاجية للتأثير على المتلقي.

حاول الباحث "عبد الله بوقصة" رصد تقنيات الحجاج الموظفة في المدوّنة المدروسة والتي حصرها في:

- التقنيات اللغوية.
- السلم الحجاجي.
- الروابط والعوامل الحجاجية.
- حجاجية الاستعارة.

ويتضح من خلال ذلك البناء الحجاجي للخطاب الشعري في "إلياذة الجزائر"، فمفدي زكريا استعان في بناء خطابه التخييلي بإستراتيجية تداولية إقناعية، سعى من خلالها التأثير في المتلقي ودفعه لقبول القضايا المطروحة.

[1]- عبد الله بوقصة، إستراتيجيات الخطاب الإقناعي في إلياذة الجزائر مقاربة تداولية، إشراف حبيب مونسي، أطروحة دكتوراه، 2012 -2013، ص280.

3- الخطاب الدينيّ:

ليس المقصود بالخطاب الدينيّ الخطاب القرآنيّ أو الخطاب النبويّ فقط "بل المقصود أيضا كلّ الخطابات الدينية البشرية؛ سواء أأنتجها أصحابها في معرض تفسير القرآن وتأويله أم في معرض الاجتهاد في إصدار الأحكام الدينية، أم في معرض توصيل مبادئ الدين وتعاليمه واستلهامها" [1]فكل خطاب مرتبط بهذه المواضيع هو خطاب دينيّ .

يعتبر "هناء عبد الرحمن حلاسة "من الباحثين الجزائريين الذي انشغلوا بهذا النوع من الخطاب من خلال دراسة موسومة بـ: "بلاغة الحجة في خطاب الخلفاء الراشدين دراسة وصفية لنماذج خطابية".سعى المؤلف في هذه الدراسة لتتبع الأسس الحجاجية التي ينبني عليها الجنس الخطابيّ منطلقا من أنّ "الخطابة بمعالمها النظرية تجسد مفهوما وظيفيا حديثا، يقتضيه مصطلح الخطاب من جهة ويحدده نمط خاص من جهة أخرى، وذلك أنها فن أدبي نثري يوظف الحجة سواء أكانت منطقية أم خطابية خلال مرحلة محددة من بنائه، إضافة إلى استغلاله الأساليب اللغوية ذات الأبعاد البلاغية أثناء عملية التواصل بهدف التأثير، فالإقناع"[2] وعليه بالجنس الخطابيّ هو خطاب حجاجيّ بامتياز .

ويمكن أيضا التمثيل على هذا النوع من الدراسات بما أنجزه الدكتور: "أمحمد عرابي" في بحث أكاديميّ عنوانه: "الحجج المؤسسة لبنية الواقع (المبنينة للواقع) في الخطاب القرآنيّ قصة سيدنا موسى عليه السلام أنموذجا" والصادر سنة 2016 في مجلة رفوف، مخبر المخطوطات الجزائرية في إفريقيا جامعة أدرار، وتوصل الباحث من خلال هذه الدراسة إلى أنّ "بنية الخطاب القرآني الحجاجي على وجه العموم والبنية الحجاجية في قصة موسى – عليه السلام – على وجه الخصوص كلها حجاج أراد

[1]- محمد مشبال، بلاغة الخطاب الديني، ص 08.

[2]- هناء حلاسة، بلاغة الحجة في خطاب الخلفاء الراشدين دراسة وصفية لنماذج خطابية، مركز الكتاب الأكاديمي، الأردن،ط1، 2016، ص 192.

الله تبارك وتعالى من خلالها إرشاد النفوس، وهدي القلوب، وحملها على حقائق الإيمان والتوحيد"[1] ويعني هذا أنّ القصص القرآنيّ يزيد في ترسيخ قيم الإسلام في نفوس المتلقين.

ونمثل أيضا عن بلاغة الحجاج في الخطاب الدينيّ في البحث الجزائري بالدراسات الحجاجية التي اهتمت ببلاغة الإقناع في خطاب الوعظ، ونذكر منها البحث الموسوم بـ "بلاغة خطاب الوعظ في الجزائر مقاربة حجاجية لخطب أبي يعلى الزواوي (1866-1956م)"للأكاديمي الجزائري: عثماني عمار. اهتمّ هذا الباحث في تحليله الحجاجي لخطاب الوعظ بأنواع الحجج الموظفة، والتي ذكر منها:

- **الحجاج بالشاهد:** اعتبر الباحث أنّ "الشواهد من الحجج الداعمة في تشكل الخطابات بمختلف أنواعها خاصة الخطاب الديني المتجسد في الوعظ"[2] فللشاهد إذن وظيفة إقناعية.
- **الحجاج بالترتيب:** وهو حجاج مرتبط بترتيب هذا النوع من الخطابات أي بالافتتاح، المتن والاختتام.
- **الحجاج باللغة:** وتمّ التركيز فيه على الأسلوب والصور البلاغية.

والحق أنّ خطاب الوعظ في ثقافتنا العربية الإسلامية هو خطاب حجاجي بامتياز "خطاب لا يتأسس على العلمية الدقيقة في بناء أنساقه، أو تفاعل معارفه خصوصا على المستوى العقلي البرهانيّ ولكنّه يعرف كيف يجد طريقه إلى فئة عريضة من المتلقين ندعوهم بجمهور العامة"[3] ويظهر ذلك أن خطاب الوعظ هو خطاب إقناعي.

---

[1]- أمحمد عرابي، الحجج المؤسسة لبنية الواقع (المبنية للواقع) في الخطاب القرآني قصة سيدنا موسى عليه السلام أنموذجا، مجلة رفوف، جامعة أدرار، الجزائر، العدد التاسع، مارس 2016، ص 64.

[2]- عثماني عمار، بلاغة خطاب الوعظ في الجزائر: مقاربة حجاجية لخطب أبي يعلى الزواوي، (1866-1956)، مجلة الخطاب والتواصل، العدد السادس، مارس 2019، ص178.

[3]- سعيد جبار، بلاغة الإقناع في خطاب الوعظ، ضمن المؤلف الجماعي بلاغة الخطاب الديني، إعداد وتنسيق محمد مشبال، منشورات الاختلاف، ط1، 2015، ص 239.

4- الخطاب البلاغيّ:

اهتمّ البحث البلاغيّ المعاصر في الجزائر بحضور الإقناع في التراث العربيّ البلاغيّ، وتمّ تسليط الضوء على حضور البعد الحجاجيّ التداوليّ في فكر البلاغيين القدامى كالجاحظ والجرجانيّ وركّزت الدراسات على رصد آليات وتقنيات الإستراتيجية الحجاجية في مختلف المؤلفات البلاغيّة.

تعبر "فضيلة قوتال" من أهم الأكاديميين الجزائريين الذين اهتموا بهذا المجال، انطلقت في دراساتها من حضور المكون الحجاجيّ في معظم الأشكال الخطابية التراثية والمعاصرة، حيث "أصبح من الصعب استبعاد حضور الحجاجية من أبسط مجالات الحياة، حيث التواصل قائم على تقنيات تستهدف المتلقي بالإثارة والاستمالة والإقناع."[1] ويمكن التمثيل على ذلك بالنقاشات السياسية التلفزيونية والخطاب الإشهاري والملصقات.

أصدرت "قوتال" مجموعة من البحوث والمقالات في موضوع الحجاج، نذكر منها :

- مقال بعنوان: حجاج السلطة ، أم سلطة الحجاج ؟
- مقال آخر بعنوان: البلاغة الجديدة والأشكال الخطابية المعاصرة.
- دراسة في الحجاج موسومة بـ : حجاجية الشروح البلاغية وأبعادها التداولية: سعت "فضيلة قوتال" من خلال هذه الدراسة الأكاديمية إلى استبيان التقنيات الحجاجية الموظفة في مدونة شروح التلخيص، منطلقة من أنّ الخطاب الواصف فيها "يتميز بالرغبة في إفهام أو شرح شيء ما من خلال الانطلاق الصريح أو الضمني من إشكالية يناقشها النصّ من أجل الوصول إلى نتيجة أو إثباتها"[2] ويؤكد ذلك الطابع الحجاجي للشروح البلاغية.

[1]- فضيلة قوتال، البلاغة الجديدة والأشكال الخطابية المعاصرة، مجلة سيميائيات، العدد 04، 2013، ص 46.

[2]- فضيلة قوتال، حجاجية الشروح البلاغية وأبعادها التداولية، دار كنوز المعرفة، ط1، 2017، ص ص 19-20.

5- الخطاب السرديّ:

لم يقتصر التحليل الحجاجيّ في النقد الجزائري المعاصر على الأجناس الخطابية المعروفة بوظيفتها الحجاجية فقط، بل اتسع التحليل ليشمل النصوص التي كانت تعرف بطابعها التخييليّ فقط كالخطاب السرديّ مثلا، ومن الأكاديميين الجزائريين التي اهتموا بهذا المجال نذكر:

- الباحثة "هاجر مدقن": التي اهتمت بحجاجية السرد التراثي من خلال مدونة "كليلة ودمنة" وتجلى انشغالها العلميّ بهذا المجال من خلال إنجازها للأعمال التالية:
  - حجاج التمثيل في الآداب السلطانية، مقاربة تداولية.
  - التمثيل الحجاجيّ في كتاب كليلة ودمنة لابن المقفع – مقاربة تداولية 2012.
  - معرفية التقابل في التعريف والتعريف المغالطي في باب الفحص في أمر دمنة.

وتظهر هذه الدراسات وعيا منهجيا بحضور المكون التداولي في الحكيّ التراثيّ.

- الباحث "محمود طلحة": ظهر اهتمامه بالحجاج التداوليّ المميز للنصوص السردية من خلال دراسة مميزة موسومة بـ "تداولية الخطاب السردي دراسة تحليلية في وحي القلم للرافعي" والتي نشرت سنة 2012 عن دار النشر: عالم الكتب الحديث – الأردن.

استنتج " محمود طلحة" في هذه الدراسة أنّ الرافعي اتبع الإستراتيجية الحجاجية في أغلب نصوص هذه المدونة أي أنّ هذه النصوص "تؤدي غاية حجاجية يمكن التعرف عليها بمباشرة التأويل، أمّا التحاورات والتي تكون خادمة للغاية الحجاجية للنصّ، فإنّ صناعة الحجة فيها تمرّ ببعض المراحل، حاول التداوليون ومحللو الخطاب الكشف عن بعضها"[1] واعتمد هذا التحليل على مقولات البلاغة الجديدة.

[1]-محمود طلحة، تداولية الخطاب السردي دراسة تحليلية في وحي القلم للرافعي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2012، ص156.

6- الخطاب الإشهاري:

يعتبر الإشهار من أهم الأنماط الخطابية التواصلية التي تمّ مقاربتها وفق مقولات النظرية الحجاجية، ولقد ارتكزت هذه القراءات على مراعاة طبيعة الأشكال الخطابية التي تندرج ضمن هذا النوع من لخطاب فالخطاب الإشهاري التلفزيوني مثلا تشكله العناصر التالية: الصوت، الصورة الحركة والكتابة.

ويمكن تمثيل هذه المكونات بالخطاطة التالية :[1]

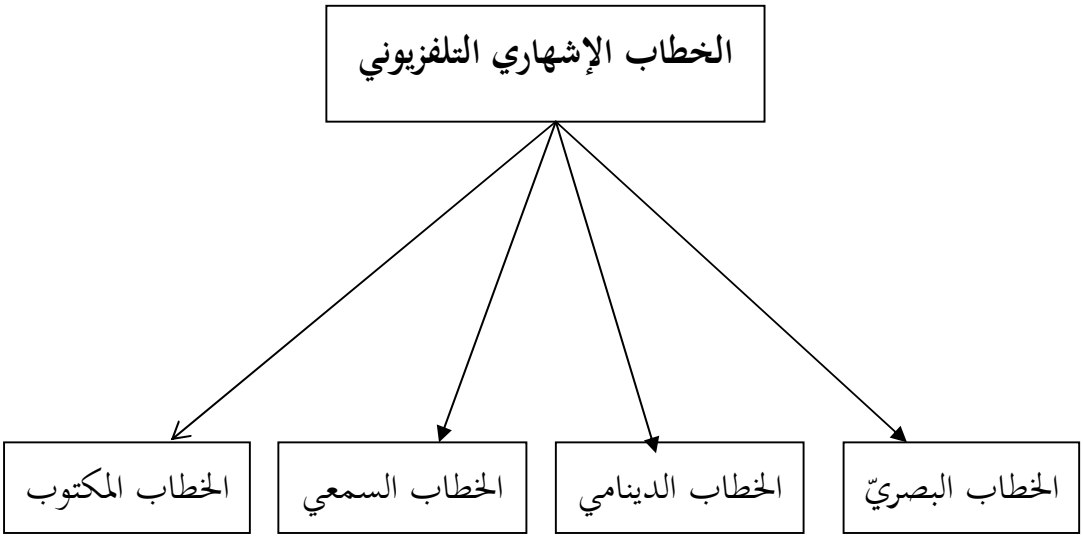

اهتمّ الباحثون الجزائريون ببنية الحجاج في الخطاب الإشهاري، وكان غاية بحثهم في ذلك الوقوف على تقنيات الإقناع التي يتم الاستعانة بها للتأثير على متلقي هذا النوع من الإرساليات التواصلية، ويمكن التمثيل على هذه الدراسات الأكاديمية بدراسة الباحث الجزائري "بلقاسم دفة" والموسومة بـ "إستراتيجية الخطاب الإشهاري دراسة تداولية في الإرسالية الاشهارية العربية" والتي صدرت سنة 2014 عن مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة، الجزائر.

[1]- فضيلة قوتال، البلاغة الجديدة والأشكال الخطابية المعاصرة، ص59.

توصّل فيها الباحث أنّ الإستراتيجية الإقناعية ترتكز على المستويين التاليين:

- **المستوى اللساني:** وأداته الرئيسية هي اللغة.
- **المستوى الأيقوني:** ويعتمد خاصة على الصورة باعتبارها علامة بصرية تساهم في تحقيق الإقناع فمن "أهم وظائف التوصيل التي تحقق الصورة أنها تخرج القيم المجردة من حيز الكمون إلى حيز التجلي فتصير واقعا محسوسا في ضوء ما ينتج من مشاهد إشهارية توازي الخطاب اللسانيّ " [1] ولهذا المستوى دور في بناء الحجاجي للخطاب الإشهاري .

ويمكن أيضا التمثيل على التحليل الحجاجيّ لهذا النوع من الخطاب بما قامت به الباحثة الجزائرية "فضيلة قوتال" في مقال علمي نشرته في مجلة سيميائيات، موسوم بـ: "البلاغة الجديدة والأشكال الخطابية المعاصرة" والتي اختارت فيه الخطاب الإشهاري نموذجا لاختبار نجاعة التحليل الحجاجي واختبار مقولاته في تحليل الخطاب الإقناعيّ.

اعتمدت فضيلة قوتال في عملها التطبيقي على تقسيم الخطاب الإشهاري إلى ثلاثة أنواع يمكن تمثيلها بالخطاطة التالية :

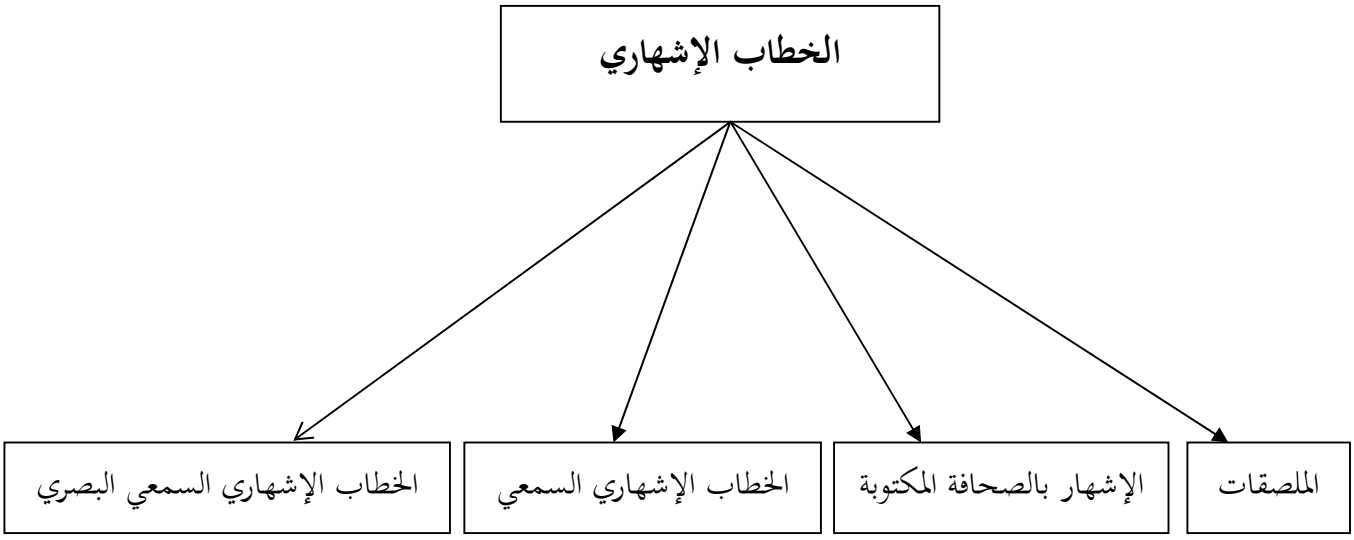

[1] –بلقاسم دفة، استراتيجية الخطاب الاشهاري دراسة تداولية في الإرسالية الاشهارية العربية، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد: 10، 2014، ص 513.

7- الخطاب الفلسفي:

يعتبر "عمارة ناصر" من أهم الباحثين في الجزائر الذي سعوا لاستكشاف الخاصية البلاغية الحجاجية للنص الفلسفيّ، من خلال محاولته ربط النسق الفلسفيّ بالوظيفة الحجاجية للخطاب لاقتناعه أنّ بلاغة الإقناع تساهم في فهم مقصدية النص وفعاليته، ولذلك لا يمكن اعتبار الاشتغال البلاغي على الخطاب الفلسفي عقيما، فالبلاغة حاضرة في كل أشكال التواصل الإنساني وعليه "يمكن إلحاق النظام الإنسانيّ ككل بالحقل البلاغيّ، بما أنّ ما يسمى باللغة العادية، ليس سوى اشتغال للغات الطبيعية في أوضاع تخاطبية عادية، وهكذا تغدو البلاغة فنا للخطاب الإنسانيّ الأكثر إنسانية، لا بل إنّها قد تطالب بتفوقها على الفلسفة ككل"[1]ويظهر ذلك علاقة الفلسفة بالبلاغة.

انخرط عمارة ناصر في مشروعه الحجاجيّ في البلاغة المتكاملة "تلك البلاغة التي تستثمر منطق اللغة المتكامل وتستفيد من جميع المستويات والمحاور التي تتقاطع في نسق اللغة"[2]فالمنحى الحجاجيّ مرتبط بالمستوى النحوي والمستوى الدلالي والمستوى التداولي، ومن هذا المنظور تمنح المستويات الثلاث السابقة الخطاب الحجاجي هويته.

إنّ احتفاء عمارة ناصر بالإستراتيجية الإقناعية دفعته للقول: "إنّ البلاغة الحجاجية هي تاريخ الخطاب، إذ كلّ الخطابات التي أسست نفسها كخطابات فاعلية ونوعية هي تلك التي أقنعت والإنسان كما قلنا سابقا قناعة، ففي كل فكرة يقتنع بها الإنسان يوجد عمل يترتب عنها والتزام عملي يقوم به، ويوجد بالتالي نشاط حجاجيّ يتحرك في الفكرة"[3] فالحجاج إذن حاضر في كل الخطابات التي تتوخى التأثير في المتلقيّ.

---

[1]- بول ريكور، البلاغة والشعرية والهرمينوطيقا، ترجمة: مصطفى النحال، مجلة اوان، البحرين، العدد9، 2005، ص 10.

[2]- عمارة ناصر،الفلسفة والبلاغة مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي، منشورات الاختلاف، ط1، 2009، ص107.

[3]- المرجع نفسه، ص 122.

أقرّ عمارة ناصر حجاجية الخطاب الفلسفيّ، وأرجع حضور هذه الصفة للأسباب التالية:

- الخطاب الفلسفي هو خطاب منجز باللغة الطبيعية.
- الفلسفة قائمة علاقة التساؤل.
- اعتماد الفلسفة على المناظرة الخطابية التي تقوم على مكون الإقناع .

وفي هذا الصدد، أكدّ عمارة ناصر أن "التحولات التي مرّ بها الخطاب الفلسفي أسهمت في تطوير الخصائص الحجاجية بتفعيل الإشكاليات وتكوين الأمثلة المناسبة للطروحات التي تعرض كحلول لهذه الإشكاليات، فالحجاجية الفلسفية تتطور مع بناء الخطاب وتتزود من الأمثلة والأمثلة المضادة"[1] ويظهر جليّا أنّ الفلسفة هي مجال خصب للأطروحات والآراء المتباينة، وهذا هو الوضع المفضل للخطاب الحجاجيّ.

اهتم عمارة ناصر بالوظيفة الحجاجية لفلسفة التأويل المعاصرة منطلقا من أنّ عملية التأويل مرتبطة باللغة، فهي التي تتحدث "وهي التي تفتح المسافات أو تلغيها، ومن ثمة فإنّ فعل الإظهار بالنسبة للذات والفهم يتدرج من الضعف إلى القوة أو من القوة إلى الضعف داخل السلم الحجاجي"[2] وهذا يؤكد على حجاجية التأويل في الخطاب الفلسفيّ.

إنّ التواشج الحاصل بين الحجاجية والتأويلية عند "عمارة ناصر" يرتكز على ما دعت إليه البلاغة الجديدة عند برلمان في الربط بين النشاط الحجاجي والتأويل، فالقارئ مجبر في مسار قراءته للخطاب وفهمه على الاستعانة بمقولات الحجاج، وفي هذا النشاط الفكري استدراج للمتلقي للقبول بالقضايا المطروحة .

[1]- عمارة ناصر، الفلسفة والبلاغة مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي، ص 138.

[2]- عمارة ناصر، البلاغة والهرمينوطيقا، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، المغرب، العدد 04، ربيع 2014، ص 111.

إن ما يميز مشروع "عمارة ناصر" هو دعوته الصريحة لمعالجة الخطاب الفلسفيّ معالجة حجاجية، واعتبر أنّ مستويات الحجاجية الفلسفية قائمة على مستويات ثلاث، يمكن تمثلها في الخطاطة التالية:

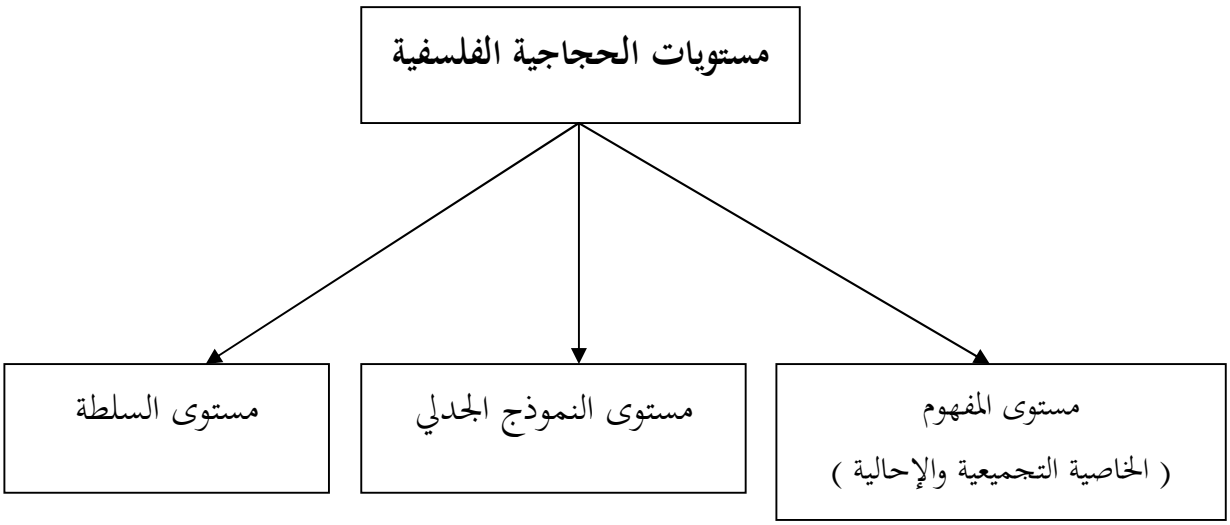

إنّ الخطاب الفلسفيّ عند عمارة الناصر "لا يتطور من خلال برهانية ضيقة، بل من خلال حجاجية تعتمد الاستعارات والتمثلات وبلاغة اللغة ومنطقها في مشروع تأويل العالم ومعرفة الذات وتحليل الواقع الاجتماعي بأبعاده المتداخلة"[1] وينطلق هذا التصور من العلاقة القائمة بين الفلسفة والحجاج، فلغة الخطاب الفلسفي تحمل وظيفة حجاجية باعتبارها تطرح تصورا فكريا تدفع المتلقي للقبول به.

[1]- عمارة الناصر، الهرمنوطيقا والحجاج، منشورات دار الأمان، الرباط، ط1، 2014، ص 143.

ثالثا– حجاجية الخطاب التراثي في النقد الجزائريّ المعاصر: حجاجية الشروح أنموذجا:

تأثّر البلاغيون الجزائريون بالمنجز الغربيّ في مجال الحجاج، ولم يظهر ذلك على مستوى التنظير فقط بل امتدّ ليشمل مستوى الممارسة والتطبيق، ويندرج ضمن هذا التوجه الجديد تلك المحاولات الجادّة التي سعت لإعادة قراءة التراث العربيّ القديم وفق أفق حجاجيّ معاصر،ولم تقتصر هذه الدراسات على النصوص الأدبية فقط، بل اهتمت أيضا بالمنجز النقديّ والبلاغيّ.

كانت الباحثة "فضيلة قوتال" من الذين تبنّوا هذه المقاربة في مدارستها للشروح البلاغية من خلال متن شروح التلخيص، وكان همّها البحثيّ في ذلك الوقوف على حجاجية النص البلاغيّ الشارح وأبعاده التأثيرية ، فمادام هذا النوع من النصوص يسعى لإفهام المتلقيّ ودفعه للقبول بالقضية المطروحة فسيوظّف حتما الآليات الحجاجية التي تتوخى الإقناع.

اتسمّ هذا التصوّر باتساع الأفق المنهجيّ ورحابته في نظرته للإقناع، انطلاقا من أنّه يمكن الحكم على كلام غايته استهداف المتلقي والتأثير فيه بأنه خطاب حجاجيّ "إلاّ أن هذا الاستهداف لا يعدوأن يكون نية قارة في ذهن المتكلم، لا تتحقق إلّا باستعمال استراتيجيات تلفظية هي ما نسميه حجاجا"[1] فكل تقنيات وآليات الإقناع تندرج ضمن النشاط الحجاجيّ.

سعّت "فضيلة قوتال" في بحثها الموسوم بـ: "حجاجية الشروح البلاغية وأبعادها التداولية" الصادر سنة 2017 عن دار كنوز المعرفة إلى الوقوف على حجاجية لغة متن شروح التلخيص منطلقة في ذلك من أنّ "اللغة أداة من أقوى الأدوات التي يستخدمها المتكلم لتبليغ مقاصده إلى المخاطب وللتأثير فيه بحسب هذه المقاصد."[2] متأثرة بما تبناه الأكاديمي المغربي طه عبد الرحمن في مقاربته للخطاب الحجاجيّ.

[1]– فضيلة قوتال، حجاجية الشروح البلاغية وأبعادها التداولية، ص37.

[2]– طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، د.ت، ص245.

أثبتت "قوتال" حجاجية النصوص البلاغية الشارحة من خلال اعتمادها على ما يلي:

- علاقة البلاغة بالمحتمل، فهي تظلّ "عالما من الاحتمالات والأذواق الكلامية التي تتملص عن ضبط المعايير وتقنياتها"[1] وتبعا لذلك يصير كل خطاب يحتمل الاختلاف وتعدد الرؤى خطابا حجاجيّا.
- ارتباط الغرض الحجاجيّ العام بالإطار النوعيّ للنصّ، فشروح التلخيص تتميز "بالرغبة في إفهام أو شرح شيء ما من خلال الانطلاق الصريح أو الضمني من إشكالية يناقشها النصّ من أجل الوصول إلى نتيجة أو إثباتها"[2] ومن خلال هذه المساءلة يتضح الطابع الحجاجيّ للنص الشارح.
- لا تخرج لغة الشروح عن دائرة الفعل التواصليّ الذي "يستمد معناه من كونه يعرض على المتلقي صنفا محددا من النتائج. وكلّ كلام يمارس الإشهار في العمق، لا من حيث أن قيمته الداخلية تتماهى مع ما يطالب به كنتيجة"[3] وهذا يعني أنّ لغة الشروح في حد ذاتها تمارس فعل الإقناع على المتلقيّ.
- كتب الشروح ذات طابع تعليمي، فهي "تسعى إلى استهداف قارئ متخصص، بغرض تبسيط المادة العلمية له."[4] ولتحقيق هذا التوجه المنهجي، يعتمد البلاغيّ على اختيار وانتقاء المعطيات للتأثير في المتلقيّ، مما يجعل القول الشارح قولا حجاجيّا، وهذا من أهم خصائص خطاب الشروح البلاغية.
- وظيفة اللغة الواصفة في النص الشارح، فهي قائمة على الشرح والاستدلال من خلال "تقديم علة قول هذا الملفوظ. والعلة هي سبب القول، وهي خارجة عنه، لأنها تكمن ضمن السياق.

[1]- فضيلة قوتال، حجاجية الشروح البلاغية وأبعادها التداولية، ص 65.

[2]- المرجع نفسه، ص ص19- 20.

[3]-Ducrot , les échelles argumentatives, ed Minuit, Paris, 1980, p.p 11-12.

[4]- فضيلة قوتال، حجاجية الشروح البلاغية وأبعادها التداولية، ص 64.

إنّها الظرف الذي دفع إلى القول وقد تكون قول الآخر، الذي دفع بالمتكلم إلى إنتاج هذا الملفوظ، لكنّه منفصل عنه يمثل حجة على الملفوظ الثاني"[1]وهذا المسار الخطابيّ هو الذي يعطي للنصّ الشارح حجاجيته.

- تحضر في لغة الشروح الملامح الخمسة للحجاج التي حصرها أوليفي روبول Olivier Reboul في:[2]
  - كونه موجها إلى مستمع.
  - يعبر عنه بلغة طبيعية.
  - مسلماته لا تعدو أن تكون احتمالية.
  - لا يفتقر تقدمه إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة.
  - ليست نتائجه ملزمة.

إنّ الشروح البلاغية عند "قوتال" هي نصوص ذات بعد تعليميّ، سعت لتبسيط علوم البلاغة وتيسير فهمها لدى المتلقيّ، وهي في كلّ ذلك تعتمد على إستراتيجية خطابية تنطلق من "مسلّمات قبلية تحكمها النسبية والاحتمال أكثر مما يحكمها المعيار والتواضع"[3] وما دام النص الشارح هو ميدان المحتمل وتغليب وجهة نظر معينة، فإن نتائجه تمتاز بالمرونة والابتعاد عن الإلزام والصرامة المنطقية.

لم تكن "فضيلة قوتال" تهدف من خلال تحليلها الحجاجيّ لإحصاء كل التقنيات الحجاجية الموظّفة في شروح التلخيص، بل كانت تسعى فقط لتقصي مواطن استعمالها ولإثبات وجودها في المدوّنة المختارة .

[1]- فضيلة قوتال، حجاجية الشروح البلاغية وأبعادها التداولية ، ص 23.

[2]-Olivier Reboul, introduction à la rhétorique, PUF,Paris, 4ème édition, 2001, p 101.

[3]- فضيلة قوتال، حجاجية الشروح البلاغية وأبعادها التداولية، ص 31.

بدا تأثر "فضيلة قوتال" ببرلمان واضحا من خلال حصرها التقنيات الحجاجية في الخطاطة التالية:

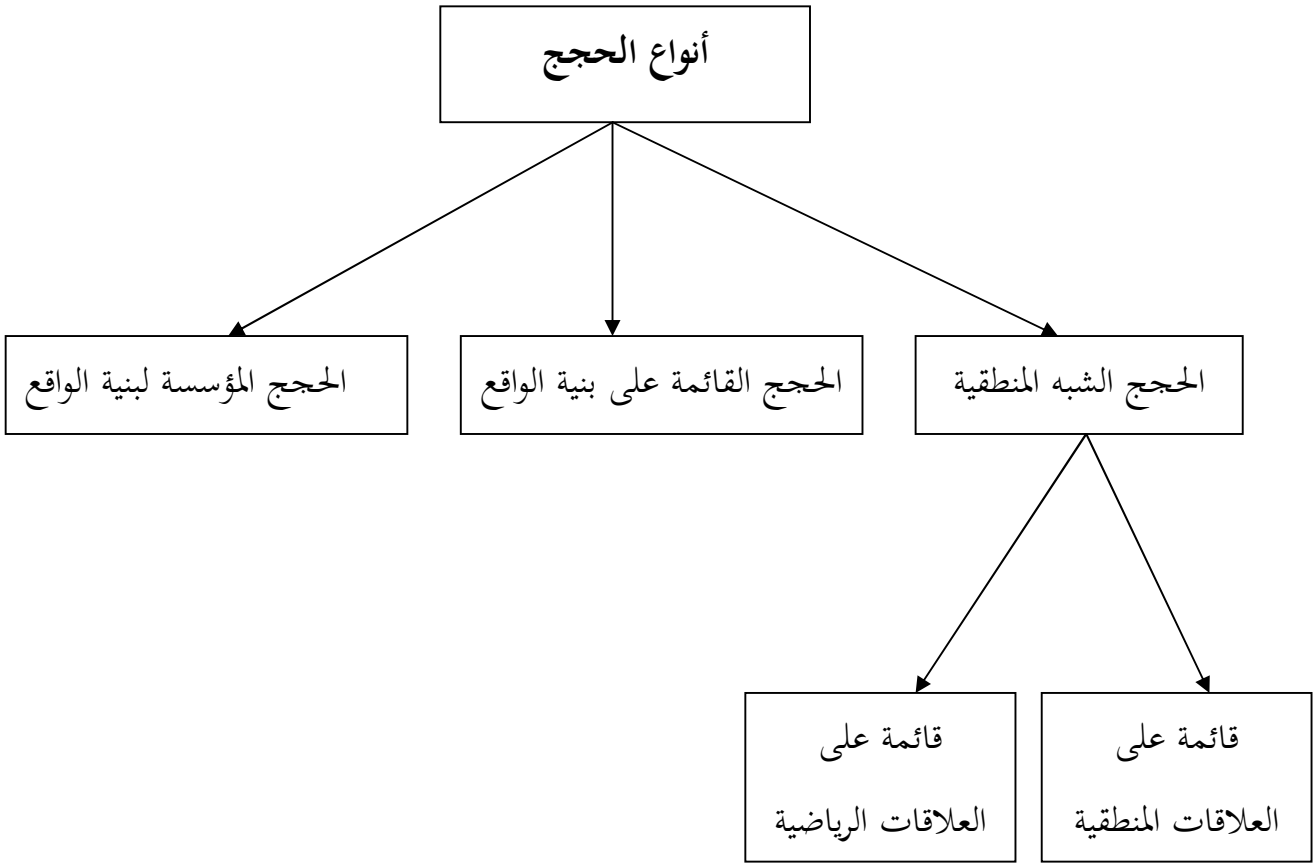

1- الحجج شبه المنطقية:

صنّفت فضيلة قوتال الحجج الواردة في خطاب الشروح البلاغية ضمن أنواع خاصة واستهلت هذا التصنيف بالحجج شبه المنطقية التي تستمد قوتها الإقناعية من مشابهتها للطرائق المنطقية، ومن قدرتها على "مفاجأة المستمع بالمظهر المنطقي الذي لم يتوقعه وفي ذلك قدر من التمويه لأن التفكير الذهني عند المتلقي يقفز من مستوى لآخر مما قد يجعله عاجزا عن كشف ما يمكن أن يعتبره خطأ منطقيا"[1] وهذا هو المكون الهام المميز للحجج شبه المنطقية، ممّا يجعلها قادرة على تحقيق التأثير لدى المتلقيّ .

[1]- فضيلة قوتال، حجاجية الشروح البلاغية وأبعادها التداولية، ص ص 44-45.

اعتبرت "قوتال" أنّ "التعريف" من أهمّ الحجج التي تندرج ضمن الحجج شبه المنطقية، ولما كانت لغة الشروح لغة واصفة، ما كانت لتخلو من التعاريف التي كانت بعض استعمالاتها حجاجية ويمكن تمثيل أنواع التعريف التي عرضتها في الخطاطة التالية:

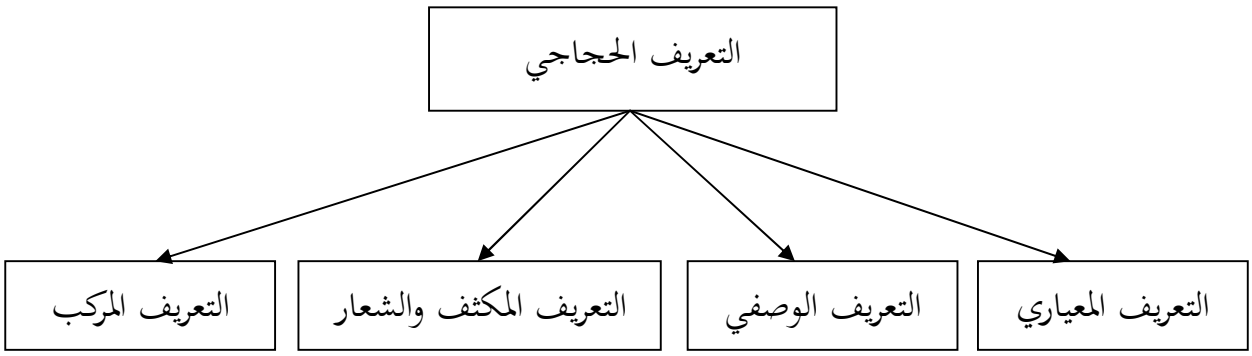

2- الحجج القائمة على بنية الواقع:

سارت "فضيلة قوتال" على منوال برلمان في تقسيمها الحجج القائمة على بنية الواقع إلى نوعين أساسين هما : الاتصال التتابعيّ والاتصال التواجديّ.

يقوم النوع الأول على العلاقات المشتركة بين الظواهر : كعلاقة الوصل السببي بالحجاج ووضعت "قوتال" شروطا للرابط الحجاجي الذي يؤسس لهده العلاقة، ويمكن تلخيصها في:[1]

- صحة الرابط السببيّ.
- سلامة الترتيب .
- البنية الواضحة الصارمة.
- الالتزام بالعبارات التي تؤسس للاستدلال السببيّ مثل: ولهذا، ومن ثم، لأن، من أجل...الخ.

[1]-ينظر، فضيلة قوتال، حجاجية الشروح البلاغية وأبعادها التداولية، ص 205.

يستند النوع الثاني: على كلمات أو مفاهيم من مستويات مختلفة، ومثلّت "قوتال" لذلك بحجة استحضار الشخصيات وأعمالهم، وأشارت أن الشروح البلاغية وظفت أعلام البلاغة المشهورين لتدافع عن أفكارها ،كقول السبكي: "... أو يقال يجوز استعمال المشترك والمجاز في الحد إذا دلّ على معناهما دليل كما ذكره الغزالي في المستصفى وغيره"[1] فلا يمكن أن نعدم العلاقة القائمة بين السلطة الاعتبارية للغزالي وقول السبكي.

3- الحجج المؤسسة لبنية الواقع :

اعتبرت "فضيلة قوتال" أنّ المحاجج يستعين بالحجج المؤسسة لبنية الواقع لتأسيس واقع يخدم موقفه الحجاجيّ، ويندرج "المثال" ضمن هذا النوع من الحجج، وتكمن قيمته في الخطاب الحجاجيّ في كونه يقدم "ما يمكن أن يكون حالة خاصة نسعى من خلالها إلى تعميم الحكم وإنشاء القاعدة أو أن يكون على العكس من ذلك، حالة عامة تساعد على إثبات تحققها في موضوع الحجاج المطروح"[2] فالمثال إذن تقنية حجاجية تساعد المتلفظ بالخطاب على تحقيق الإقناع .

مثّلت " قوتال " لهذه التقنية الحجاجية بنماذج تطبيقية من مدوّنة الشروح البلاغية، منها قول "الدسوقي": "... إنّ الإنشاء له نسبة كلامية ونسبة خارجية تارة ويتطابقان ولا يتطابقان تارة أخرى فنحو هل زيد قائم وقم النسبة الكلامية للأول طلب الفهم من المخاطب وللثاني طلب القيام منه والنسبة الخارجية لهما إن كان الطلب النفسيّ ثابتا للمتكلم في الواقع كان الخارج مطابقا للنسبة الكلامية وإن كان الطلب النفسيّ ليس ثابتا للمتكلم في الواقع كان الخارج غير مطابق"[3]فالمثال السابق تم ايراده في سياق الاحتجاج لقول محدد.

---

[1]- بهاء الدين السبكي، عروس الأفراح في شروح تلخيص المفتاح، ضمن شروح التلخيص،ج1، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، لبنان، ط1،2003، ص160.

[2]- فضيلة قوتال، حجاجية الشروح البلاغية وأبعادها التداولية، ص311.

[3]- الدسوقي، الحاشية، ضمن شروح التلخيص، ج1، ص 166.

ويمكن تمثيل ذلك بالمسار الحجاجي التالي:

المثال ← **النتيجة**

هل زيد قائم ؟ للإنشاء نسبة كلامية ونسبة خارجية تارة

قم . ويتطابقان ولا يتطابقان تارة أخرى

إنّ الاستعانة بالمثال الحجاجيّ في النصّ البلاغيّ الشارح، يمكن المتلفظ بالخطاب من الانتقال من حالة خاصة إلى حالة عامة، ويمكن أيضا أن يتيح للمحاجج "التنقل من حالة خاصة إلى أخرى عن طريق المشابهة"[1] وهذا ما أكّدت عليه "فضيلة قوتال" التي لم تكتف بعرض هذه التقنية الحجاجية فقط بل استفاضت في مناقشة آلية اشتغالها ومساهمتها في تحقيق فعل الإقناع.

ووضعت شروطا لنجاح الفعل الإقناعيّ في المثال الحجاجيّ ، نوجزها في ما يلي :

- حسن اختيار المثال.
- قدرة المثال على جلب انتباه المتلقيّ واستمالته للقبول بالنتيجة المقصودة .
- ضرورة ملاءمة المثال لموضوع الحجاج .
- فاعلية المثال في تحقيق الإقناع، فيحسن تعدد الأمثلة المقدمة عند الانتقال من الخاص إلى العام "بينما لا يكون الأمر كذلك عندما يهدف الحجاج إلى الانتقال من العام إلى الخاص لتأكيد أو إثبات حكم ما"[2] فسياق التلفظ هو الذي يعطي للمثال فاعليته .

حاولت "قوتال" في تحليلها للحجج المؤسسة لبنية الواقع التفريق بين المثال والشاهد illustration مستعينة بطرح برلمان، فإذا كان المثال يسعى لتأسيس قاعدة ما، فإن الشاهد بخلاف

[1] – فضيلة قوتال، حجاجية الشروح البلاغية وأبعادها التداولية، ص 315.

[2] – المرجع نفسه، ص 321.

ذلك يسعى إلى "تقوية الاستمالة إلى قاعدة معروفة ومقبولة بإنتاج حالات خاصة تنير الملفوظ العام."[1]وهذا هو أساس الإستراتيجية الإقناعية لتقنية الشاهد.

اعتبرت "قوتال" أنّ الشاهد البلاغيّ يرد غالبا في الشروح البلاغية للاحتجاج على جواز استعمال لغويّ محدد أو تفنيده، ومثّلت لذلك بقول الدسوقي: "... والحاصل أن مجرد الجمع بين الحاء والهاء وإن كان فيه ثقل إلاّ أنّه لا يؤدي الإخلال بالفصاحة كيف وقد وقع في القرآن نحو فسبحه والقول باشتمال القرآن على كلم غير فصيح مما لا يتجاوى عليه مؤمن بل إذا تكررت الكلمة التي اجتمعا فيها زاد الثقل فيخرج الكلام بذلك من الفصاحة " [2].

لم تهمل "فضيلة قوتال" الطابع الحجاجي للتشبيه التمثيلي الذي يرد في الخطاب الواصف ففائدته تعود إلى كون "مواضيعه كلها مفاهيم مجردة يصعب فهمها، فيصعب شرحها وتوضيحها خاصة أنّها تتعالق فيما بينها (كاللفظ والمعنى مثلا)، ولا تنفصل إلاّ في طرح المنظِّر المنهجي الذي يحاول رسم استقلالية لها لأجل تعريفها وتوضيح كيفية اشتغالها. فيعمد إلى محسوسات عينية أو معاني يومية يمثل بها العلاقات التي تجمع عناصر اللغة بوصفها بنية"[3] وتبعا لذلك ينصهر التشبيه مع مكونات الحجاج الأخرى ليؤدي وظيفة التأثير في المتلقي بدفعه لقبول الآراء المطروحة .

صفوة القول، رغم السعي الجاد لفضيلة قوتال للوقوف على حجاجية الشروح البلاغية وأبعادها التداولية إلاّ أنّها اكتفت فقط بتصنيف حجج المدونة المدروسة ضمن الأنواع الثلاثة التي وضعها برلمان الحجج شبه المنطقية ، الحجج القائمة على بنية الواقع ، والحجج المؤسسة لبنية الواقع.

أكّدت "فضيلة قوتال " أنّ اعتمادها الأساس على "مصنف الحجاج" لا يعني التطبيق الحرفيّ لكلّ التقنيات الحجاجية التي صنّفها برلمان، إذ استبعدت بعض التقنيات التي لا تتوافق مع طبيعة

[1]–Perelman, Tyteca, traité de l'argumentation, p 484.

[2]– الدسوقي، الحاشية، ضمن شروح التلخيص، ج 01، ص101.

[3]– فضيلة قوتال، حجاجية الشروح البلاغية وأبعادها التداولية،ص389.

المدونة المدروسة، خاصة "الحجج الملائمة للمشافهة الكلامية، أكثر منها للخطابات المكتوبة، حيث قام الشق الإجرائي من البحث على عملية انتقاء" [1]فلكل خطاب حججه المناسبة .

هذا الخيار المنهجيّ أقصى الاهتمام بوظيفية الحجج وتأثيرها على أذهان المتلقين، ولم تكن "فضيلة قوتال" غافلة عن أهمية هذا البعد العملي في تحليل الإستراتيجية الإقناعية المميزة لخطاب الشروح البلاغية فقد سبق وصرحت مند بداية عملها التطبيقيّ بسعيها لتصنيف الحجج فقط دون البحث في تأثيرها العمليّ على المتلقي.

ويمكن تبرير هدا الخيار بـ:

- شساعة متن شروح التلخيص .
- اكتفاء الدراسة بالكشف والاستطلاع فقط .
- اقتصار البحث على تطبيق التقنيات الحجاجية التي نظر لها كل من برلمان وتيتيكا في كتابيهما: مصنف الحجاج .
- اعتبار أن تصنيف الحجج يسبق كل محاولة جادة لتحليل فعلها الإقناعيّ على المخاطب.

وتجدر الإشارة إلى أنّ تركيز فضيلة قوتال على استبيان مواطن استعمال التقنيات الحجاجية في لغة أصحاب الشروح لم يمنعها من الإشارة في مواضع كثيرة إلى الأثر الذي تحدثه لدى المتلقي.

لقد استطاعت "فضيلة قوتال" في مقارتها لمدونة الشروح البلاغية وفق نظرية الحجاج عند برلمان أن تسلط الضوء على حجاجية اللغة الواصفة لهذا النوع من الخطابات التعليمية، ورغم النتائج الإيجابية لهذا النوع من البحوث، إلاّ أنها تظلّ محتاجة إلى دراسات أخرى تكمّلها ما دام أنّ هذه النظرية الرحبة لا تزال في طور التطور.

[1]- فضيلة قوتال، حجاجية الشروح البلاغية وأبعادها التداولية، ص ص11- 12.

عرضت قوتال التقنيات الحجاجية التي اعتمدّ عليها برلمان في تحليله لمكونات الخطاب الحجاجي، وسعت في كل مرة لمناقشة آليات اشتغال هذه التقنيات وأثرها في تحقيق الإقناع، كما أشارت لإشكالية ترجمة المصطلحات التي ارتبطت بهذه البلاغة الجديدة، فذكرت مثلا مصطلح "l'illustration" الذي تمّ مقابلتها في لغتنا العربية بالكلمات التالية: البينة، التبيين، والاستشهاد ولم تكتف "قوتال" بعرض هذا الاختلاف فقط، بل صرّحت بموقفها من ذلك قائلة: "وأنا في ذلك أميل إلى استعمال ترجمته بالاستشهاد أو الشاهد، والتبيين هو وظيفة من وظائفه"[1]ويؤكد هذا الاختيار المنهجيّ على اهتمام الباحثة بضبط المصطلح الحجاجيّ .

ويمثل هذا التوجه حرصا عند الباحثة "قوتال" على توحيد المصطلح باعتبار "الترجمات المختلفة للمصطلح اللساني عائقا ابستمولوجيا أمام تأسيس المفهوم الموحد بين اللسانيين العرب والمؤسسات الجامعية. فنجد المفهوم نفسه موزعا مشرقا ومغربا بطرق مختلفة لا تتصل بمصادر المصطلح في أصله الغربي وهذا ناتج أيضا عن تعدد مشارب الترجمة من لغات مختلفة، تضاف إليه المصطلحات الوافدة من التراث"[2] وأمام هذه الفوضى في اختيار المصطلح المناسب، كان لا بدّ من طرح هذه المعضلة المنهجية و اقتراح الحلول اللازمة.

ومن بين المصطلحات الحجاجية التي لاقت اهتماما عند "قوتال" مصطلح "حجاج السلطة " الذي خصّصت له مقالا علميا وسمته بـ: "حجاج السلطة، أم سلطة الحجاج" واعتبرت فيه أنّ أشهر حجج السلطة يكون مبنيا على اتفاق الكل عليها، وقسّمت هذا النوع من الحجاج حسب الاعتبارات التالية:[3]

[1]- فضيلة قوتال، حجاجية الشروح البلاغية وأبعادها التداولية، ص 348.

[2]- خليفة الميساوي، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، منشورات الاختلاف، ط1، 2013، ص ص 80-81.

[3]- فضيلة قوتال، حجاج السلطة، أم سلطة الحجاج؟، مجلة فصل الخطاب، الجزائر، العدد01، 2014، المجلد 03، ص ص32-33

- **المرجعية:** وتمثل حجاج السلطة السالفة الذكر.

- **المقول:** ويمثل السلطة اللغوية التي يمارسها الخطاب الحجاجي .

- **المحمول:** ويقوم على سلطة الحجة ذاتها، اعتمادا على بنائها الاستدلالي.

تنبّهت "قوتال" للأهمية البالغة لهذا النوع من الحجاج في دعم المواقف المطروحة وإيقاع التصديق لدى المتلقي، ولذلك يسعى المحاجج في بناء إستراتيجيته الإقناعية لحجة السلطة لزيادة فعالية الخطاب، ويمكن تقسيم الحجج السلطوية حسب طريقة إيرادها إلى أنواع ثلاث يمكن تمثيلها بالخطاطة التالية:[1]

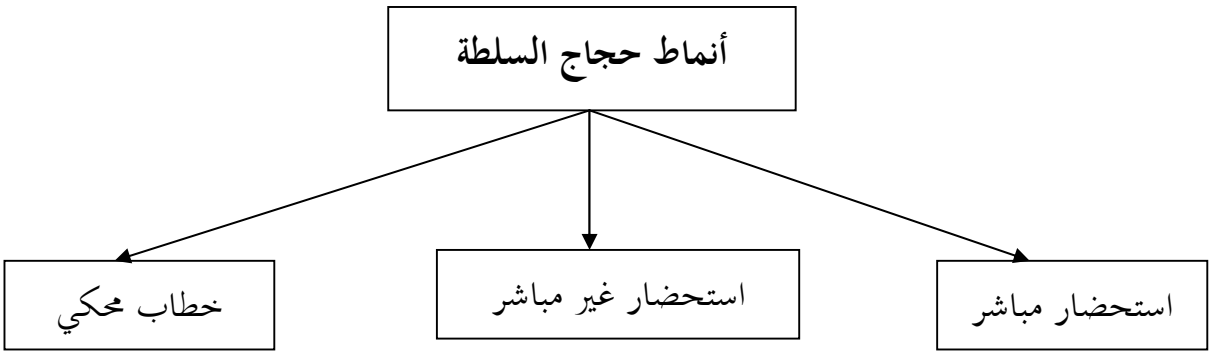

يظهر هذا التصنيف الإمكانات الرحبة التي تمنحها حجة السلطة لمنشئ الخطاب في بناء ملفوظه الإقناعي، ورغم الطاقة الإقناعية لهذا النوع من الإقناع إلّا أنّ "فضيلة قوتال" دعت للحديث عن سلطة الحجاج عوض الحديث عن حجاج السلطة "إذ لا يقدم هذا الأخير إلا نوعا متفرعا عنه. ويتميز الأول عن الثاني بكونه جامعا لكل حالات الحجاج التي تمارس سلطة ما – على تعدد أنواعها– على المتلقي ويستمد الخطاب قوته الإقناعية منها"[2] فسلطة الحجاج إذن مقبولة ولا تمارس الضغط على المتلقيّ .

[1]- ينظر: فضيلة قوتال، حجاج السلطة، أم سلطة الحجاج؟، ص ص29-30.

[2]- المرجع نفسه، ص32.

وإجمالا يمكن القول: إنّ الباحثة الجزائرية "فضيلة قوتال" من أهم الدارسين الذين اهتموا بتطبيق مقولات البلاغة الجديدة في تحليل الخطاب الإقناعيّ، مركزة في تعاملها التحليليّ مع النصوص على رصدّ التقنيات الحجاجية التي يتم توظيفها في المدوّنة المدروسة، مقتنعة في ذلك بأنّ هذه الطريقة الإجرائية ناجعة في فهم آليات اشتغال النصوص التي تروم التأثير في المتلقي.

تجسّد هذا الطموح المنهجي عند "قوتال" بوضوح في تحليلها الحجاجي لشروح التلخيص ولكنها رغم ذلك تقر بأنها لم تهدف إلى الإلمام بكل ما له علاقة بإستراتيجيته االحجاجية "بل مقارتها في حدود الكشف والاستطلاع لا غير"[1] وهذا ما يبين أن التحليل الحجاجي للخطابات لا يزال في طور التشكل، ما دام أن نظرية الحجاج تظل منفتحة على مختلف المجالات المعرفية التي تهتم بمقصدية النصوص.

اهتمت "قوتال" بمناقشة المفاهيم النظرية المؤسسة لنظرية الحجاج، فاعتبرت مثلا أنّ درجة حضور الاستراتيجيات الإقناعية في الخطاب المكتوب تكون أكثر من درجة حضورها في الخطاب الشفويّ لأنّ منتج الخطاب في الكتابة "له مسافة زمنية تسمح بالتفكير في ذلك بخلاف المتكلم شفاهة، ومن حيث إنّ مستمعه مختلف الأبعاد، كان عليه إذن أن يحكم الأمر أكثر انطلاقا من تقبل القارئ لخطابه"[2] فنوع قناة التواصل وطبيعة المتلقي هما عاملان حاسمان في اختيار التقنيات الحجاجيّة الملائمة لتحقيق القبول لدى المتلقي، ويظهر هذا التحليل المنهجي مدى وعي "فضيلة قوتال" بخصوصية الخطاب الحجاجيّ المكتوب.

ويعود اهتمام "فضيلة قوتال" بالنظرية الحجاجية إلى اقتناعها بأنّ هذه النظرية قادرة على فهم وتأويل الخطابات التراثية والراهنة، ما دام أنّ بلاغة الحجاج استطاعت من أرسطو إلى اليوم أن تنتج مقولات وأدوات إجرائية مهمة تعين القارئ على فهم الخطاب الإقناعيّ في تجلياته الخطابية المتنوعة.

[1] – فضيلة قوتال، حجاجية الشروح البلاغية وأبعادها التداولية، ص 12.

[2] – المرجع نفسه، ص 54.

إنّ قراءة الخطاب وفق المقاربة البلاغية الحجاجية، يفتح لمحلل الخطاب آفاقا رحبة لفهم الاستراتيجيات الخطابية، ويسهم في الوقوف على مقصدية النصوص وآليات اشتغالها، ويعين على فهم طرق تأثيرها في المتلقيّ.

استطاعت " فضيلة قوتال" أن توسع من مجال اشتغال بلاغة الحجاج، فلم تعد مقتصرة على النصوص المعروفة بطابعها الإقناعيّ كالخطبة مثلا، بل امتد البحث إلى نصوص أخرى لا تصرح مباشرة بغرضها الحجاجي، وتجسّد هذا الطموح من خلال دراسة حجاجية الشروح البلاغية وأبعادها التداولية.

اتسم التحليل الحجاجي للخطاب عند "فضيلة قوتال" بالمرونة والانفتاح، فلا وجود لخطاطة حجاجية جاهزة تحلل بها كلّ النصوص الإقناعية بطريقة نمطية، ما دام أنّ الإطار النوعي للخطاب يحدد خصوصية الإستراتيجية الحجاجية التي ينبني عليها فعل التأثير.

استطاعت "فضيلة قوتال" من خلال أبحاثها الأكاديمية أن تؤكد على فاعلية البلاغة الجديدة في قراءة الأشكال الخطابية التراثية والمعاصرة، واستطاع هذا التوجه المنهجي أن يؤسس لبلاغة الحجاج عند النقاد البلاغيين الجزائريين.

رابعا– تجليات التحليل الحجاجيّ عند"هاجر مدقّن":

سعّت الدراسات الحجاجية المعاصرة في النقد الجزائريّ المعاصر لاختبار مفاهيم البلاغة الجديدة في تحليل مختلف الخطابات، ولم يقتصر ذلك على مقولات رائد الحجاج "برلمان"، بل امتدّ الاهتمام ليشمل ما أنجزته نظرية الحجاج اللسانيّ التي أرسى ديكرو لبناتها الأولى، واندرج كلّ ذلك ضمن المحاولة الجادّة لكشف مقصدية النصّوص وإستراتيجيتها الخطابية التي تحقق فعل الإقناع.

تعدّ "هاجر مدقن" من المهتمين بنظرية الحجاج في النقد الجزائريّ المعاصر، ولها في ذلك مجموعة من الأعمال العلّمية والبحوث الأكاديمية المنشورة نذكر منها:

- آليات تشكل الخطاب الحجاجيّ بين نظرية البيان ونظرية البرهان (2006).
- حجاج التمثيل في الآداب السلطانية، مقاربة تداولية.
- الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه – دراسة تطبيقية في كتاب المساكين للرافعي2013.
- الشاهد الإفتتاحي في الروايات العربية – قراءة في حجاج العتبة والنص 2016.
- نظرية الحجاج، البعد النقدي والآلية الفلسفية 2012.
- مصطلحات حجاجية 2011.
- التمثيل الحجاجي في كتاب كليلة ودمنة لابن المقفع – مقاربة تداولية 2012.
- معرفية التقابل في التعريف والتعريف المغالطي في باب الفحص في أمر دمنة2020.

يظهر هذا الكمّ من الأعمال العلمية انشغال الباحثة "هاجر مدقّن" بالخطاب الحجاجيّ تنظيرا وتطبيقا، ولم تنطلق في ذلك من المنجز الغربيّ فقط، بل حاولت أيضا أن تستفيد من المنجز العربيّ القديم في هذا المجال، ما دام أنّ "الخطاب الحجاجيّ (مصطلحا، ومفهوما، ومكونات) ليس

من مستجدات العصر، إنما له جذور تراثية"[1] ويظهر هذا التوجه المنهجي سعيا للاستفادة من التراث وانفتاحا على النظرية البلاغيّة المعاصرة .

1- التحليل البلاغي الحجاجي لفن المقال:

لم يقتصر اهتمام "هاجر مدقّن" على حجاجية النصوص التراثية فقط، بل امتدّ ليشمل مختلف الأجناس الأدبية الحديثة والمعاصرة، نذكر منها اهتمامها بحجاجية المقال عند "الرافعي" انطلاقا من مدونة (المساكين)، وجاءت فكرة بحثها هذا "في مجال الخطاب الحجاجي بمنظور حديث، كميدان بكر لاسيما في الدراسات العربية الحديثة، يغري باستطلاع ماهيته، والوقوف على أهم أنواعه وخصائصه في الفكر العربي الحديث، حيث أنه درس تحت عناوين مختلفة باختلاف توجهات أصحابها وهذا الاختلاف بقي قيد مدونات معينة دون أن يطال المؤلفات الأدبية – التي لا تتضمن في نظر كثير من الدارسين خطابا حجاجيا صريحا– "[2] أي أنّ بلاغة الحجاج المعاصرة وسّعت من مجال اشتغالها لتنفتح على مختلف الخطابات التي كان يعتقد أنها تخييلية صرفة .

قسّمت "هاجر مدقن" الخطاب الحجاجيّ في كتاب المساكين إلى ثلاثة أنواع :

- الخطاب الحجاجيّ البلاغيّ: وهو أهم هذه الأنواع لأنّ أسلوب الرافعي في هذا الكتاب يكتسي "صبغة بلاغية تأخذ بشكل الخطاب الحجاجيّ ومعانيه مآخذ شتى، كما تسهم في إثراء صور الحجج وتنوعها، وحضورها في مظاهر بلاغية مختلفة"[3] ولهذا النوع من الحجاج حضور مهيمن في الخطاب الأدبي .

[1]- هاجر مدقن، آليات تشكل الخطاب الحجاجي بين نظرية البيان ونظرية البرهان، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، العدد 05، مارس 2006، ص 198.

[2]- هاجر مدقن، الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه قراءة في كتاب المساكين للرافعي، منشورات الاختلاف، ط1، 2013، ص 15.

[3]- المرجع نفسه، ص ص 114-115.

- الخطاب الحجاجيّ الفلسفيّ: ويمكن تلمس حضوره من خلال المحاورة القريبة (المناظرة) والمحاورة البعيدة (التناص)، وهما مصطلحان أخذتهما "هاجر مدقن" من الأكاديمي المغربيّ "طه عبد الرحمن".
- الخطاب الحجاجيّ التداوليّ : استعانت "هاجر مدقّن" بمفاهيم الحجاج التداوليّ لإظهار الغاية الإقناعية لمدونة "المساكين" فاستثمرت نظرية أفعال الكلام، وتتبعت الروابط والعوامل الحجاجية ووقفت على مكون الحوارية التي هي "من أهم مستويات تجلي البعد التداوليّ للخطاب الحجاجيّ وهي العلاقة التخاطبية بين المخاطِب والمخاطَب"[1] فكلّ خطاب إقناعيّ هو خطاب حواريّ بالضرورة .

لم تهمل الباحثة في هذا النوع من الحجاج فاعلية المقام في تحقيق التأثير لدى المتلقين، ويتضح ذلك من خلال رصد الغرض العام الذي من أجله ألّف الرافعي كتاب "المساكين"، فقد أوردت قوله: "فإني قد وضعت هذه الأوراق وكتبت فيها عن الفقر وما هو من باب الفقر، لا لمحوه ولكن للصبر عليه، ولا من أجل البحث فيه ولكن للعزاء عنه، ثم كتبت عن الغنى وما إليه، لا رغبة في إفساده على أهله، ولكن لإصلاح ما يفهم منه غير أهله... ولكني أرمي بالكتاب إلى عزة النفس وإلى الثقة بالله وإلى الصبر على الفضيلة"[2] ويظهر هذا القول انطلاق الرافعي في تأليفه من مقام الإصلاح الاجتماعيّ.

أكّدت "هاجر مدقن" أنّ الصيغ والأساليب اللغوية المبثوثة في مدونة "المساكين" ذات فعل تأثيريّ وهي مرتبطة بالبنية الحجاجية لهذا المؤلَّف، والتي يمكن حصرها في وجوه ثلاثة :[3]

أ- من النتائج إلى التراكيب (مجموع الحجج).

[1]- هاجر مدقن، آليات تشكل الخطاب الحجاجي بين نظرية البيان ونظرية البرهان، ص192.

[2]- الرافعي، المساكين، ص 37.

[3]- هاجر مدقن، نظرية الحجاج.. البعد النقدي والآلية الفلسفية، مجلة فصل الخطاب، ورقلة، ص 122.

ب- من الحجج إلى النتائج أو النتيجة الواحدة.

ج-من حجة تمهيدية إلى نتيجة كلية إلى حجج نهائية تفصيلية.

استعانت "هاجر مدقن" في تحليلها الحجاجيّ للخطاب الأدبيّ على المنجز التداوليّ في دراسة النظام القوليّ "بما يضمنه من قرائن كونها وسيلة من وسائل التحليل الأساسية وهذه القرائن بدورها تعمل على كشف مجموع القيم المكونة للمقام أو لمجموع المقامات الموزعة على مستوى النصّ"[1] وتبعا لذلك تساهم هذه العناصر في بناء الإستراتيجية الإقناعية.

قسّمت" هاجر مدقن " هذه القرائن إلى أنواع ثلاث يمكن تمثيلها بالخطاطة التالية:

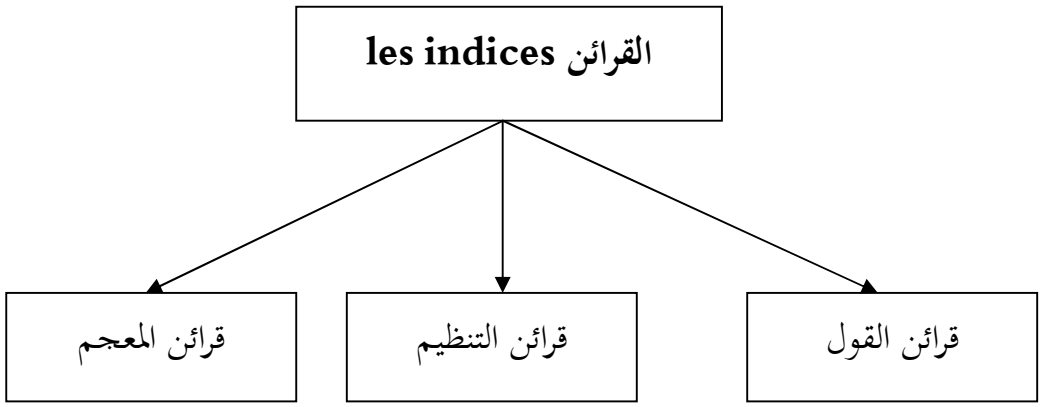

لم تعتمد "هاجر مدقّن" على الإجراءات نفسها في وقوفها على حجاجية المقال، فكان تحليلها لمدونة "كتاب المساكين" "جمع بين إجرائية تحليل الخطاب في كشف طرق الأداء مع الاحتياج إلى تحليل المضمون كفكرة تفرض بتنوعها تنوع أساليب الحجاج وأداءاته. ويتحدد كله هذا بالتدقيق في السمات المقالية التي جاءت في هذا الكتاب كونه مجموعة من المقالات، تحددت فيها أساليب وإجراءات الطرح الحجاجيّ لدى الرافعي"[2].

[1]- هاجر مدقن، الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه قراءة في كتاب المساكين للرافعي، ص180.

[2]- المرجع نفسه، ص 102.

إنّ التحليل الحجاجيّ عند "هاجر مدقّن" لا يخضع لخطاطة معيارية جاهزة، بل يتسم باختلاف الأدوات الإجرائية المطبقة باختلاف النوع الخطابيّ، ويمكن التمثيل على ذلك باعتمادها آلية التمثيل مثلا في تحليلها الحجاجي لمدونة "كليلة ودمنة" معتبرة أنّ التمثيل الحجاجي في هذا الكتاب هو "آلة "ابن المقفع "الحجاجية"، والتقنية الأمثل التي صاغ فيها أفكاره، وعمّى بها في الوقت نفسه عن الأساسي والخطير منها"[1] أي أنّ هذه الصيغة الخطابية هي أساس الإستراتيجية الإقناعية لابن المقفع.

والملاحظ أن هذا الطرح يتقاطع مع ما نادى به البلاغي المغربي "محمد مشبال" بوجود بلاغة أدبية رحبة "تتجاوز التقنين والتقعيد، كما تنأى عن الجمود والتعصب، بلاغة تنساب مع سياقات مختلفة، وتتكيف مع أجناس أدبية قديمة وحديثة، فتسهم في تشغيل آليات التفكير والتأويل"[2] وهذا يعني أنّ الإطار النوعي للنصوص الأدبية يسهم في تحديد بنيتها واستراتيجياتها الخطابية.

إن أهم ما يميز أعمال "هاجر مدقّن" في تحليلها للخطاب الحجاجيّ اعتمادها على نتائج البحث التداولي المعاصر، فما فتئت تستثمر مصطلحاته ومفاهيمه للوقوف على مقصدية النصوص وفعالية الخطاب في التأثير على المتلقيّ، ونذكر من هذه المفاهيم: نظرية أفعال الكلام، السياق ومكون الحوارية التي تعدّ "خاصية تداولية للخطابات الحجاجية تعكس تفاعل ذواتها مع محيطها الخطابي"[3] وهذه الخاصية من أهم مميزات النص الحجاجي .

[1]- هاجر مدقن، التمثيل الحجاجي في كتاب كليلة ودمنة لابن المقفع. مقاربة تداولية، مجلة الأثر، جامعة ورقلة، العدد14، جوان 2012، ص 37.

[2]- محمد مرزاق، البلاغة الأدبية وتحليل الخطاب عند محمد مشبال، ضمن كتاب من البلاغة المختزلة إلى البلاغة الرحبة، ص71.

[3]-هاجر مدقن، التمثيل الحجاجي في كتاب كليلة ودمنة لابن المقفع، ص 38.

كما اهتمت الباحثة "هاجر مدقن" بالقرائن النصية التي تسهم في قراءة النص الحجاجي وصنّفت هذه القرائن في مجالات ثلاثة كبرى: [1]

- **قرائن القول les indices de l'énonciation**: تظهر وضعية المحاج بالنسبة للقول على مستوى اللغة، أي مستوى السمات الذاتية، كأسماء الإشارة، نظام الزمن، علاقات التحديد الزمني (هنا) و(الآن)...، والسمات الدّالة على مدى توافق صاحب القول (المتلفظ) بمضامين الأقوال .
- **قرائن التنظيم les indices de l'organisation**: تعين على معرفة الأطروحات ومدى تناسق الحجج.
- **قرائن المعجم les indices de lexique**: تتمثل في مراعاة التقابل في وجهات النظر وما ينتج عنه من مفردات متضادة.

تفطّنت "هاجر مدقن" لعلاقة الحجاج بحقل تحليل الخطاب، لذلك استعانت بمصطلحات هذا الحقل الجديد، ونذكر منها: أفعال اللغة، الخطاب، الملفوظ، الحجة، القيمة، الموضع وانطلقت في ذلك من اعتبار أنّ لمنهج تحليل الخطاب "دور في استنباط أنواع الخطابات الحجاجية – السالفة الذكر – وإبراز أهم خصائصها ومدى فاعليتها في تشكيل "الحجاج" كمجال مفتوح يستوعب قدرا واسعا من عملية التواصل الإنساني – المنطوق والمكتوب معا – كما مكن من إثبات إمكانية توفر الحجاج في النصوص الأدبية"[2] فبلاغة الحجاج إذن تسعى لتحليل الخطاب.

[1]- هاجر مدقن، الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه قراءة في كتاب المساكين للرافعي، ص 58.

[2]- المرجع نفسه، ص 195.

2- الحجاج السردي في "كليلة ودمنة":

استفادت "هاجر مدقّن" من نظرية السرد في تحليلها للنصوص الحجاجية التي اعتمدت على الحكيّ في بنيتها التوصيلية، وهذا ما يمكن الوقوف عليه في مقاربتها لمدونة "كليلة ودمنة" لابن المقفع، فسردية الخبر في هذا النوع الخطابيّ شكلته :[1]

أ- القصة الإطار (المختلقة): والتي افتعلها "ابن المقفع" لتمرير نصائحه وحكمه السلطانية في طابع قصصيّ إخباريّ وأطرافها: الحكيم بيدبا (المُخبِر)، الملك دبشليم (المُخبَر)، تقديم النصح في تدبير الملك وسياسة الرّعيّة (الخبر)، قصة وضع الكتاب (الـمُخبَر عبره).

ب- القصص الفرعية: وجاءت في شكل أبواب مختلفة ومتصلة في الوقت نفسه؛ وكل باب يضم مجموعة من الأمثال الإخبارية المتسلسلة.

وما يميز هذا السرد الحكائيّ هو جمعه بين الإمتاع والإقناع، أي أنّ نصّوص مدونة "كليلة ودمنة" ليست قائمة على التخييل فقط، بل هي أيضا أداة للتواصل تسعى إلى التأثير في المتلقي ودفعه للقبول بالقضية المطروحة، ولا شكّ أنّ صيغة التمثيل من أهم الصيغ الخطابية التي لا تتناقض فيها الوظيفة التخييلية مع الوظيفة الحجاجية.

لقد كشفت "هاجر مدقن" أنّ بنية التمثيل في مؤلف "كليلة ودمنة " آلية توصيلية حجاجية قائمة على مستويين:[2]

- مستوى إطاري يعكس المبنى (الإخباري – السردي)؛ باعتبار الإخبار والتوصيل مفهوما واحدا تنتهي إليه شبكة التواصل.

[1]- هاجر مدقن، التمثيل الحجاجي في كتاب كليلة ودمنة، ص 43.

[2]- المرجع نفسه، ص 38.

- مستوى حواري؛ باعتبار الحوار خاصية تداولية للخطابات الحجاجية تعكس تفاعل ذواتها مع محيطها الخطابي .

استثمرت "هاجر مدقّن" في تحليلها الحجاجي للتمثيل عند ابن المقفع مسار السيرورة الحجاجية الذي وضعه رولان بارت؛ والذي يرتكز على أربعة عناصر: الاستهلال، السرد . الإثبات والخاتمة، ويظهر هذا التقسيم جليّا حجاجية تقديم الأحداث في الملفوظات التي تتوخى التأثير في المتلقي، ويعطي هذا الطرح المنهجي مشروعية تداخل الوظائف والأنماط النصية في مختلف الأشكال الخطابية.

كما استعانت "هاجر مدقّن" بالجهاز المفاهيمي للمقاربة التداولية، فربطت بين المقام والغرض الحجاجيّ للمدونة المدروسة، وحلّلت قرائن المعجم Les indices de lexique باعتبارها تحدد التقابل في وجهات النظر المطروحة في مؤلّف "كليلة ودمنة"، فتوصلت الباحثة إلى أنّها قائمة على آلية النقد والنقض "حيث لم يقدم ابن المقفع شخصياته كاملة، إنّما يحتاج بعضها إلى بعض، فينقد بذلك فكرة ما كـ: التفرد، الحكم بالظن، تقديم القوة وحدها، أو العقل وحده، أو تغييب العقل... ينقدها عن طريق نقض اعتقاد سابق سائد، وترسيخ آخر لا يقيمه إلّا إعمال العقل"[1] وهذه إستراتيجية خطابية غايتها الإقناع.

وتجدر الإشارة لاستثمار "هاجر مدقّن" لآلية التشخيص باعتبارها بنية حوارية لتوصيلية التمثيل الحجاجي في كتاب كليلة ودمنة، ويظهر هذا الاهتمام مدى اتساع الأفق المنهجيّ الذي تبنته الباحثة في مقاربتها الحجاجية للخطاب السرديّ.

[1]- هاجر مدقن، التمثيل الحجاجي في كتاب كليلة ودمنة، ص 52.

3- إستراتيجية الحجاج المغالط:

كان للباحثة "هاجر مدقّن" اهتماما بالإستراتيجية المغالطية التي يلجأ إليها المحاجج لتضليل المتلقيّ ومثلّت لهذا النوع من الحجاج من خلال مدونة "كليلة ودمنة"، فاختارت "باب الفحص في أمر دمنة" للوقوف على التعريف المغالطيّ الذي لجأ إليه دمنة خاصة في حواره مع القاضي "لقد برع في نسج كثير من حيل الكلام، وأمعن في استدراج مجادليه أو خصومه في المحاكمة، كما أمعن في إفحامهم"[1] وهذا يدلّ على حضور الحجاج المغالط في هذا النوع من الملفوظات.

اعتبرت "هاجر مدقّن" أنّ معظم المغالطات تعتمد على فن توجيه الأهواء للتأثير على السامع ومثّلت لذلك بالحوار الذي دار بين دمنة وسيد الخنازير، والذي لخصت مضمونه من خلال الجدول التالي: [2]

حجة سيد الخنازير على دمنة	حجة دمنة على سيد الخنازير
إنّ العلماء قد قالوا : • إنّ من صغرت عينه اليسرى وهي لا تزال تختلج . • ومال أنفه بعض الميل إلى شقه الأيمن. • وبَعُدَ ما بين حاجبيه وكانت منابت شعر جسده ثلاث شعرات ثلاث شعرات. • وإذا مشى كان أكثر نظره لأعلى الأرض ويلتفت تارة بعد تارة. • فإن ذلك مستجمع للغدر وطباع الآثام والبغي على الصالحين.	أمرك أنت أعجب فيما قد عرفت من: • قذارة جسمك ونجاستك. • وجرأتك على ذلك من الدنو إلى طعام الملك والقيام عليه وبين يديه كالبريء من الدنس. • ولست بالمطلع على عيبك دون أهل العقل من أهل المجلس. • ولم يمنعني من إبداء عيبك قبل اليوم إلّا مودة كانت بيني وبينك. • فأمّا إذ قد طعنت عليّ وابتدأتني بالظلم لما انطويت عليه من عداوتي وقذفتني على غير علم بالباطل بمحضر الجند فإني قائل بما أعلم من عيبك مبدي الذي أخفيت من دنسك الذي لم يكن معه داع أن تخدم الملك ولا أن تخدم تحته. • فحق على من عرفك حق المعرفة أن يمنع الملك من استعمالك ويدفعه إلى عزلك عن طعامه.

[1]- هاجر مدقن، معرفية التقابل في التعريف والتعريف المغالطي في باب الفحص في أمر دمنة، مجلة العلامة، المجلد 05، العدد01، 2020، ص 18.

[2]- هاجر مدقن، معرفية التقابل في التعريف والتعريف المغالطي في باب الفحص في أمر دمنة، ص19.

نستنتج مما سبق أنّ الحجاج المغالط يعتمد على آليات وتقنيات خطابية تضليلية تهدف لاستدراج المتلقي ودفعه بقبول القضية المطروحة، وعليه فإن محلل الخطاب لا يكتف بدراسة الاستعمال الصحيح للحجاج فقط، بل يسعى أيضا لكشف الاستراتيجيات المغالطية التي "يستعين بها العارض والمعترض لردع بعضهما البعض، وكأنهما في ساحة حرب، تستبدل فيها قوة السلاح بقوة الكلمة ويتصرف اللاعبون استراتيجيا، ويحسبون تحركات منافسهم، من أجل اختيار الإمكانات المناسبة للانقضاض؛ هكذا تستعر نار الحرب اللغوية من أجل بناء خارطة طريق جديدة ينحت أخاديدها الطرف الكاسب"[1] ويعني هذا أنّ الحجج قد تستعمل استعمالا صحيحا فيكون الحجاج سليما، وقد يتمّ الاستعانة بالحجج لخداع المتلقي واستدراجه قسريا لقبول أفكار أو آراء محددة فيصير الحديث عن حجاج مغالط، وأمام هذا الوضع، كان لابدّ لعلم البلاغة أن تتصدى لهذا النوع من التمويه.

لقد كان "لهاجر مدقن" وعيّ منهجي بخطورة هذه الانزلاقات الخطابية التي قد ترد في الخطاب الإقناعيّ، ومثّلت على ذلك بحضورها في الخطاب السردي لتثبت أنّ إيراد هذه الاستدلالات التمويهية لا يقتصر على جنس خطابي محدد، بل يلتبس بمختلف الأنواع التواصلية التي تتوخى التأثير في المتلقيّ، وأمام خطورة هذا المسار الخطابيّ واحتمالية وجوده في مختلف الخطابات، دعت الباحثة المحلل البلاغيّ لفكّ شفرات هذا التطويع القسريّ الذي له مستويات مقابلة للاستدلال الحجاجيّ الصحيح يمكن تمثيله بالخطاطة التالية:[2]

[1]- مصطفى العطار، لغة التخاطب الحجاجي، ص 277.

[2]- رشيد الراضي، الحجاج والمغالطة من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2010، ص18.

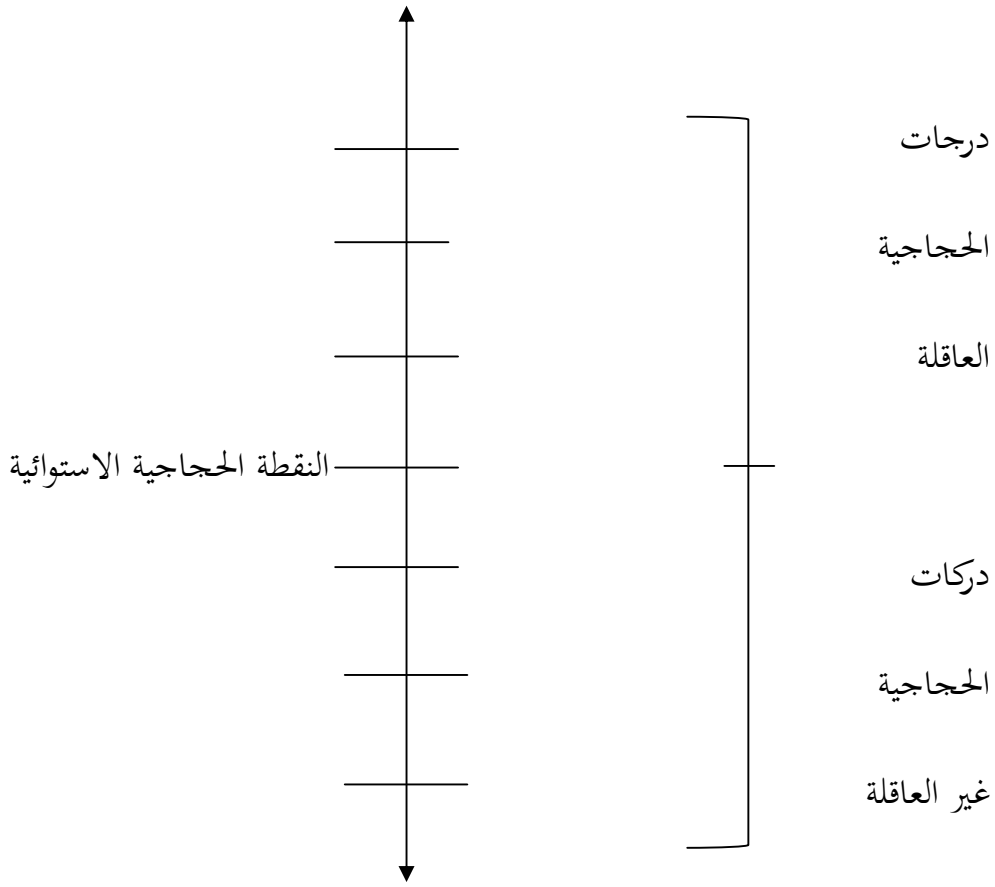

اهتمت "هاجر مدقّن" بالمصطلحات الحجاجية، واعتبرت أنها أساس كل تحليل حجاجيّ يسعى لمقاربة النصوص الإقناعية، وحاولت من خلال العديد من الدراسات والأبحاث الأكاديمية الوقوف على الجهاز المفاهيمي للنظرية الحجاجية مستفيدة من مختلف الحقول المعرفية التي أغنت هذه النظرية، وأكّدت من خلال أعمالها أنّ تحديد هذه المصطلحات والمفاهيم "لا يمنع من وجود كثير غيرها تتراوح وتتعدد بتعدد النظريات وتوجهات أصحابها"[1] وهذا ما يميز بلاغة الحجاج التي لا تزال منفتحة على مختلف العلوم والمناهج اللسانية.

أشارت هاجر مدقن لعدم استقرار المصطلح المؤسس لبعض لمفاهيم الحجاجية، فاعتبرت مثلا أن نظرية برلمان تندرج ضمن "الحجاج أو نظرية الحجاج أو المدرسة البلاغية البرهانية أو البلاغة

[1]-هاجر مدقن، مصطلحات حجاجية، ص 37.

الجديدة"[1] وفي هذا القول إشارة واضحة لعدم الاستقرار على مصطلح واحد، ويمكن تبرير ذلك بحداثة هذه النظرية واستمرار تشكلها في عصرنا الراهن.

والملاحظ أيضا في التحليل الحجاجي عند "هاجر مدقن" اعتمادها الواضح على تتبع الأبعاد البلاغية والفلسفية والتداولية للخطاب الإقناعي، ولكنها رغم ذلك لا تعتمد كثيرا على المنجز الأرسطي في هذا المجال رغم أنّ "أي مقاربة حجاجية تروم الإلمام بأكبر قدر من متغيرات الخطاب لن تجد بديلا عن التنظير الأرسطي إن هي أرادت تفادي النظرة الجزئية (لغوية كانت أو منطقية أو أسلوبية...)"[2] خاصة أنّ الخطابة الأرسطية تجمع بين الخطاب والمخاطب والمخاطب من خلال تركيزها على أنواع الحجج الثلاث: اللوغوس والباتوس والإيتوس.

وتجدر الإشارة أنّ "هاجر مدقن" لم تستعن في معظم المواضع في تحليلها للخطاب برصد التقنيات الحجاجية وتحليلها رغم انشغال علماء الحجاج بها "من جهة كونها عمدة الخطاب ومرتكزه وهذا الإنشغال مبتدؤه خطابة أرسطو ومنتهاه خطابة بيرلمان الجديدة وما دار في فلكها من فروع نظرية وتلوينات مفهومية تكاد في جملتها ترتد إليهما وتتوحد في نطاقهما"[3] ولا يعني ذلك إهمالا مقصودا لهذه التقنيات، بل مقاربة الخطاب الحجاجيّ وفق رؤية منهجية خاصة لا تدعي الإحاطة بكل مكونات النصّ الإقناعيّ ما دام أنّ المقاربة الحجاجية للنصوص تظلّ منفتحة على المجالات اللسانية والبلاغية والفلسفية.

إنّ عدم الإعتماد الصريح على خطاطة أرسطو أو تقنيات برلمان الحجاجية رغم أهميتهما لا يعني عدم الوعي بأهميتها، ولكن الباحثة "هاجر مدقن" اعتمدت على خيارات منهجية ترفض تطبيق خطاطة صارمة على كل النصوص، ما دام أنّ التحليل الحجاجي لا يعترف بوجود مقاربة جاهزة

[1]- هاجر مدقن، نظرية الحجاج.. البعد النقدي والآلية الفلسفية، ص 119.

[2]- عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع، ص257.

[3]- علي الشبعان، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2010، ص 264.

المقولات والأدوات الإجرائية، وبناءا على ذلك فأن أي ممارسة نقدية تسعى لملامسة الخطاب الإقناعي هي ممارسة قيمة تسهم في الوقوف على فعالية النصوص وفهم استراتيجياتها الخطابة التي تسعى لتحصيل القبول لدى المتلقي.

صفوة القول، سعت "هاجر مدقن" من خلال أبحاثها النظرية والتطبيقية لربط بلاغة الحجاج بحقل تحليل الخطاب، وتعتبر أعمالها المنجزة ضمن هذا المجال البلاغي محاولات جادة لاختبار منجز النظرية الحجاجية في قراءة النصوص الإقناعية، والمميز لهذه الأعمال العلمية هو عدم وقوعها في الاختزال والجمود، لأنها لم تتوخى تطبيق خطاطة جاهزة، بل ظلت هذه المقاربة منفتحة على كل مقولات البلاغة التي يمكنها أن تساعد محلل الخطاب في الوقوف على مقصدية النصوص وبنيتها الإقناعية.

كان للباحثة الجزائرية "هاجر مدقن" وعي منهجي برحابة بلاغة الحجاج، واقتناع راسخ بأهمية تحليل الخطاب من منظور حجاجيّ، وهذا ما تجسّد من خلال أعمالها الأكاديمية التي حاولت مقاربة الخطاب من منظور تداولي، وتظلّ هذه المحاولات المنهجية لبنات هامة في مسار استثمار بلاغة الحجاج في النقد الجزائري المعاصر.

خاتمة

خاتمة

أفضت هذه الدراسة إلى استخلاص أنّ مفهوم الحجاج مرتبط بمجالات معرفية ثلاثة: بلاغي، منطقي، ولساني، وهيمنت قديما البلاغة الحجاجية على غيرها من مجالات الحجاج منذ نشأة البلاغة الأرسطية التي ركّزت على الاستراتيجيات الخطابية الثلاثة: اللوغوس والإيتوس والباطوس وأما في الدراسات الحديثة فقد ارتبطت بلاغة الحجاج بجهود برلمان الذي أسس للبلاغة الجديدة التي تتسع لمختلف الخطابات التي تروم التأثير في المتلقي، ولم يعد معه الحديث عن الخطاب الشفوي فقط، بل اتسع البحث ليشمل ما هو مكتوب أيضا، واستطاع برلمان بفضل وضعه خطاطة ثرية لأنواع الحجج أن يمنح أفقا بلاغي جديد لتحليل الخطابات وهكذا صار ممكنا القيام بتحليل حجاجي لأي خطاب يركز على التأثير في متلقيه.

تأثر البحث الحجاجي في وقتنا الراهن بالدرس اللساني، فظهر اتجاه جديد في الحجاج يطلق عليه الحجاج اللساني يركز على البنية الداخلية للغة باعتبارها ذات وظيفة إقناعية، ويعتبر ديكرو من مؤسسي هذا التوجه المنهجي الجديد، واستطاعت هذه الدراسات الحجاجية أن تمنح محلل الخطاب آليات جديدة لفهم آلية اشتغال النصوص الإقناعية.

إنّ مقولات بلاغة الحجاج ليست وليدة البحث البلاغي المعاصر فقط، بل هي أيضا امتداد لمقولات البلاغة القديمة، ففي التراث البلاغي العربي وعي مبكر بحجاجية الخطاب، وتجلى ذلك بوضوح من خلال الكتب البلاغية القديمة التي ركزت على مقصدية الخطاب، وتعتبر مؤلفات الجاحظ أنموذجا لذلك خاصة من خلال تركيزها على عناصر التخاطب الثلاث: المتكلم والسامع والخطاب، ومن خلال تحليلها لمكونات الإستراتيجية الإقناعية المميزة للجنس الخطابي.

ركّز البحث على معرفة مدى حضور بلاغة الحجاج في النقد المغاربي المعاصر، وبعد الرصد والتحليل استنتجنا أنّ النظرية الحجاجية الغربية كان لها صدى واضح عند الأكاديميين المغاربة تنظيرا وتطبيقا، وكان عبد الله صولة ومحمد مشبال ومحمد العمري من أهم الأكاديميين الذين انشغلوا بهذا المجال البلاغي.

لقد صدرت أعمال الباحثين المغاربة عن همّ أساس يتمثل في إخراج البلاغة من قوقعة الدراسات الجمالية المحضة إلى بلاغة الحجاج الرحبة التي تهتم بفعالية النص، وبالتالي لم يعد الانشغال منصبا على المكون التخييلي للنصوص، بل امتدّ إلى البحث عن المكونات التداولية للإستراتيجية الإقناعية التي يتأسس عليها الخطاب الحجاجي.

اتسمّ انخراط النقد المغاربي المعاصر في تشغيل مقولات بلاغة الحجاج في تحليل النصوص بالثراء والتنوع، فلم تكن هناك خطاطة جاهزة تطبّق على كلّ الأنواع الخطابية، بل اتسعّ التحليل لكلّ المقولات التي تساهم في الوقوف على مقصدية النصوص، ووصل الأمر أحيانا إلى استعارة مفاهيم من الحقول المعرفية الأخرى كاللسانيات والتداوليات.

إنّ أهم ما ميّز هذه المقاربة البلاغية الحجاجية هو امتداد انشغالها على كل الخطابات التي تهتم بالتأثير في المتلقي سواء أكانت تلك الخطابات تصرح بقصدها الإقناعي أو تضمر استراتيجياتها الحجاجية، ومن النصوص التي لاقت اهتماما واضحا عند محللي الخطاب المغاربة: الخطبة، المناظرة، الرسالة، الوصية، النادرة، والشعر.

إنّ اهتمام النقد المغاربي بتطبيق بلاغة الحجاج على مختلف النصوص لا يهدف لاختبار مدى نجاعة تطبيق مقولات النظرية الحجاجية على أنواع خطابية معينة، بل يسعى لإثراء هذه النظرية والمساهمة في إغناء مفاهيمها ومصطلحاتها.

وفي الأخير، نخلص أنّ أسئلة بلاغة الحجاج تكاد تكون واحدة في النقد المغاربي المعاصر، فالبحوث الأكاديمية التي أنجزت في تونس والمغرب والجزائر حملت هما معرفيا مشتركا، يتمثل في محاولتها استعراض النظرية الحجاجية الغربية والسعي الجاد لاستثمارها في تحليل الخطابات.

ملحق

معجم البحث

Actes de paroles	أفعال الكلام
Actes illocutoires	الأفعال الإنجازية
Actes locutoires	الأفعال التلفظية
Actes perlocutoires	الأفعال التأثيرية
Analyse du discours	تحليل الخطاب
Argument	الحجة
Argument pragmatique	الحجة البرغماتية
Argumentation	الحجاج
Argumentativité	الحجاجية
Arguments basés sur la structure du réel	الحجج المؤسسة على بنية الواقع
Arguments quasi logique	الحجج شبه المنطقية
Arguments qui fondent la structure du réel	الحجج المؤسسة لبنية الواقع
L'auditoire	مُستمَع
L'auditoire particulier	مُستمَع خاص
L'auditoire universal	مُستمَع كوني
Cohérence argumentative	إنسجام حجاجي
Compétence	الكفاية
Connecteurs argumentatifs	الروابط الحجاجية
Contexte	السياق

Conviction	الإقتناع
Démonstration	البرهان
Discours	الخطاب
Discours délibératif	الخطاب المشوري
Discours épidictique	الخطاب التثبيتي
Discours judiciaire	الخطاب القضائي
Echelle argumentative	السلّم الحجاجيّ
Ethos	إيتوس / صورة المتكلم عن نفسه
L’éthos montré	الايتوس المبين
L’éthos dit	الايتوس المقول
Exemple	المثل
Expressions verdictives	العبارات الحكمية
Expressions exp ositives	العبارات العرضية
Figure	الصورة
Focalisation	تبئير
Force argumentative	القوة الحجاجيّة
graduation	ترقي
Illustration	الاستشهاد
Implication conversationnelle	
Implicites	متضمنات القول
les indices	القرائن
les indices de l’énonciation	قرائن القول

les indices de l’organisation	قرائن التنظيم
les indices de lexique	قرائن المعجم
informativité	الإبلاغية
Intention	القصد
Intentionnalité	القصدية
Ironie	السخرية
question argumentative	الاستفهام الحجاجي
Logos	اللوغوس
Loi d’abaissement	قانون الخفض
Loi d’inversion	قانون القلب
Loi de négation	قانون النفي
modalités	جهات القول
Modalisateurs approximatifs	الموجهات التقريبية
Modalisateurs d’incertitudes	موجهات الشك
Opérateurs argumentatifs	العوامل الحجاجية
Orientation	التوجيه
Orientation argumentative	توجيه حجاجيّ
Paralogisme	الغلط
Pathos	باتوس / عواطف
persuasion	الإقناع
Poétique	الشعريّة
politesse	التأدب
Pragmatique	التداوليّة

Pragmatique intégrée	التداوليّة المدمجة
Pré-supposition	الافتراضات المسبقة
Procédés de dissociation	طرائق الفصل
Procédés de liaison	طرائق الوصل
Réfutatif	تبكيتي
Relation argumentative	علاقة حجاجية
Rhétorique	الريطوريقيا
Sous-entendus	الأقوال المضمرة
termes évaluatifs	الألفاظ التقويمية
Texte	النصّ
Topi	الموضع

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص.

أولا: المصادر.

1-أرسطو، الخطابة، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات الكويت ودار القلم لبنان، 1979.

2-بهاء الدين السبكي، عروس الأفراح في شروح تلخيص المفتاح، ضمن شروح التلخيص، ج1، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، لبنان، ط1، 2003.

3-الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: درويش جويدي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 2004.

4-ـــــــــ، الرسائل، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي.

5-حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب ابن الخوجة، الدار العربية للكتاب، تونس، ط3، 2008.

6-حسونة المصباحي، رواية حكاية تونسية، دار سحر للنشر، 2007.

7-الخنساء، الديوان، دار صادر، بيروت، د.ت.

8-الدسوقي، الحاشية، ضمن شروح التلخيص، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، لبنان، ط1، 2003.

9-الرافعي مصطفى صادق، المساكين، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د.ط، 2000.

10- الزركشي، البرهان في علوم القرآن،ج1، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، 1972.

11- السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، لبنان، ط2،1987.

12- طه حسين، الأيام، ج1، دار الكتاب اللبناني، 1980.

13- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، السعودية، ط3، 1991.

14- ـــــــــــــ، دلائل الإعجاز، قرأه وعلّق عليه محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، مصر ط3، 1992.

15- القزويني، إيضاح القزويني، ضمن شروح التلخيص، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، لبنان، ط1، 2003.

16- ابن القيم، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن، إشراف لجنة تحقيق التراث، مكتبة الهلال، بيروت.

ثانيا: المراجع العربية.

1-أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج2، المكتبة العلمية، بيروت، ط1.

2-أحمد فهد صالح شاهين، النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، عالم الكتب الحديث، ط1، 2015.

3-إدريس جبري، سؤال البلاغة في المشروع العلمي لمحمد العمري نحو بلاغة عامة، ضمن المؤلف الجماعي البلاغة والخطاب، تنسيق محمد مشبال، إعداد وتنسيق: محمد مشبال، منشورات دار الأمان، الرباط، منشورات الاختلاف، الجزائر، منشورات ضفاف، ط1، 2014.

4-آمال يوسف المغامسي، الحجاج في الحديث النبوي – دراسة تداولية -، الدار المتوسطة للنشر، ط1، 2016.

5-باسم خيري، الحجاج وتوجيه الخطاب مفهومه ومجالاته وتطبيقات في خطب ابن نباتة، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2019.

6- أبو بكر العزاوي، الحجاج والانسجام في القرآن الكريم خواتيم سورة البقرة نموذجا، ضمن المؤلف الجماعي: بلاغة الخطاب الديني، تنسيق محمد مشبال، منشورات الاختلاف، ط1، 2015.

7-ـــــــــــــ، الخطاب والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة، لبنان، ط1، 2010.

8-ـــــــــــــ، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، ط1، 2006.

9-بوعافية محمد عبد الرزاق، البلاغة العربية والبلاغة الجديدة قراءة في الأنساق بين التراث والمعاصرة، مؤسسة حسين رأس الجبل قسنطينة، الجزائر، 2018.

10- تراث حاكم الزيادي، الدرس الدلالي عند عبد القاهر الجرجاني، دار صفاء عمان، ط1، 2011.

11- جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، أفريقيا الشرق، 2014.

12- جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2000.

13- جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، دار كنوز المعرفة، ط1، 2016.

14- الحبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الرياضي، عناصر استقصاء نظري، ضمن المؤلف الجماعي: الحجاج مفهومه ومجالاته، إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، الأردن،ط1، 2010.

15- حسن المودن، بلاغة الخطاب الإقناعي نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب، دار كنوز المعرفة، ط1، 2014.

16- حسن مسكين، التحليل الحجاجي للغة والخطاب والمفاهيم – الأطر – الأبعاد قراءة في مشروع د. أبو بكر العزاوي، ضمن المؤلف الجماعي: الحجاج اللغوي قراءات في أعمال الدكتور أبو بكر العزاوي، تنسيق حسن مسكين، عالم الكتب الحديث، ط1، 2017.

17- ـــــــــــ، اللغة والحجاج، ضمن المؤلف الجماعي: الحجاج اللغوي قراءات في أعمال الدكتور أبو بكر العزاوي، تنسيق حسن مسكين، عالم الكتب الحديث، ط1، 2017.

18- ـــــــــــ، مناهج الدراسات الأدبية الحديثة من التاريخ إلى الحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة، لبنان، ط1، 2010.

19- الحسين بنو هاشم، الحجاج عند شاييم برلمان، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2014.

20- حمادي صمود، في الخلفية النظرية للمصطلح، ضمن المؤلف الجماعيّ: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمّادي صمّود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب منوبة، تونس.

21- خليفة الميساوي، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، منشورات الاختلاف، ط1، 2013.

22- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، 2009.

23- عبد الرحمن بوكرع، التأويل وموقع البيان من بلاغة الخطاب القرآني، ضمن المؤلف الجماعي: بلاغة الخطاب الديني، منشورات الاختلاف، ط1، 2015.

24- عبد الرحيم وهابي، البلاغة والتداول: قراءة في البلاغة العربية الجديدة، ضمن المؤلف الجماعي من البلاغة المختزلة إلى البلاغة الرحبة، قراءات في أعمال الدكتور محمد مشبال-، تنسيق عبد الواحد المرابط، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2017.

25- رشيد الراضي، الحجاج والمغالطة من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2010.

26- ــــــــــــ ، السفسطات في المنطقيات المعاصرة التوجه التداولي الجدلي، ج3، ضمن المؤلف الجماعي: الحجاج مفهومه ومجالاته، إعداد وتقديم: حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، الأردن.

27- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، ط2، 2011.

28- سعيد جبار، بلاغة الإقناع في خطاب الوعظ، ضمن المؤلف الجماعي بلاغة الخطاب الديني، إعداد وتنسيق محمد مشبال، منشورات الاختلاف، ط1، 2015.

29- سعيد يقطين، القراءة والتجربة، دار الثقافة، المغرب، ط1، 1985.

30- عبد السلام أزيار، آليات التفاعل النصيّ ودورها في التجنيس الأدبي، رسالة التوابع و الزوابع أنموذجا، دار كنوز المعرفة، ط1، 2016.

31- عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، أفريقيا الشرق، 2006.

32- شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة، ضمن أهم نظريات الحجاج من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمّادي صمّود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب منوبة، تونس.

33- ـــــــــــ، نظرية الحجاج في اللغة، ضمن المؤلف الجماعي: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمّادي صمّود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب منوبة، تونس.

34- شوقي ضيف، الفن ومذاهبه، دار المعارف، ط11.

35- صابر الحباشة، الأبعاد التداولية في شروح التلخيص للقزويني، الدار المتوسطية للنشر، ط1، 2009.

36- ـــــــــــ، التداولية والحجاج، صفحات للدراسات والنشر، ط1، 2008.

37- ـــــــــــ، تحليل المعنى مقاربات في علم الدلالة، دار الحامد للنشر والتوزيع، ط1، 2010.

38- صابر الحباشة، لسانيات الخطاب، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2010.

39- ـــــــــــ، محاولات في تحليل الخطاب، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 2009.

40- صالح بن رمضان، الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم (مشروع قراءة شعرية)، دار الفارابي، ط2، 2007.

41- طه عبد الرحمن، التواصل والحجاج، سلسلة الدروس الافتتاحية الدرس العاشر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب.

42- ـــــــــــ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1998.

43- ـــــــــــ، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، د.ت.

44- ـــــــــــ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط2، 2000.

45- ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج11، الدار التونسية للنشر.

46- عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط1، 2016.

47- عز الدين الناجح، الحجاج في الخطاب القانوني، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 2013.

48- ـــــــــــ، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين للنشر والتوزيع، ط1، 2011.

49- عبد العزيز أيت بها وحسين أحمد كتانة، أية بلاغة لأي أدب محاورة لكتاب البلاغة والأدب من صور اللغة إلى صور الخطاب، ضمن كتاب من البلاغة المختزلة إلى البلاغة الرحبة –قراءات في أعمال الدكتور محمد مشبال–، تنسيق عبد الواحد المرابط، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2017.

50- عبد العزيز لحويذق، الحجاج في المناظرة – مقاربة حجاجية لمناظرة أبي حنيفة مع الملحدين–، ضمن الكتاب الجماعي الحجاج مفهومه ومجالاته، الجزء الرابع الحجاج والمراس، إعداد وتقديم حافظ إسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط1، 2010.

51- علي الشبعان، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2010

52- عمارة الناصر، الهرمنوطيقا والحجاج، منشورات دار الأمان، الرباط، ط1، 2014.

53- ــــــــــ، الفلسفة والبلاغة مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي، منشورات الاختلاف، ط1، 2009.

54- عبد الفضيل ادراوي، حجاجية الخطاب في اشتغال د. أبو بكر العزاوي دراسة في الآفاق والحدود، ضمن المؤلف الجماعي الحجاج اللغوي قراءات في أعمال الدكتور أبو بكر العزاوي، تنسيق حسن مسكين، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2017.

55- فضيلة قوتال، حجاجية الشروح البلاغية وأبعادها التداولية، دار كنوز المعرفة، ط1، 2017.

56- عبد القادر ملوك، حجاجية الصورة الإشهارية، ضمن المؤلف الجماعي: الحجاج اللغوي قراءات في أعمال الدكتور أبو بكر العزاوي، تنسيق حسن مسكين، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2017.

57- عبد الكريم الخطيبي، في الكتابة والتجربة، تر: محمد برادة، دار العودة، بيروت، لبنان، ط1، 1980.

58- عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2013.

59- ـــــــــــ، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات ضفاف، ط1، 2013.

60- عبد الله بريمي، الحجاج ومنطق الخطاب بصدد "الخطاب والحجاج" للدكتور أبو بكر العزاوي، ضمن المؤلف الجماعي الحجاج اللغوي قراءات في أعمال الدكتور أبو بكر العزاوي، تنسيق حسن مسكين، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2017.

61- عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال "مصنف في الحجاج – الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتيكاه، ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمّادي صمّود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب منوبة، تونس.

62- ـــــــــــ، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، لبنان، ط2، 2007.

63- ـــــــــــ، الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج – الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتيكاه، ضمن المؤلف الجماعي أهم نظريات الحجاج الغربية من أرسطو إلى

اليوم، إشراف حمّادي صمّود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب منوبة، تونس.

64- عبد الله صولة، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، المغرب، ط1، 2006.

65- ـــــــــــ، في نظرية الحجاج: دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر، تونس، ط1، 2011.

66- مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، منشورات الاختلاف، ط1، 2015.

67- محمد الزكري، الحجاج والتداول في البلاغة العربية القديمة عند محمد العمري، ضمن المؤلف الجماعي: البلاغة والخطاب، تنسيق محمد مشبال، إعداد وتنسيق: محمد مشبال، منشورات دار الأمان، الرباط، منشورات الاختلاف، الجزائر، منشورات ضفاف، ط1، 2014.

68- محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، أفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 2013.

69- محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، أفريقيا الشرق، 2005.

70- ـــــــــــ، البلاغة العامة في حوار الرصد والتنظير ضمن المؤلف الجماعيّ البلاغة والخطاب، إعداد وتنسيق: محمد مشبال، منشورات دار الأمان، الرباط، منشورات الاختلاف، الجزائر، منشورات ضفاف، ط1، 2014.

71- ـــــــــــ، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 1999.

72- محمد العمري، الحجاج مبحث بلاغي فما البلاغة ؟، ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته، ج1، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط1، 2010.

73- ـــــــــــ، الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية والممارسة الشعرية، أفريقيا الشرق، 2001.

74- ـــــــــــ، دائرة الحوار ومزالق العنف، أفريقيا الشرق، 2002.

75- ـــــــــــ، في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية الخطابة في القرن الأول نموذجا، أفريقيا الشرق، ط2، 2002.

76- ـــــــــــ، منطق رجال المخزن وأوهام الأصوليين، عوائق الحداثة في المغرب، منشورات وادي الحجاج للثقافة والتنمية، ط1، 2009.

77- ـــــــــــ، نظرية الأدب في القرن العشرين، أفريقيا الشرق، 1996.

78- محمد المطلب، البلاغة والأسلوبية، الهيأة المصرية العامة للكتاب، 1984.

79- محمد الموساوي، عن تحليل محمد العمري للخطاب السياسي، ضمن المؤلف الجماعي البلاغة والخطاب، إعداد وتنسيق: محمد مشبال، منشورات دار الأمان، الرباط، منشورات الاختلاف، الجزائر، منشورات ضفاف، ط1، 2014.

80- محمد النويري، الأساليب المغالطية مدخلا في نقد الحجاج، ضمن المؤلف الجماعي: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمّادي صمّود، إشراف حمّادي صمّود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب منوبة، تونس.

81- ـــــــــــ، علم الكلام والنظرية البلاغية عند العرب، دار محمد علي للنشر، 2010.

82- محمد الولي، تأملات في محاورتي أفلاطون جورجيا سوفيدر، ضمن المؤلف الجماعيّ: البلاغة والخطاب، إعداد وتنسيق: محمد مشبال، منشورات دار الأمان، الرباط، منشورات الاختلاف الجزائر، منشورات ضفاف، ط1، 2014.

83- محمد اليملاحي، أسئلة الفكر البلاغي في المغرب مقاربة لمشروع محمد العمري، ضمن كتاب البلاغة والخطاب، إعداد وتنسيق: محمد مشبال، منشورات دار الأمان، الرباط، منشورات الاختلاف، الجزائر، منشورات ضفاف، ط1، 2014.

84- محمد بن سعد الدكان، الدفاع عن الأفكار وتكوين ملكة الحجاج والتناظر الفكري، مركز نماء للبحوث والدراسات، السعودية، ط1، 2014.

85- محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2008.

86- محمد سعيد البقالي، نحو مقاربة حجاجية لغوية للخطاب كتاب "الخطاب والحجاج" لأبي بكر العزاوي أنموذجا، ضمن المؤلف الجماعي الحجاج اللغوي قراءات في أعمال الدكتور أبو بكر العزاوي، تنسيق حسن مسكين، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2017.

87- محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط01، 2005.

88- محمد مرزاق، البلاغة الأدبية وتحليل الخطاب عند محمد مشبال، ضمن كتاب من البلاغة المختزلة إلى البلاغة الرحبة، قراءات في أعمال الدكتور محمد مشبال-، تنسيق عبد الواحد المرابط، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2017.

89- محمد مشبال، البلاغة العامة في حوار الرصد والتنظير من الشعر إلى الخطاب، ضمن المؤلف الجماعي: البلاغة والخطاب، تنسيق محمد مشبال، إعداد وتنسيق: محمد مشبال، منشورات دار الأمان، الرباط، منشورات الاختلاف، الجزائر، منشورات ضفاف، ط1، 2014.

90- ـــــــــ، البلاغة العربية واستراتيجية الايتوس في النص القرآني، ضمن المؤلف الجماعي: بلاغة الخطاب الديني، تنسيق محمد مشبال، منشورات الاختلاف، ط1، 2015.

91- ـــــــــ، البلاغة العربية وإستراتيجية الإيتوس في النص القرآني، ضمن المؤلف الجماعي: بلاغة الخطاب الديني، تنسيق محمد مشبال، منشورات الاختلاف، ط1، 2015.

92- ـــــــــ، البلاغة والأدب، من صور اللغة إلى صور الخطاب، دار العين، القاهرة، ط1، 2008.

93- ـــــــــ، الحجاج والتأويل في النص السردي عند الجاحظ، دار التنوير للطباعة والنشر، تونس، ط1، 2015.

94- ـــــــــ، بلاغة النادرة، دار جسور للطباعة والنشر والتوزيع، المغرب، ط2، 2001.

95- ـــــــــ، بلاغة النص التراثي مقاربات بلاغية حجاجية، دار العين للنشر، مصر، 2013.

96- محمد مشبال، بلاغة رسالة المفاخرة: مقاربة بلاغية حجاجية لرسالة فخر السودان على البيضان، ضمن المؤلف الجماعي: بلاغة النص التراثي مقاربات بلاغية حجاجية، إشراف محمد مشبال، دار العين للنشر، مصر، 2013.

97- ـــــــــــ، بلاغة صور الأسلوب وآفاق تحليل الخطاب، ضمن المؤلف الجماعي البلاغة والخطاب، إعداد وتنسيق: محمد مشبال، منشورات دار الأمان، الرباط، منشورات الاختلاف الجزائر، منشورات ضفاف، ط1، 2014.

98- ـــــــــــ، بلاغة صور الأسلوب وآفاق تحليل الخطاب، ضمن المؤلف الجماعي: البلاغة والخطاب، إعداد وتنسيق: محمد مشبال، منشورات دار الأمان، الرباط، منشورات الاختلاف، الجزائر، منشورات ضفاف، ط1، 2014.

99- ـــــــــــ، خطاب الأخلاق والهوية في رسائل الجاحظ مقاربة بلاغية حجاجية، دار كنوز المعرفة، ط1، 2015.

100- ـــــــــــ، في بلاغة الحجاج نحو مقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات، دار كنوز المعرفة، ط1، 2017.

101- ـــــــــــ، مفهوم الخطاب من منظور حجاجي، ضمن المؤلف الجماعي الحجاج اللغوي قراءات في أعمال الدكتور أبو بكر العزاوي، تنسيق حسن مسكين، عالم الكتب الحديث، ط1، 2017.

102- محمد هبصي، الحجاج والإشهار، ضمن المؤلف الجماعي: الحجاج اللغوي قراءات في أعمال الدكتور أبو بكر العزاوي، تنسيق حسن مسكين، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2017.

103- محمود طلحة، تداولية الخطاب السردي دراسة تحليلية في وحي القلم للرافعي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2012.

104- مرتضى جبار كاظم، اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2015.

105- مسعود بودوخة، البلاغة العربية بين الإقناع والإمتاع، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2018.

106- مصطفى العطار، لغة التخاطب الحجاجي، دار كنوز المعرفة، ط1، 2017.

107- هاجر مدقن، الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه قراءة في كتاب المساكين للرافعي، منشورات الاختلاف ط1، 2013.

108- عبد الهادي الشهري، استراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد، ط1، 2004.

109- هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، ضمن المؤلف الجماعي أهم نظريات الحجاج الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمّادي صمّود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب منوبة، تونس.

110- هشام مشبال، البلاغة والسرد والسلطة في(الإمتاع والمؤانسة)، كنوز المعرفة، الأردن، ط1، 2015.

111- هناء حلاسة، بلاغة الحجة في خطاب الخلفاء الراشدين دراسة وصفية لنماذج خطابية، مركز الكتاب الأكاديمي، الأردن، ط1، 2016.

ثالثا: المصادر والمراجع الأجنبية.

1- Anscombre J . C .et Ducrot O, l'argumentation dans la langue, éditions Mardaga, Liège –Bruxelles, 2ème édition, 1988.

2- Ducot .O et Anscombre J-C, 1983, L'argumentation dans la langue, pierre Mardaga, éditeur, collection phylosophie et langage, Bruxelles.

3- Ducrot, les échelles argumentatives, ed Minuit, Paris, 1980.

4- Olivier Reboul, introduction à la rhétorique, PUF,Paris, 4ème édition, 2001.

5- Perelman et Tyicca, traité de l'argumentation : la nouvelle rhétorique, préface de Michel Meyer, Bruxelles, université de Bruxelles, 4éd, 1983, 5éd, 1992.

6- Pierre Oléran; l'argumentation, presses universitaires de France; 1993.

7- Roger Bautier, recherches expérimentales américaines sur la communication persuasive, in l argumentation, 2018.

8- Ruth Amossy, L'argumentation dans le discours, Armand Colin, Paris, 2010.

9- Ruth Amossy, L'argumentation dans le discours, Armand colin, Paris, 2010.

رابعا: الكتب المترجمة.

1-أوليفيروبول، مدخل إلى الخطابة، تر: رضوان العصبة، إفريقيا الشرق، 2017.

2-ـــــــــ، هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغي؟، ترجمة: محمد العمري، ضمن البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، أفريقيا الشرق، 2005.

3-باتريك شارودو، الحجاج بين النظرية والأسلوب، تر: أحمد الودرني، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2009.

4-فيليب بروتون وجيل جوتييه ، تاريخ نظرية الحجاج، تر: محمد صالح ناجي الغامدي، مركز النشر العلمي، ط1، 2011.

5-فيليب بروطون، الحجاج في التواصل، تر: محمد مشبال وعبد الواحد التهامي العلمي، الهيئة العامة المصرية للكتاب، 2012.

6-كاترين كيربرات – أوركيوني، المضمر، تر: ريتا خاطر، المنظمة العربية للترجمة، ط1، 2008.

7-كلود يونان، التضليل الكلامي وآليات السيطرة على الرأي، ترجمة: فارس نجيم، دار النهضة العربية.

خامسا: المعاجم والقواميس.

1- ابن سيدة، المحكم والمحيط الأعظم، ج2، تح: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2000.

2- الشريف الجرجاني، التعريفات، تحقيق ودراسة: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، مصر، د.ت.

3-ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، 1955.

سادسا: الرسائل الجامعية.

1- بشير دردار، الكتابة ورهانات الإقناع مقاربة تداولية لرسائل الجاحظ من خلال مفهوم التعدد، أطروحة دكتوراه، إشراف جيلالي بن يشو، جامعة تلمسان، 2012 - 2013

2- عبد الله بوقصة، إستراتيجيات الخطاب الإقناعي في إلياذة الجزائر مقاربة تداولية، إشراف حبيب مونسي، أطروحة دكتوراه، 2012 -2013.

3-نور الدين بوزناشة، الحجاج بين الدرس البلاغي العربي والدرس اللساني الغربي، أطروحة دكتوراه، إشراف: د.خليفة بوجادي، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف، الجزائر، 2015-2016.

سابعا: المجلات والدوريات.

1-ابتسام بن خراف، تلقي النصّ البلاغيّ عند الدكتور محمد العمري مقاربة وصفية تحليلية، مجلة قراءات، جامعة بسكرة، العدد الخامس، 2013.

2-أمحمد عرابي، الحجج المؤسسة لبنية الواقع (المبنينة للواقع) في الخطاب القرآني قصة سيدنا موسى عليه السلام أنموذجا، مجلة رفوف، جامعة أدرار، الجزائر، العدد التاسع، مارس 2016.

3-بشير دردار، استلهام التراث البلاغي الغربي في التأصيل المعرفي لنظرية البلاغة الجديدة، مجلة التعليمية، المجلد 6، العدد1.

4-بلقاسم دفة، إستراتيجية الخطاب الاشهاري دراسة تداولية في الإرسالية الاشهارية العربية، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد: 10، 2014.

5-بول ريكور، البلاغة والشعرية والهرمينوطيقا، ترجمة: مصطفى النحال، مجلة اوان، البحرين، العدد9، 2005.

6- حسن المودن، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية، مجلة جذور، ج 18، مج 08، 2004.

7-عثماني عمار، بلاغة خطاب الوعظ في الجزائر: مقاربة حجاجية لخطب أبي يعلى الزواوي، (1866-1956)، مجلة الخطاب والتواصل، العدد السادس، مارس 2019.

8-عمارة ناصر، البلاغة والهرمينوطيقا، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، المغرب، العدد 04، ربيع 2014.

9-عمر بوقمرة، أثر نظرية الحجاج اللغوي في تطوير مناهج تحليل الخطاب في الدرس اللساني العربي المعاصر، مجلة أمرات، إصدار كلية الآداب والفنون، جامعة الشلف، المجلد1، العدد1، ديسمبر 2017.

10- عمر بوقمرة، الحجاج في الشعر العربي القديم كتاب "الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني، بنيته وأساليبه لسامية الدريدي أنموذجا، مجلة التواصلية، العدد السابع.

11- عمر بوقمرة، الحجاج في الشعر العربي القديم كتاب "الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني بنيته وأساليبه" لسامية الدريدي أنموذجا، مجلة التواصلية، العدد07.

12- فاطمة صغير، إسهامات العلماء الجزائريين في البلاغة العربية، مجلة رفوف، مجلد السادس، عدد الأول، سبتمبر 2018.

13- فضيلة قوتال، البلاغة الجديدة والأشكال الخطابية المعاصرة، مجلة سيميائيات، العدد 04، 2013.

14- ـــــــــــ، حجاج السلطة، أم سلطة الحجاج؟، مجلة فصل الخطاب، الجزائر، العدد01، 2014، المجلد 03.

15- لمهابة محفوظ ميارة، مفهوم الحجاج في القرآن الكريم دراسة مصطلحية، ج3، مجلة مجمع اللغة العربية دمشق، المجلد81.

16- محمد العمري، المغالطة في قضاء الاحتمال، مجلة سياقات، المجلد الثاني، العدد الخامس، أبريل 2017.

17- محمد الولي، مدخل إلى الحجاج أفلاطون وأرسطو وشايم برلمان، مجلة عالم الفكر، العدد 02، المجلد40، 2011.

18- محمد مشبال، عن مفهوم البلاغية دراسة في العلاقة الإشكالية بين البلاغة والأدب، مجلة ثقافات، البحرين، العدد رقم 19-20، 1يناير 2007.

19- عبد الملك مرتاض، البلاغة الجديدة، مجلة سيميائيات، العدد 04، 2013.

20- مؤيد آل صوينت، الحجاج التصورات والتقنيات، مجلة الأقلام، العراق، العدد الأول، 2011.

21- هاجر مدقن، التمثيل الحجاجي في كتاب كليلة ودمنة لابن المقفع. مقاربة تداولية، مجلة الأثر، جامعة ورقلة، العدد 14، جوان 2012.

22- ـــــــــ، آليات تشكل الخطاب الحجاجي بين نظرية البيان ونظرية البرهان، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، العدد 05، مارس 2006.

23- ـــــــــ، مصطلحات حجاجية، مجلة مقاليد، العدد1، جوان2011.

24- ـــــــــ، معرفية التقابل في التعريف والتعريف المغالطي في باب الفحص في أمر دمنة، مجلة العلامة، المجلد 05، العدد01، 2020.

25- هاجر مدقن، نظرية الحجاج.. البعد النقدي والآلية الفلسفية، مجلة فصل الخطاب، ورقلة.

26- هيثم سرحان، الخطاب الحجاجي في شعر بشار بن برد، مجلة جامعة أم القرى، العدد11، نوفمبر 2013.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

مقدمة..... أ

الفصل الأول: نظرية الحجاج أصولها وامتداداتها 1

أولا– الحجاج: مفاهيمه وأنواعه..... 3

1- تعريف الحجاج..... 3

2- علاقة الحجاج بالمفاهيم القريبة منه..... 13

2-1- الحجاج والجدل..... 13

2-2- الحجاج والبرهان..... 14

2-3- الحجاج والإقناع..... 15

2-4- الحجاج والتداول..... 16

3- أنواع الحجاج..... 19

3-1- الحجاج البلاغيّ..... 19

3-2- الحجاج اللغويّ..... 22

3-3- الحجاج المنطقي..... 23

ثانيا– خصائص الخطاب الحجاجي ومبادئه..... 24

1- خصائص الخطاب الحجاجيّ 24

2- التواصل الحجاجيّ ومبادئ التخاطب..... 28

ثالثا – النظرية الحجاجية في السياق الغربي 32

1- بلاغة الخطابة عند أرسطو 33

2- البلاغة الجديدة عند برلمان 36
3- الحجاج اللغويّ عند ديكرو 41
4- في البلاغة الغربية المعاصرة..... 44
4-1- ميكاييل ليف Micheal Leff..... 45
4-2- جيل ديكلرك Gilles Declercq..... 45
4-3- أوليفي روبول Olivier Reboul 46
4-4- روث أموسي Ruth Amossy..... 48
رابعا– نظرية الحجاج في الفكر العربيّ..... 51
1- الحجاج وفعالية النصّفي التراث البلاغيّ العربيّ..... 51
1-1 حجاجية النظم..... 51
1-2- حجاجية البيان..... 52
2- منزلة المخاطِب والمخاطَب في بلاغة الحجاج..... 57
3- الحجاج في الفكر اللساني العربي المعاصر..... 61
الفصل الثاني: الحجاج في المغرب 63
أولا– خلفيات المقاربة البلاغية الحجاجية في المغرب..... 64
ثانيا– البلاغة العامة في المشروع البلاغي المغربي..... 72
ثالثا– بلاغة الإقناع والإطار النوعي..... 75
1- الخطاب القرآني..... 76
2- الخطابة..... 79
3- الخطاب السياسيّ المعاصر..... 82
4- الخطاب الساخر..... 86

5- المناظرة..... 89
6- الشعر العربيّ المعاصر..... 91
7- الخطاب المثلي..... 97
8- الخطاب الإشهاري..... 98
رابعا– الحجاج في المشروع البلاغيّ عند محمد مشبال..... 99
1- الحجاج في النثر العربيّ القديم..... 102
1-1 الحجاج في النصّ السرديّ القديم..... 102
1-2-بلاغة الحجاج في الرسائل الأدبية التراثية..... 108
1-3- التحليل الحجاجيّ للخطبة..... 114
2 بلاغة الحجاج في النص القرآني..... 119
3- بلاغة الحجاج في النص السردي الروائي المعاصر..... 121
الفصل الثالث: بلاغة الحجاج في تونس 124
أولا– الإرهاصات الأولية لنظرية الحجاج في تونس..... 125
ثانيا– المصطلح الحجاجيّ في النقد البلاغيّ التونسيّ..... 128
ثالثا– الحجاج وتحليل الخطاب..... 134
1- الخطاب القرآنيّ 134
2- حجاجية الشروح البلاغية..... 135
3- حجاجية النثر العربي..... 137
4- الشعر العربيّ..... 138
5- الخطاب القانونيّ..... 147
رابعا –نظرية الحجاج وتطبيقاتها عند "عبد الله صولة"..... 149

1- الخلفية المعرفية لنظرية الحجاج عند "عبد الله صولة..... 149
2- تطبيقات نظرية الحجاج على القرآن الكريم..... 154
3- حجاجية الخطاب الأدبيّ عند "عبد الله صولة":كتاب "الأيام" لطه حسين أنموذجا..... 170
الفصل الرابع: بلاغة الحجاج في الجزائر 178
أولا– الدرس البلاغي المعاصر في الجزائر..... 180
ثانيا –بلاغة الحجاج وآفاق تحليل الخطاب في الجامعة الجزائرية..... 187
1- الرسائل..... 193
2- الشعر العربي..... 195
3- الخطاب الدينيّ..... 196
4- الخطاب البلاغيّ..... 198
5- الخطاب السرديّ..... 199
6- الخطاب الإشهاري..... 200
7- الخطاب الفلسفي..... 202
ثالثا– حجاجية الخطاب التراثي في النقد الجزائريّ المعاصر: حجاجية الشروح أنموذجا 205
1- الحجج شبه المنطقية..... 208
2- الحجج القائمة على بنية الواقع..... 209
3- الحجج المؤسسة لبنية الواقع..... 210
رابعا– تجليات التحليل الحجاجيّ عند"هاجر مدقّن..... 218
1- التحليل البلاغي الحجاجي لفن المقال..... 219
2- الحجاج السردي في "كليلة ودمنة"..... 224
3- إستراتيجية الحجاج المغالط..... 226

خاتمة..... 232
ملحق..... 236
مكتبة البحث..... 241
فهرس المحتويات..... 263

الملخص:

عرفت بلاغة الحجاج في عصرنا الراهن حضورا ملفتا للانتباه، ولم يقتصر الاهتمام بهذه النظرية البلاغية على المستوى النظري فقط بل امتدّ ليشمل كتابات تطبيقية تناولت الخطاب بالتحليل منطلقة في ذلك من فاعلية الأدوات البلاغية في فهم النصوص والوقوف على مقصديتها الإقناعية.

لم يكن النقد المغاربيّ بمعزل عن ذلك، ويتضح ذلك من خلال البحوث الأكاديمية المنجزة حول بلاغة الحجاج، والتي اهتمت باستثمار مبادئ ومفاهيم النظرية الحجاجية قي تحليل مختلف النصوص التراثية والحديثة.

لقد تجسد هذا الطموح المنهجي بوضوح من خلال أعمال البلاغيين المغاربة كمحمد العمري ومحمد مشبال وعبد الله صولة، وغيرهم من الباحثين الأكاديميين الذين سعوا لتطبيق مفهومات بلاغة الحجاج على مختلف الخطابات الإقناعية: كالخطاب السياسيّ والخطاب الدينيّ والخطاب الأدبي.

الكلمات المفتاحية: الحجاج – البلاغة – الخطاب–مقاربة.

Résumé :

La rhétorique de l'argumentation de notre temps a connu une présence remarquable, et l'intérêt pour cette théorie rhétorique ne s'est pas limité seulement au niveau théorique, mais s'est élargi pour inclure des écrits appliqués traitant du discours avec l'analyse, basés sur l'efficacité des outils rhétorique pour la compréhension des textes et la prise en considération de leur intention persuasive.

La critique maghrébine n'en pas été exempté, comme en témoigne la recherche académique menée sur la rhétorique de l'argumentation, qui s'est intéressé à l'investissement des principes et concepts de la théorie de l'argumentation dans l'analyse de divers textes patrimoniaux et modernes.

Cette ambition méthodologique s'est manifesté clairement à travers les ouvrages des rhéteurs maghrébins, tels que : Mohamed El-ommari, Mohamed Mechbal, Abdelhamid Sola et autres chercheurs académiciens ayant pris en considération l'application des concepts de la rhétorique d'argumentation dans divers discours argumentatifs, comme: le discours politique, le discours religieux et le discours littéraire.

Mots-clés : Argumentation – Rhétorique – Discours – Approche.

Abstract:

The rhetoric of the argumentation in our time has known a remarkable presence, and the interest in this rhetorical theory was not limited to the theoretical level only, but extended to include applied writings that dealt with the discourse with analysis, based on the effectiveness of rhetorical tools in understanding texts and standing on their persuasive intent.

The contemporary Maghrebian criticism was not in isolation from this, and this is evidenced by the academic research carried out on the rhetoric of the argumentation, which focused on investing the principles and concepts of argumentation theory in the analysis of various heritage and modern texts.

This methodological ambition has been clearly embodied through the works of Moroccan rhetoricians such as Muhammad al-Omari, Muhammad Mishbal and Abdullah Soula, and other academic researchers who sought to apply the concepts of al-Hijjaj's rhetoric to various persuasive discourses: political, religious and literary discourse.

Keywords : Argumentation –Rhetoric – Discourse – Approach.